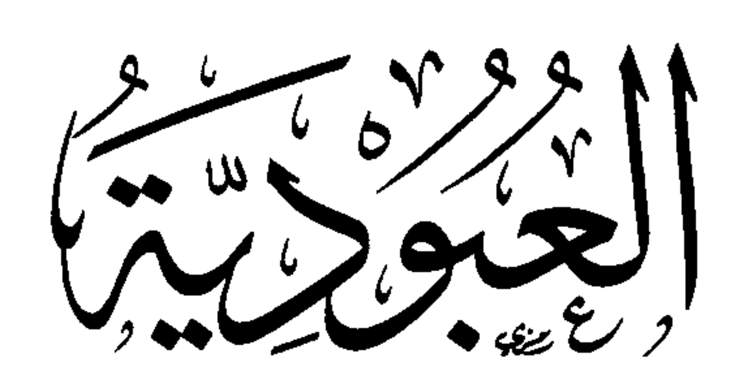


العبودية

تأليف

شيخ الإسلام تقي الدين أحمد بن عبد الحليم

ابن تيمية الحراني الدمشقي

المتوفى سنة ٧٢٨ - رحمه الله

تحقيق

علي حسن عبد الحميد

دار المغني

للنشر والتوزيع

بسم الله الرحمن الرحيم

الطبعة الخامسة
١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م

دار المغني للنشر والتوزيع

ص.ب: ١٥٤٠٤١ - الرياض: ١١٧٤٨
هاتف - ناسوخ: ٠٠٩٦٦١١٤٢٥٧٠١٩
Dar_Almoghny@hotmail.com

مُقَدِّمَةُ الطَبْعَةِ الرَّابعة

الحَمْدُ لِلَّهِ، والصَّلاةُ والسَّلامُ عَلىٰ رَسولِ اللَّهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَمَنْ وَالَاهُ.

أَمَّا بَعْدُ:

فَهَذِهِ طَبعةٌ جَديدةٌ مِنْ كِتَابِ «الْعُبُوديَّة» لِمُؤَلِّفِهِ الإِمَامِ شَيخِ الإِسلامِ ابنِ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ اللَّهُ .

وَهَذَا الكِتَابُ - وَالْحَمْدُ لِلَّهِ - يَكَادُ يَكُونُ فَرِدًا في المَكْتبةِ الإسلامية ؛ لِمَا حَوَاهُ مِنْ تأصِيلاتٍ دَقيقة في عَقيدةِ أهلِ السُّنَّة، والرَّد عَلىٰ مُخَالِفيها مِنْ أَهلِ الفِرقِ - كَافة.

وَإِنَّه لَيسُرني جِدًا - وَلِلَّهِ الْمِنَّةُ - أن تَكونَ هَذه الطبعةُ - مِنْ كتابي هَذا بِدَاية خَيرةً مباركةً لتعاون علميٍّ مبرورٍ مَعَ «دارِ الْمُغني للنَّشْر والتوزيع بالرِّياض»؛ مُمَثَّلة في صَاحبِهَا الفاضل الأخ الأستاذِ:

« عبد المحسن آل عبد القادر» فجَزَاه اللَّهُ خَيرًا.

سائلاً العَليَّ العَظِيمَ أن يُوفقه لِمَزيد مِن الْهِمَّةِ والْجُهْدِ؛ لنشر العلم الْمُحرَّر، الذي تَنتَفع به الأُمة ويَسْتَفيدُ مِنه عُمومُ النَّاسِ؛ علماءَ، وَطلبةَ علمٍ وعامة .

وصلى اللهُ وسَلَّم وَبَارك
عَلىٰ نَبيِّنا مُحمدٍ وَعَلىٰ آلِهِ وَصَحْبِه أجمَعينَ.
وَكَتَبه
علي بن حسن بن علي عبد الحميد
الحلبي الأثري

٢٢ شَوال ١٤٢٤ هـ

مُقَدِّمَةُ ٱلْطَبْعَةِ ٱلثَّانِيَةِ

ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ حَقَّ حَمْدِهِ، وَٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ عَلَىٰ نَبِيِّهِ وَعَبْدِهِ، وَعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ وَوَفْدِهِ.

أَمَّا بَعْدُ:

فَهَذِهِ هِيَ ٱلطَّبْعَةُ ٱلثَّانِيَةُ مِنْ كِتَابِ «**ٱلْعُبُودِيَّة**»، لِشَيْخِ ٱلْإِسْلَامِ ٱبْنِ تَيْمِيَّةَ - رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ - بِتَحْقِيقِي وَتَعْلِيقِي - أُقَدِّمُهَا لِلْإِخْوَةِ ٱلْأَفَاضِلِ، مِنْ قُرَّاءِ عِلْمِ هَذَا ٱلْإِمَامِ ٱلْعَلَمِ؛ لِيَنْتَفِعُوا بِهَا، وَتَعْظُمَ فَائِدَتُهُمْ مِنْهَا.

وَلَمْ أُضِفْ إِلَيْهَا كَثِيرًا مِنَ ٱلتَّعْلِيقَاتِ وَٱلتَّنْقِيحَاتِ، سِوَىٰ تَصْحِيحَاتٍ وَإِضَافَاتٍ عَلَى ٱلْمَتْنِ، وَقَفْتُ عَلَيْهَا جَرَّاءَ مُرَاجَعَاتٍ أُخْرَىٰ، وَبِخَاصَّةٍ لِمَطْبُوعَةِ «**مَجْمُوعِ ٱلْفَتَاوَىٰ**»، لِلْمُؤَلِّفِ - رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ.

وَإِنِّي أَقُولُ فِي هَذَا ٱلْمَقَامِ: إِنَّ أَيَّ عَمَلٍ بَشَرِيٍّ، مَهْمَا سَمَا وَعَلَا، فَإِنَّهُ عُرْضَةٌ لِلْأَخْذِ وَٱلرَّدِّ، وَٱلْمُرَاجَعَةِ وَٱلنَّقْدِ... وَعَلَيْهِ؛ فَإِنَّ صَدْرِي مَفْتُوحٌ لِكُلِّ أَخٍ حَبِيبٍ، يَنْتَقِدُنِي ٱنْتِقَادًا عِلْمِيًّا بَنَّاءً، يُطَبِّقُ فِيهِ قَوْلَ نَبِيِّهِ ﷺ: «**لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّىٰ يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ**»[1].

وَٱللَّهُ - وَحْدَهُ - هُوَ ٱلْمُوَفِّقُ.

---

(١) رواه البخاري (١٣)، ومسلم (٤٥)، عن أنس رضي الله عنه.

فَٱللَّهَ أَسْأَلُ أَنْ يَنْفَعَ بِهَذَا ٱلْعَمَلِ؛ كَمَا نَفَعَ بِسَابِقَيْهِ، إِنَّهُ سَمِيعٌ مُجِيبٌ.

وَكَتَبَ
أَبُو ٱلْحَارِثِ ٱلْأَثَرِيُّ
عَفَا ٱللَّهُ عَنْهُ

ٱلزَّرْقَاء: لِثَمَانٍ خَلَوْنَ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ ٱلْمُبَارَكِ (١٤١٥هـ).

مُقَدِّمَةُ ٱلطَّبْعَةِ ٱلْأُولَىٰ

إِنَّ ٱلْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِٱللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّـئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ ٱللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ.

وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ.

وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

أَمَّا بَعْدُ:

فَإِنَّ ٱلْعُبُودِيَّةَ هِيَ أَعْظَمُ مَا يُحَصِّلُهُ ٱلْإِنْسَانُ فِي هَذِهِ ٱلْحَيَاةِ ٱلدُّنْيَا؛ لِتَكُونَ وَسِيلَتَهُ لِرِضَا ٱللَّهِ ـ سُبْحَانَهُ ـ وَوُرُودِ جَنَّتِهِ.

وَٱلْعُبُودِيَّةُ هِيَ ٱلْغَايَةُ ٱلَّتِي خَلَقَ ٱللَّهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ ٱلْخَلْقَ مِنْ أَجْلِهَا: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات: ٥٦].

وَٱلْعُبُودِيَّةُ هِيَ سَبَبُ إِنْزَالِ ٱلْكُتُبِ، وَإِرْسَالِ ٱلرُّسُلِ: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّـٰغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦].

«وَلَفْظُ «**ٱلْعُبُودِيَّةِ**» يَتَضَمَّنُ كَمَالَ ٱلذُّلِّ، وَكَمَالَ ٱلْحُبِّ»[(١)].

«وَبِقَدْرِ تَكْمِيلِ ٱلْعُبُودِيَّةِ تَكْمُلُ مَحَبَّةُ ٱلْعَبْدِ لِرَبِّهِ، وَتَكْمُلُ مَحَبَّةُ ٱلرَّبِّ

---

(١) هذا الكتاب (ص: ٨٨).

لِعَبْدِهِ»[١].

وَلَقَدْ وَرَدَتْ آيَاتٌ قُرْآنِيَّةٌ كَثِيرَةٌ فِي تَقْرِيرِ حَقِّ ٱلْعِبَادَةِ لِلَّهِ، وَأَنَّهُ حَقٌّ لَازِمٌ، مَطْلُوبٌ مِنَ ٱلْإِنْسِ وَٱلْجِنِّ عُمُومًا؛ مِنْ ذَلِكَ قَوْلُ رَبِّنَا ـ جَلَّتْ قُدْرَتُهُ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾﴾. [البقرة: ٢١].

وَهَذِهِ ٱلْآيَةُ ٱلْكَرِيمَةُ هِيَ ٱلَّتِي بَنَىٰ عَلَيْهَا شَيْخُ ٱلْإِسْلَامِ ٱبْنُ تَيْمِيَّةَ[٢] ـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ رِسَالَتَهُ هَذِهِ، وَهِيَ ٱلَّتِي نَحْنُ فِي صَدَدِ ٱلتَّقْدِيمِ لَهَا: «**ٱلْعُبُودِيَّةُ**».

وَهِيَ رِسَالَةٌ عَظِيمَةٌ جِدًّا، لَمْ يُصَنَّفْ مِثْلُهَا فِي بَابِهَا؛ لِمَا حَوَتْهُ مِنْ فَرَائِدِ ٱلْفَوَائِدِ، وَنَفَائِسِ ٱلْمَعَارِفِ.

فَلَمَّا كَانَ أَمْرُ هَذِهِ ٱلرِّسَالَةِ كَذَلِكَ، رَأَيْتُ لُزُومَ نَشْرِهَا وَتَحْقِيقِهَا، وَٱلتَّعْلِيقِ عَلَيْهَا، وَتَخْرِيجِ أَحَادِيثِهَا؛ بِمَا يُضَاعِفُ ـ إِنْ شَاءَ ٱللَّهُ ـ دَرَجَةَ ٱلنَّفْعِ بِهَا، وَٱلِٱسْتِفَادَةَ مِنْهَا.

فَٱللَّهَ أَسْأَلُ ٱلتَّيْسِيرَ وَٱلسَّدَادَ؛ إِنَّهُ نِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ، وَٱلْمُوَفِّقُ لِلرَّشَادِ.

وَصَلَّى ٱللَّهُ عَلَىٰ نَبِيِّهِ، وَعَبْدِهِ مُحَمَّدٍ، وَعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.

---

(١) هذا الكتاب، (ص: ٩٩، ١٠٠).

(٢) ولعظيم شهرته رَحِمَهُ ٱللَّهُ يُستغنى عن التطويل في ذِكْرِ ترجمته، **وانظر**: «التذكرة والاعتبار والانتصار للأبرار»، لابن شيخ الحزّامين ـ بتحقيقي ـ.

طَبَعَاتُ ٱلْكِتَابِ

طُبِعَتْ رِسَالَةُ «ٱلْعُبُودِيَّة» مَرَّاتٍ عِدَّةً؛ مِنْهَا سَنَوَات: [١٩٦٢م، ١٩٦٧، ١٩٧٩][1]، وَغَيْرُهَا، وَأَجْوَدُ هَذِهِ ٱلطَّبَعَاتِ هِيَ طَبْعَةُ «ٱلْمَكْتَبِ ٱلْإِسْلَامِيِّ» فِي بَيْرُوتَ، إِلَّا أَنَّهَا لَمْ تَخْلُ مِنْ نَقْصٍ، وَتَصْحِيفٍ، وَتَحْرِيفٍ، وَقُصُورٍ فِي ٱلتَّخْرِيجِ.

وَبَيَانُ شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ فِيمَا يَلِي:

١ ـ صَفْحَةُ: [٦٠]: «لَيْسَ هُوَ حَالٌّ فِيهِ، وَلَا مُتَّحِدٌ بِهِ»؛ وَصَوَابُهُ: «لَيْسَ هُوَ حَالًّا فِيهِ، وَلَا مُتَّحِدًا بِهِ».

٢ ـ صَفْحَةُ: [٦١]: حَدِيثُ: «هِيَ مِنْ قَدَرِ ٱللَّهِ».

لَمْ يُخَرَّجْ، وَهُوَ ضَعِيفٌ؛ كَمَا سَيَأْتِي فِي مَوْضِعِهِ ـ إِنْ شَاءَ ٱللَّهُ.

٣ ـ صَفْحَةُ: [١٠١]: فِي بَيَانِ أَقْسَامِ ٱلْعُبُودِيَّةِ: «مَا يَحْتَاجُ ٱلْعَبْدُ إِلَيْهِ مِنْ طَعَامِهِ وَشَرَابِهِ».

سَقَطَ مِنْهُ قَوْلُهُ: «مَا يَحْتَاجُ ٱلْعَبْدُ إِلَيْهِ [كَمَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ] مِنْ طَعَامِهِ وَشَرَابِهِ».

٤ ـ صَفْحَةُ: [١٠٥]: حَدِيثُ: «ٱلْآنَ يَا عُمَرُ!».

---

(١) «زخائر التراث العربي» (١/٦٥).

عَزَاهُ فِي ٱلتَّعْلِيقِ لِلشَّيْخَيْنِ؛ وَإِنَّمَا هُوَ مِنْ مَفَارِيدِ ٱلْبُخَارِيِّ.

٥ ـ صَفْحَةُ: [١٠٨]: قَوْلُهُ: «وَإِذَا تَبَيَّنَ هَذَا، فَكُلَّمَا ٱزْدَادَ ٱلْقَلْبُ حُبًّا لَهُ».
سَقَطَ مِنْهُ قَوْلُهُ: «... فَكُلَّمَا ٱزْدَادَ ٱلْقَلْبُ حُبًّا لَهُ [ٱزْدَادَ لَهُ] عُبُودِيَّةً».

٦ ـ صَفْحَةُ: [١٠٨]: قَوْلُهُ: «إِلَّا بِعِبَادَةِ رَبِّهِ وَحُبِّهِ وَٱلْإِنَابَةِ».
[سَقَطَ مِنْهُ]: «وَٱلْإِنَابَةِ [إِلَيْهِ]».

٧ ـ صَفْحَةُ: [١٠٩]: قَوْلُهُ: «لَا يُحِبُّ شَيْئًا لِذَاتِهِ إِلَّا لِلَّهِ».
صَوَابُهُ: «... إِلَّا ٱللَّهَ».

٨ ـ صَفْحَةُ: [١٠٩]: قَوْلُهُ: «وَلَا حَقَّ ٱلتَّوْحِيدِ وَٱلْعُبُودِيَّةِ».
وَصَوَابُهُ: «وَلَا حَقَّقَ ٱلتَّوْحِيدَ وَٱلْعُبُودِيَّةَ».

٩ ـ صَفْحَةُ: [١١١]: «سُكُوتٌ مِنَ ٱلْمُعَلِّقِ عَلَىٰ حَدِيثٍ ضَعِيفٍ؛ وَهُوَ حَدِيثُ ٱلتَّكْبِيرِ عِنْدَ ٱلْحَرِيقِ!
وَسَيَأْتِي: صَفْحَة: [٨٩].

١٠ ـ صَفْحَةُ: [١١٣]: قَوْلُهُ: «وَمِثْلُ هَذَا ٱلْقُرْآنِ كَثِيرٌ».
وَقَدْ سَقَطَ حَرْفُ ٱلْجَرِّ: «وَمِثْلُ هَذَا [فِي] ٱلْقُرْآنِ كَثِيرٌ».

١١ ـ صَفْحَةُ: [١٢٩]: سَقَطَتْ مِنْهَا صَفْحَةٌ كَامِلَةٌ! ٱسْتَدْرَكْتُهَا مِنْ «مَجْمُوعِ ٱلْفَتَاوَىٰ»، [١٠/٢٠٧].

١٢ ـ صَفْحَةُ: [١٣٨]: قَوْلُهُ: «يَا بَقَايَا ٱلْعَرَبِ!...»
صَوَابُهُ: «يَا نَعَايَا ٱلْعَرَبِ».
وَسَيَأْتِي بِشَرْحِهِ وَتَخْرِيجِهِ صَفْحَة: [١١٣].

١٣ ـ صَفْحَةُ: [١٤٩]: قَوْلُهُ: «وَأَبِي ٱلْحَسَنِ ٱلثَّورِيِّ».
صَوَابُهُ: «وَأَبُو ٱلْحُسَيْنِ ٱلنُّورِيُّ».

١٤ ـ صَفْحَةُ: [١٥٦]: حَدِيثُ: «**أَفْضَلُ مَا قُلْتُ أَنَا وَٱلنَّبِيُّونَ مِنْ قَبْلِي: لَا إِلَهَ إِلَّا ٱللَّهُ**».
عَزَاهُ فِي ٱلتَّعْلِيقِ لِمَالِكٍ فِي «ٱلْمُوَطَّإِ» مُرْسَلًا! ثُمَّ قَالَ ـ صَفْحَة: [١٦٤] مُخَالِفًا: «رَوَاهُ مَالِكٌ مُرْسَلًا بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ، وَٱلتِّرْمِذِيُّ، وَحَسَّنَهُ، وَهُوَ كَمَا قَالَ بِٱعْتِبَارِ أَنَّ لَهُ شَاهِدًا». ٱنْظُرْ: «ٱلْمِشْكَاةَ»، [٢٥٩٨]!!
وَٱنْظُرْ مَا سَيَأْتِي صَفْحَة: [١٢٤].

١٥ ـ صَفْحَةُ: [١٦٢]: حَدِيثُ: «**ٱجْعَلُوهَا فِي رُكُوعِكُمْ...**».
صَحَّحَ ٱلْمُعَلِّقُ سَنَدَهُ مَعَ أَنَّ فِيهِ رَاوِيًا مَجْهُولًا، كَمَا سَيَأْتِي صَفْحَة: [١٣٣].

١٦ ـ صَفْحَةُ: [١٦٦]: حَدِيثُ: «**أَفْضَلُ كَلِمَةٍ قَالَهَا ٱلشَّاعِرُ: كَلِمَةُ لَبِيدَ: أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مَا خَلَا ٱللَّهَ بَاطِلُ**».
عَزَاهُ لِلْبُخَارِيِّ وَحْدَهُ! وَهُوَ مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ؛ كَمَا سَيَأْتِي صَفْحَة: [١٣٨].

١٧ ـ صَفْحَةُ: [١٦٦]: قَالَ فِي ٱلْحَاشِيَةِ تَعْلِيقًا عَلَى ٱلْحَدِيثِ ٱلسَّابِقِ:
«وَتَمَامُ ٱلْبَيْتِ: وَكُلُّ نَعِيمٍ لَا مَحَالَةَ زَائِلُ»!
هَكَذَا صَنَعَ هُنَا، وَفِي طَبْعَتِهِ ٱلْجَدِيدَةِ مِنْ «صَحِيحِ ٱلْجَامِعِ»، [١٠٠٤] زَادَ هَذَا ٱلتَّمَامَ فِي صُلْبِ ٱلْحَدِيثِ، ثُمَّ عَلَّقَ بِقَوْلِهِ:

«مَا بَيْنَ ٱلْقَوْسَيْنِ زِيَادَةٌ مِنَّا، وَٱلْبَيْتُ فِي «دِيوَانِ» لَبِيد بْنِ رَبِيعَةَ ٱلْعَامِرِيُّ» صَفْحَة: [١٣٢]!

وَهَذَا ـ كَمَا هُوَ وَاضِحٌ ـ لَيْسَ مِنَ ٱلنَّهْجِ ٱلْعِلْمِيِّ فِي شَيْءٍ؛ فَٱلْحَدِيثُ شَيْءٌ، وَتَمَامُ ٱلشِّعْرِ شَيْءٌ آخَرُ.

وَلَقَدْ ذَكَرَ ٱلْحَافِظُ ٱبْنُ حَجَرَ فِي «ٱلْإِصَابَةِ»، [٤/٦]: ٱلْقِصَّةَ ٱلْمَشْهُورَةَ فِي ٱلسِّيرَةِ لِعُثْمَانَ بْنِ مَظْعُونٍ مَعَ لَبِيدَ؛ لَمَّا أَنْشَدَ قُرَيْشًا هَذِهِ ٱلْقَصِيدَةَ بِعَيْنِهَا، فَلَمَّا قَرَأَ: «**أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مَا خَلَا ٱللَّهَ بَاطِلُ**». قَالَ لَهُ عُثْمَانُ: صَدَقْتَ. فَلَمَّا قَالَ: «**وَكُلُّ نَعِيمٍ لَا مَحَالَةَ زَائِلُ**». قَالَ لَهُ عُثْمَانُ: كَذَبْتَ، نَعِيمُ ٱلْجَنَّةِ لَا يَزُولُ. فَغَضِبَ لَبِيدُ.

وَٱنْظُرْ: «ٱلْبِدَايَةَ وَٱلنِّهَايَةَ»، [٣/٩٢]، لِٱبْنِ كَثِيرٍ. وَ«فَتْحَ ٱلْبَارِي»، [٧/٥٣]، لِٱبْنِ حَجَرَ.

١٨ ـ صَفْحَةُ: [١٦٧، ١٦٨]: حَدِيثُ: «مَنْ قَرَأَ ٱلْقُرْآنَ فَأَعْرَبَهُ...» عَزَاهُ لِلتِّرْمِذِيِّ بِلَفْظٍ آخَرَ، مَعَ تَصْحِيحِ سَنَدِهِ!

مَعَ أَنَّ لَفْظَ: «**فَأَعْرَبَهُ**» وَارِدٌ ضِمْنَ حَدِيثٍ آخَرَ لَا يَصِحُّ؛ كَمَا بَيَّنْتُهُ فِي تَعْلِيقِي عَلَى «ٱلْوَصِيَّةِ ٱلْكُبْرَىٰ»، [ص: ٥٨]، لِشَيْخِ ٱلْإِسْلَامِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

قُلْتُ:

فَهَذِهِ مُلَاحَظَاتٌ عَامَّةٌ سَرِيعَةٌ، وَثَمَّتَ مُلَاحَظَاتٌ أُخْرَىٰ تُعْرَفُ بِٱلنَّظَرِ وَٱلْمُقَارَنَةِ(١).

---

(١) وبمناسبة انتقادي في هذا الموضع لطبعة المكتب الإسلامي المُشار إليها هنا أقُولُ: إنَّ النقدَ العلميَّ المحْضَ ـ لأيِّ إنسانٍ أو أيَّةِ جهةٍ ـ لا يُمثِّلُ قَدْحًا، ولا ثَلْبًا، إنَّما هو مُباحثةٌ علميَّةٌ خالصةٌ، وبالتالي فهو عُرْضَةٌ للقَبُول والردِّ، حَسَبَ ما يقتضيهِ البُرهانُ والدليلُ.

أمَّا الكلامُ الذي قد يُفْهَمُ منه ـ مِن ذلك أو مثله ـ إقْذَاعٌ ذاتيٌّ، أو تجريحٌ شخصيٌّ؛ سواءٌ للمكتب الإسلاميِّ، وصاحبه الأخ الشيخ / زهير الشاويش، أو غيرهما؛ فإنِّي أبرأُ إلى الله ـ سبحانه ـ منه.

ومن بابةِ ذلك: ما سبق أنْ نَشَرْتُهُ في رسالتي «الإيقاف...» نقلًا عن رسالة بخطِّ الأستاذ/ محمود مهدي إستانبولي ـ سدَّده الله ـ تَحْوي ذِكْرَ الأخِ الشيخ زُهير بشيءٍ ما، فإنِّي قد ظَهَرَ لي ـ بَعْدُ ـ تراجُعُ الإستانبولي عنه، واعتذارُهُ منه.

وتَبَعًا لهذا؛ فإنِّي أَرجع هنا عمَّا أثْبَتُّهُ هناك، وما بُنِيَ عليه من تعليقاتي، أداءً لحقِّ أمَانةِ العلم والأُخوةِ.

رَبَّنا لا تُؤَاخِذْنَا إنْ نَسِينا أو أخطأنا، ولا تجعل في قلوبنا غِلًّا للذين آمنوا.

والرجوعُ إلى الحقِّ خيرٌ من التمادي في ضدِّه.

واللّٰهُ وليُّ التوفيق.

هَـذَا ٱلْكِتَابُ

● **مَجْزُومٌ بِنِسْبَتِهِ لِمُصَنِّفِهِ ـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ تَعَالَىٰ:**

قَالَ ٱبْنُ عَبْدِ ٱلْهَادِي فِي «**ٱلْعُقُودِ ٱلدُّرِّيَّةِ**»، [صَفْحَة: ٤٣] عِنْدَ ذِكْرِهِ مُؤَلَّفَاتِ ٱلشَّيْخِ:

«وَقَاعِدَةٌ فِي ٱلْكَلَامِ عَلَىٰ قَوْلِهِ ـ تَعَالَىٰ ـ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ﴾...، ٱلْآيَةَ، تُسَمَّى «**ٱلْعُبُودِيَّةُ**»؛ وَهِيَ جَلِيلَةُ ٱلْقَدْرِ».

وَكَذَا نَسَبَهَا إِلَيْهِ جَمَالُ ٱلدِّينِ بْنُ المِبْرَدِ فِي «**مُعْجَمِ ٱلْكُتُبِ**»، [صَفْحَة: ١٢٠].

وَذَكَرَهَا ـ أَيْضًا ـ ٱلْإِمَامُ ٱبْنُ قَيِّمِ ٱلْجَوْزِيَّةِ فِي رِسَالَتِهِ: «**أَسْمَاءُ مُؤَلَّفَاتِ شَيْخِ ٱلْإِسْلَامِ ٱبْنِ تَيْمِيَّةَ**»، [صَفْحَة: ٩]، وَقَالَ: «نَحْوُ سَبْعِينَ وَرَقَةً».

بسم الله الرحمن الرحيم

وَبِهِ نَسْتَعِينُ

إِنَّ ٱلْحَمْدَ لِلَّهِ؛ نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِٱللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ ٱللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ.

وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ.

وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

أَمَّا بَعْدُ:

فَقَدْ سُئِلَ شَيْخُ ٱلْإِسْلَامِ وَعَلَمُ ٱلْأَعْلَامِ، نَاصِرُ ٱلسُّنَّةِ، وَقَامِعُ ٱلْبِدْعَةِ أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ ٱلْحَلِيمِ بْنِ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ عَنْ قَوْلِهِ - عَزَّ وَجَلَّ -:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ﴾ [البقرة: ٢١].

فَمَا ٱلْعِبَادَةُ؟

وَمَا فُرُوعُهَا؟

وَهَلْ مَجْمُوعُ ٱلدِّينِ دَاخِلٌ فِيهَا، أَمْ لَا؟

وَمَا حَقِيقَةُ ٱلْعُبُودِيَّةِ؟

وَهَلْ هِيَ أَعْلَى ٱلْمَقَامَاتِ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ؟ أَمْ فَوْقَهَا شَيْءٌ مِنَ ٱلْمَقَامَاتِ؟ وَلْيَبْسُطْ لَنَا ٱلْقَوْلَ فِي ذَلِكَ. فَأَجَابَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ

مَدْخَلٌ

ٱلْعِبَادَةُ: هِيَ ٱسْمٌ جَامِعٌ لِكُلِّ مَا يُحِبُّهُ ٱللَّهُ وَيَرْضَاهُ؛ مِنَ ٱلْأَقْوَالِ وَٱلْأَعْمَالِ، ٱلْبَاطِنَةِ وَٱلظَّاهِرَةِ[1]:

فَٱلصَّلَاةُ، وَٱلزَّكَاةُ، وَٱلصِّيَامُ، وَٱلْحَجُّ، وَصِدْقُ ٱلْحَدِيثِ، وَأَدَاءُ ٱلْأَمَانَةِ، وَبِرُّ ٱلْوَالِدَيْنِ، وَصِلَةُ ٱلْأَرْحَامِ، وَٱلْوَفَاءُ بِٱلْعُهُودِ، وَٱلْأَمْرُ بِٱلْمَعْرُوفِ، وَٱلنَّهْيُ عَنِ ٱلْمُنْكَرِ، وَٱلْجِهَادُ لِلْكُفَّارِ وَٱلْمُنَافِقِينَ، وَٱلْإِحْسَانُ لِلْجَارِ، وَٱلْيَتِيمِ، وَٱلْمِسْكِينِ، وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ، وَٱلْمَمْلُوكِ؛ مِنَ ٱلْآدَمِيِّينَ وَٱلْبَهَائِمِ، وَٱلدُّعَاءُ، وَٱلذِّكْرُ، وَٱلْقِرَاءَةُ، وَأَمْثَالُ ذَلِكَ: مِنَ ٱلْعِبَادَةِ.

وَكَذَلِكَ حُبُّ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَخَشْيَةُ ٱللَّهِ، وَٱلْإِنَابَةُ إِلَيْهِ، وَإِخْلَاصُ ٱلدِّينِ لَهُ، وَٱلصَّبْرُ لِحُكْمِهِ، وَٱلشُّكْرُ لِنِعَمِهِ، وَٱلرِّضَا بِقَضَائِهِ، وَٱلتَّوَكُّلُ عَلَيْهِ، وَٱلرَّجَاءُ لِرَحْمَتِهِ، وَٱلْخَوْفُ مِنْ عَذَابِهِ، وَأَمْثَالُ ذَلِكَ: هِيَ مِنَ ٱلْعِبَادَةِ لِلَّهِ.

وَذَلِكَ: أَنَّ ٱلْعِبَادَةَ لِلَّهِ هِيَ ٱلْغَايَةُ ٱلْمَحْبُوبَةُ لَهُ، وَٱلْمَرْضِيَّةُ لَهُ، وَٱلَّتِي خَلَقَ ٱلْخَلْقَ لَهَا؛ كَمَا قَالَ ٱللَّهُ ـ تَعَالَىٰ ـ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦﴾ [الذاريات: ٥٦].

وَبِهَا أُرْسِلَ جَمِيعُ ٱلرُّسُلِ؛ كَمَا قَالَ نُوحٌ لِقَوْمِهِ: ﴿ٱعْبُدُوا ٱللَّهَ مَا لَكُم

---

(١) قال المقريزي في «تجريد التوحيد المفيد» [ص: ٨٢] ـ بتحقيقي ـ: «واعلَمْ أنَّ العبادَةَ أربعُ قواعِدَ، هي: التَّحقُّقُ بما يُحبُّ اللهُ ورسولُه ويرضاه، وقيام ذلك بالقلب، واللسانِ، والجوارح؛ فالعُبوديَّةُ: اسمٌ جامعٌ لهذه المراتب الأربع، فأصحابُ العبادة حقًّا هم أصحابُها».

مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ [الأعراف: ٥٩].

وَكَذَلِكَ قَالَ هُودٌ، وَصَالِحٌ، وَشُعَيْبٌ، وَغَيْرُهُمْ لِقَوْمِهِمْ.

وَقَالَ - تَعَالَىٰ -: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ﴾ [النحل: ٣٦].

وَقَالَ - تَعَالَىٰ -: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾ [الأنبياء: ٢٥].

وَقَالَ - تَعَالَىٰ -: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴿٩٢﴾﴾ [الأنبياء: ٩٢].

كَمَا قَالَ فِي ٱلْآيَةِ ٱلْأُخْرَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُواْ صَٰلِحًا إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٥١﴾ وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ ﴿٥٢﴾﴾ [المؤمنون: ٥١ - ٥٢].

وَجَعَلَ ذَلِكَ لَازِمًا لِرَسُولِهِ إِلَى ٱلْمَوْتِ؛ كَمَا قَالَ: ﴿وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴿٩٩﴾﴾ [الحجر: ٩٩].

وَبِذَلِكَ وَصَفَ مَلَائِكَتَهُ وَأَنْبِيَاءَهُ، فَقَالَ - تَعَالَىٰ -: ﴿وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾﴾ [الأنبياء: ١٩ - ٢٠].

وَقَالَ - تَعَالَىٰ -: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسْجُدُونَ ۩ ﴿٢٠٦﴾﴾ [الأعراف: ٢٠٦].

وذمَّ ٱلْمُسْتَكْبِرِينَ عَنْهَا بِقَوْلِهِ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾ [غافر: ٦٠].

ونَعتَ صَفْوَةَ خَلْقِهِ[١] بِٱلْعُبُودِيَّةِ لَهُ، فَقَالَ ـ تَعَالَىٰ ـ: ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴿٦﴾﴾ [الإنسان: ٦].

وَقَالَ: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾﴾ [الفرقان: ٦٣].

وَلَمَّا قَالَ ٱلشَّيْطَانُ: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾﴾ [الحجر: ٣٩ ـ ٤٠].

قَالَ ٱللَّهُ ـ تَعَالَىٰ ـ: ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿٤٢﴾﴾ [الحجر: ٤٢].

وَقَالَ فِي وَصْفِ ٱلْمَلَائِكَةِ بِذَلِكَ: ﴿وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ۗ سُبْحَٰنَهُۥ ۚ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [الأنبياء: ٢٦ ـ ٢٨].

وَقَالَ ـ تَعَالَىٰ ـ: ﴿وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾ لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْـًٔا إِدًّا ﴿٨٩﴾ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَن دَعَوْا۟ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾ وَمَا يَنۢبَغِى لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾ إِن

---

(١) وهم الصالحون، القائمون بأمره.

كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَرْدًا ﴿٩٥﴾﴾ [مريم: ٨٨- ٩٥].

وَقَالَ - تَعَالَىٰ - عَنِ ٱلْمَسِيحِ ٱلَّذِي ٱدُّعِيَتْ فِيهِ ٱلْإِلَٰهِيَّةُ[١] وَٱلنُّبُوَّةُ:

﴿إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَٰهُ مَثَلًا لِّبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٥٩﴾﴾ [الزخرف: ٥٩].

وَلِهَٰذَا قَالَ ٱلنَّبِيُّ ﷺ فِي ٱلْحَدِيثِ ٱلصَّحِيحِ[٢]: «**لَا تُطْرُونِي**[٣] **كَمَا**

---

(١) كما ادَّعاه فيه النصارى؛ المحرِّفون لكتابهم، المحزِّبون لعقائدهم، وفي رسالتي «دراسة وتحليل لأصول النصرانية والأناجيل» تفصيلٌ لهذا الإجمال؛ يسَّرَ اللهُ إتمامها.

(٢) رواه البخاري (٣٤٤٥)، والدارمي (٢/٣٢٠)، وأحمد (١/٢٣، ٢٤، ٥٥)، والطيالسي (٢٤٢٤)، والبَغَوي في «شرح السنة» (١٣/٢٤٦)، وفي «الأنوار» (٤٢٠)، والترمذي في «الشمائل»، (٢٨٤)، ومَعْمَر في «جامعه» (٢٠٥٢٤)، والحميدي (١/١٦/٢٧).
والبيهقي في «دلائل النبوة» (٥/٤٩٨) عن عُمر بن الخطَّاب.

(٣) فُسِّر الإطراءُ بالمبالغةِ في المدح! وهو مُتَعَقَّبٌ.
قال شيخُنا في تعليقه على «مختصر الشمائل المحمدية»، صفحة: (١٧٥) للتِّرمِذيِّ: «حَمْلُ الحديث على المبالغة في مدحِهِ ﷺ مِمَّا لا يُناسب ما تَرجم له المؤلف رَحِمَهُ اللهُ، ألَا وهو مثلِه من الأمور التي لا يَظْهَرُ به تواضُعه كما لا يخفى، فيبعدُ أن يكون هذا هو مُرادَ المؤلف.
فلعلَّ الأولى أن يُقَال: إنَّ المراد: لا تمدحوني مطلقًا، وهو من معاني الإطراء لُغَةً، وهو وإن كان جائزًا في الأصل، فقد يُنهى عن مثلِه من بابِ سَدِّ الذريعة؛ كما هو معلوم من علم الأُصول؛ فإن فتح باب المدح قد يؤدي إلى مخالفة الشرع؛ كما هو شاهدٌ في الواقع، إمَّا جهلًا وإمَّا غُلُوًّا! ألا ترى معي إلى ما قال بعضهم - وهو البوصيري - في مدحه ﷺ: =

أَطْرَتِ ٱلنَّصَارَىٰ عِيسَىٰ ٱبْنَ مَرْيَمَ؛ فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدٌ، فَقُولُوا: عَبْدُ ٱللَّهِ وَرَسُولُهُ».

وَقَدْ نَعَتَهُ ٱللَّهُ بِٱلْعُبُودِيَّةِ فِي أَكْمَلِ أَحْوَالِهِ؛ فَقَالَ فِي ٱلْإِسْرَاءِ:

﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا﴾ [الإسراء: ١].

وَقَالَ فِي ٱلْإِيحَاءِ: ﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ۝١٠﴾ [النجم: ١٠].

وَقَالَ فِي ٱلدَّعْوَةِ:

﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا۟ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ۝١٩﴾ [الجن: ١٩].

= دَعْ مَا ٱدَّعَتْهُ ٱلنَّصَارَىٰ فِي نَبِيِّهِمِ وَٱحْكُمْ بِمَا شِئْتَ مَدْحًا فِيهِ وَٱحْتَكِمِ

كيف أوصله إلى أن قال فيه ﷺ:

فَإِنَّ مِنْ جُودِكَ ٱلدُّنْيَا وَضَرَّتَهَا وَمِنْ عُلُومِكَ عِلْمَ ٱللَّوْحِ وَٱلْقَلَمِ

وهذا مَدْحٌ بما هو باطلٌ بداهةً، ومثلُهُ كثيرٌ فيما يسمُّونه بالأناشيد الدينية.

فَنَهْيُهُ ﷺ أُمَّتَهُ عن مَدْحِه ـ بما هو جائزٌ أصلًا خشيةَ وقوعِ المادِحِ فيما لا يجوزُ. لا شك أنه من تواضعِهِ ﷺ، كما يدلُّ عليه سائر أحاديث الباب وغيرها، بخلافِ حَمْلِ النهي على المدح المحرَّم، وهذا بيِّنٌ لا يخفى إن شاء اللَّهُ.

وَيُؤَيِّدُهُ قولهُ في آخر الحديث: «إنما أنا عبدٌ...»؛ لأنه كأنَّه خَرَجَ مَخْرَجَ الجوابِ عن سؤالٍ مُقَدَّر: فماذا نقولُ في مَدْحِك يا رسول الله؟ فقال: «قولوا: عبدُ اللهِ ورسولُه». أي: قولوا ما لا شكَّ فيه شرعًا مِمَّا أنا مُتَّصِفٌ به، ولا تزيدوا عليه.

وأين هذا مما يصفُهُ بعضُ المسلمين اليومَ فيما يُسَمُّونَه بالموالدِ وغيرها، مِمَّا لَمْ يكُنْ معروفًا عند السَّلَفِ الصالح؛ كقولهم: إنه نور! وإنَّهُ أول خلق الله! وإنَّ جبريلَ كان خادِمَه ليلةَ الإسراء! وغير ذلك من الممادِحِ والأباطيل؟!

﴿فَٱعْتَبِرُوا۟ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ﴾ [ا هـ].

وانظر لزيادة الفائدة: كتابَ شيخنا «التوسُّل» (ص: ٨٠ ـ ٨٢).

وَقَالَ فِي ٱلتَّحَدِّي: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٣].

فَٱلدِّينُ كُلُّهُ دَاخِلٌ فِي ٱلْعِبَادَةِ.

وَقَدْ ثَبَتَ فِي «ٱلصَّحِيحِ»:[١] أَنَّ جِبْرِيلَ لَمَّا جَاءَ إِلَى ٱلنَّبِيِّ ﷺ فِي صُورَةِ أَعْرَابِيٍّ، وَسَأَلَهُ عَنِ ٱلْإِسْلَامِ؟ قَالَ: **«أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا ٱللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ ٱللَّهِ، وَتُقِيمَ ٱلصَّلَاةَ، وَتُؤْتِيَ ٱلزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ ٱلْبَيْتَ إِنِ ٱسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا»**.

قَالَ: فَمَا ٱلْإِيمَانُ؟

قَالَ: **«أَنْ تُؤْمِنَ بِٱللَّهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَٱلْبَعْثِ بَعْدَ ٱلْمَوْتِ، وَتُؤْمِنَ بِٱلْقَدَرِ؛ خَيْرِهِ، وَشَرِّهِ»**.

قَالَ: فَمَا ٱلْإِحْسَانُ؟

قَالَ: **«أَنْ تَعْبُدَ ٱللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ؛ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ، فَإِنَّهُ يَرَاكَ»**.

ثُمَّ قَالَ فِي آخِرِ ٱلْحَدِيثِ: **«هَذَا جِبْرِيلُ جَاءَكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ»**.

فَجَعَلَ هَذَا كُلَّهُ فِي ٱلدِّينِ.

---

(١) «صحيح مسلم» (رقم ٨). ورواه ـ أيضًا ـ النسائي (٩٧/٨)، والترمذي (٢٧٣٨)، وأبو داود (٤٦٩٥)، وابن ماجه (٦٣)، وأحمد (٢٧/١، ٢٨، ٥٢، ٥٣)، عن عمر. ورواه البخاري (١٠٦/١)، ومسلم (٩، ١٠)، وابن ماجه (٦٤). وأحمد (٤٢٦/٢)، عن أبي هريرة.

ورواه أحمد (٣١٩/١)، والبزار (٢٤)، عن ابن عباس.

ورواه النسائي (١٠١/٨)، وأبو داود (٤٦٩٨)، عن أبي ذرٍّ، وأبي هريرة.

وَٱلدِّينُ يَتَضَمَّنُ مَعْنَى ٱلْخُضُوعِ وَٱلذُّلِّ، يُقَالُ: دِنْتُهُ[١]، فَدَانَ. أَيْ: ذَلَّلْتُهُ، فَذَلَّ.

وَيُقَالُ: يَدِينُ[٢] ٱللَّهَ، وَيَدِينُ لِلَّهِ. أَيْ: يَعْبُدُ ٱللَّهَ، وَيُطِيعُهُ، وَيَخْضَعُ لَهُ.

فَدِينُ ٱللَّهِ: عِبَادَتُهُ، وَطَاعَتُهُ، وَٱلْخُضُوعُ لَهُ.

وَٱلْعِبَادَةُ أَصْلُ مَعْنَاهَا ٱلذُّلُّ أَيْضًا، يُقَالُ: طَرِيقٌ مُعَبَّدٌ؛ إِذَا كَانَ مُذَلَّلًا قَدْ وَطِئَتْهُ ٱلْأَقْدَامُ.

لَكِنِ ٱلْعِبَادَةُ ٱلْمَأْمُورُ بِهَا تَتَضَمَّنُ مَعْنَى ٱلذُّلِّ، وَمَعْنَى ٱلْحُبِّ؛ فَهِيَ تَتَضَمَّنُ غَايَةَ ٱلذُّلِّ لِلَّهِ ـ تَعَالَىٰ ـ بِغَايَةِ ٱلْمَحَبَّةِ لَهُ.

فَإِنَّ آخِرَ مَرَاتِبِ ٱلْحُبِّ[٣]: هُوَ ٱلتَّتَيُّمُ، وَأَوَّلُهُ: ٱلْعِلَاقَةُ؛ لِتَعَلُّقِ ٱلْقَلْبِ بِٱلْمَحْبُوبِ، ثُمَّ ٱلصَّبَابَةُ؛ لِٱنْصِبَابِ ٱلْقَلْبِ إِلَيْهِ، ثُمَّ ٱلْغَرَامُ، وَهُوَ ٱلْحُبُّ ٱللَّازِمُ لِلْقَلْبِ، ثُمَّ ٱلْعِشْقُ، وَآخِرُهَا ٱلتَّتَيُّمُ، يُقَالُ: تَيْمُ ٱللَّهِ. أَيْ: عَبْدُ ٱللَّهِ.

فَٱلْمُتَيَّمُ: ٱلْعَبْدُ لِمَحْبُوبِهِ.

وَمَنْ خَضَعَ لِإِنْسَانٍ مَعَ بُغْضِهِ لَهُ لَا يَكُونُ عَابِدًا لَهُ، وَلَوْ أَحَبَّ شَيْئًا وَلَمْ يَخْضَعْ لَهُ لَمْ يَكُنْ لَهُ عَابِدًا؛ كَمَا قَدْ يُحِبُّ وَلَدَهُ وَصَدِيقَهُ.

وَلِهَذَا لَا يَكْفِي أَحَدُهُمَا فِي عِبَادَةِ ٱللَّهِ ـ تَعَالَىٰ ـ، بَلْ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ

---

(١) «القاموس المحيط»، (ص: ١٥٤٦)، «مختار الصحاح»، (ص: ٢١٧)، «المصباح المنير» (ص: ٢٠٥).

(٢) ومن الأخطاء الفظيعة الشائعة في هذِهِ الكلمةِ: ضمُّ الياء: «يُدين»، وهي هكذا: الإدانة! وهو الاتّهام!

(٣) انظر هذه المراتب مُفَصَّلةً عند تلميذ المؤلف: العلامة ابن قَيِّم الجوزية في «رَوْضة المحبّين» (ص: ١٦)، و«إغاثة اللفهان» (ص: ١٠٣) ـ موارد الأمان ـ بقلمي.

ٱللَّهُ أَحَبَّ إِلَى ٱلْعَبْدِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ، وَأَنْ يَكُونَ ٱللَّهُ أَعْظَمَ عِنْدَهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ، بَلْ لَا يَسْتَحِقُّ ٱلْمَحَبَّةَ، وَٱلذُّلَّ ٱلتَّامَّ إِلَّا ٱللَّهُ.

وَكُلُّ مَا أُحِبَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ فَمَحَبَّتُهُ فَاسِدَةٌ، وَمَا عُظِّمَ بِغَيْرِ أَمْرِ ٱللَّهِ كَانَ تَعْظِيمُهُ بَاطِلًا.

قَالَ ٱللَّهُ ـ تَعَالَىٰ ـ: ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ﴾ [التوبة: ٢٤].

فَجِنْسُ ٱلْمَحَبَّةِ تَكُونُ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ، كَٱلطَّاعَةِ؛ فَإِنَّ ٱلطَّاعَةَ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ، وَٱلْإِرْضَاءُ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ: ﴿وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ﴾ [التوبة: ٦٢]، وَٱلْإِيتَاءُ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا۟ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ﴾ [التوبة: ٥٩].

وَأَمَّا ٱلْعِبَادَةُ، وَمَا يُنَاسِبُهَا مِنَ ٱلتَّوَكُّلِ، وَٱلْخَوْفِ، وَنَحْوِ ذَٰلِكَ، فَلَا تَكُونُ إِلَّا لِلَّهِ وَحْدَهُ؛ كَمَا قَالَ ـ تَعَالَىٰ ـ: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [آل عمران: ٦٤].

وَقَالَ ـ تَعَالَىٰ ـ: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا۟ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ سَيُؤْتِينَا ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَرَسُولُهُۥٓ إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ ﴿٥٩﴾﴾ [التوبة: ٥٩].

فَالْإِيتَاءُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ؛ كَقَوْلِهِ: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر: ٧].

وَأَمَّا ٱلْحَسْبُ - وَهُوَ ٱلْكَافِي -: فَهُوَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ؛ كَمَا قَالَ - تَعَالَىٰ -: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾﴾ [آل عمران: ١٧٣].

وَقَالَ - تَعَالَىٰ -:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٤﴾﴾ [الأنفال: ٦٤].

أَيْ: حَسْبُكَ وَحَسْبُ مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ: ٱللَّهُ.

وَمَنْ ظَنَّ أَنَّ ٱلْمَعْنَىٰ: حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَٱلْمُؤْمِنُونَ مَعَهُ؛ فَقَدْ غَلِطَ غَلَطًا فَاحِشًا؛ كَمَا قَدْ بَسَطْنَاهُ فِي غَيْرِ هَذَا ٱلْمَوْضِعِ(١).

وَقَالَ - تَعَالَىٰ -: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ﴾ [الزمر: ٣٦].

---

(١) قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «منهاج السنة»، (٧/٢٠١) مفسّرًا الآية التفسير الصحيح: «معناه: أن الله حَسْبُكَ وحَسْبُ من اتَّبَعَكَ مِنَ المُؤمنين، فهو وحدَه كافيك، وكافي مَن مَعَك من المؤمنين.

وهذا كما تقولُ العرب: حَسْبُكَ وزيدًا دِرهَمٌ. ومنه قولُ الشاعر:

.... فَحَسْبُكَ وَالضَّحَّاكَ سَيْفٌ مُهَنَّدُ

ثمّ طوّل - رحمه الله تعالى - في تقرير ذلك.

وانظر: (٢/٣٢)، و(٨/٤٨٧) منه.

وقد فات هذا الموضعُ صاحبَ «دقائق التفسير»!

(فائدة:) بهذا تعرفُ غَلَطًا شائعًا بين الناس عندما يقول أحدُهم للآخر: «أنا محسوبك» فهذا غَلَطٌ بيِّنٌ، حقُّه أن يُلْحَقَ بـ«المناهي اللفظية». والله الهادي.

وَتَحْرِيرُ ذَلِكَ: أَنَّ ٱلعَبْدَ يُرَادُ بِهِ ٱلْمُعَبَّدُ ٱلَّذِي عَبَّدَهُ ٱللَّهُ؛ فَذَلَّلَهُ، وَدَبَّرَهُ، وَصَرَّفَهُ.

وَبِهَذَا ٱلِٱعْتِبَارِ: فَٱلْمَخْلُوقُونَ كُلُّهُمْ عِبَادُ ٱللَّهِ: ٱلْأَبْرَارُ مِنْهُمْ، وَٱلْفُجَّارُ، وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْكُفَّارُ، وَأَهْلُ ٱلْجَنَّةِ، وَأَهْلُ ٱلنَّارِ؛ إِذْ هُوَ رَبُّهُمْ كُلِّهِمْ، وَمَلِيكُهُمْ، لَا يَخْرُجُونَ عَنْ مَشِيئَتِهِ وَقُدْرَتِهِ، وَكَلِمَاتِهِ ٱلتَّامَّاتِ ٱلَّتِي لَا يُجَاوِزُهُنَّ بَرٌّ وَلَا فَاجِرٌ[1]؛ فَمَا شَاءَ كَانَ، وَإِنْ لَمْ يَشَاؤُوا، وَمَا شَاؤُوا إِنْ لَمْ يَشَأْهُ لَمْ يَكُنْ؛ كَمَا قَالَ ـ تَعَالَىٰ ـ:

﴿أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾﴾ [آل عمران: ٨٣].

فَهُوَ ـ سُبْحَانَهُ ـ رَبُّ ٱلْعَالَمِينَ، وَخَالِقُهُمْ، وَرَازِقُهُمْ، وَمُحْيِيهِمْ، وَمُمِيتُهُمْ،

---

(١) وفي هذا إشارة إلى ما صَحَّ عن النبي ﷺ مِن قوله: «أتاني جبريلُ فقال: يا محمد! قُل. قلتُ: وما أقول؟ قال: قل: أعوذ بكلمات الله التامات التي لا يُجاوِزهُنَّ بَرٌّ ولا فاجرٌ مِن شَرِّ ما خَلَقَ». ... إلخ.

رواه أحمد (٣/١٩)، وابن السني (٦٣١)، والأزدي في «المخزون» (١٢٢)، والبخاريُّ في «التاريخ» (٣/١/٢٤٨)، والدارقطني في «المؤتلف» (٢/٦٩٧) وغيرهم، عن عبدالرحمن بن خَنْبَش بسندٍ حَسَنٍ.

وأورده السيوطي في «جمع الجوامع» (رقم: ٥٠١٨ ـ ترتيب)، وزاد نسبته لابن أبي شيبة، والبزّار، والحسن بن سفيان، وأبي زُرعة، وابن منده، وأبي نُعيم في «الدلائل».

وأورده: (٣٩٨٠) مِن مُرسل مكحول عن ابن أبي شيبة.

وانظر: «تعجيل المنفعة» (صفحة: ٢٤٩)، و«الإصابة» (٤/٣٠٠ ـ ٣٠١).

وَمُقَلِّبُ قُلُوبِهِمْ، وَمُصَرِّفُ أُمُورِهِمْ، لَا رَبَّ غَيْرُهُ، وَلَا مَالِكَ لَهُمْ سِوَاهُ، وَلَا خَالِقَ لَهُمْ إِلَّا هُوَ؛ سَوَاءٌ ٱعْتَرَفُوا بِذَلِكَ، أَوْ أَنْكَرُوهُ، وَسَوَاءٌ عَلِمُوا ذَلِكَ أَوْ جَهِلُوهُ، لَكِنْ أَهْلُ ٱلْإِيمَانِ مِنْهُمْ عَرَفُوا ذَلِكَ، وَٱعْتَرَفُوا بِهِ، بِخِلَافِ مَنْ كَانَ جَاهِلًا بِذَلِكَ، أَوْ جَاحِدًا لَهُ، مُسْتَكْبِرًا عَلَىٰ رَبِّهِ، وَلَا يُقِرُّ، وَلَا يَخْضَعُ لَهُ، مَعَ عِلْمِهِ بِأَنَّ ٱللَّهَ رَبُّهُ وَخَالِقُهُ.

فَٱلْمَعْرِفَةُ بِٱلْحَقِّ إِذَا كَانَتْ مَعَ ٱلِٱسْتِكْبَارِ عَنْ قَبُولِهِ وَٱلْجَحْدِ لَهُ، كَانَ عَذَابًا عَلَىٰ صَاحِبِهِ؛ كَمَا قَالَ - تَعَالَىٰ -: ﴿وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ۚ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٤﴾﴾ [النمل: ١٤].

وَقَالَ - تَعَالَىٰ -: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَـٰهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤٦﴾﴾ [البقرة: ١٤٦].

وَقَالَ - تَعَالَىٰ -: ﴿فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَـٰكِنَّ ٱلظَّـٰلِمِينَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ [الأنعام: ٣٣].

فَإِنِ ٱعْتَرَفَ ٱلْعَبْدُ أَنَّ ٱللَّهَ رَبُّهُ وَخَالِقُهُ، وَأَنَّهُ مُفْتَقِرٌ إِلَيْهِ، مُحْتَاجٌ إِلَيْهِ؛ عَرَفَ ٱلْعُبُودِيَّةَ ٱلْمُتَعَلِّقَةَ بِرُبُوبِيَّةِ ٱللَّهِ، وَهَذَا ٱلْعَبْدُ يَسْأَلُ رَبَّهُ، وَيَتَضَرَّعُ إِلَيْهِ، وَيَتَوَكَّلُ عَلَيْهِ، لَكِنْ قَدْ يُطِيعُ أَمْرَهُ، وَقَدْ يَعْصِيهِ، وَقَدْ يَعْبُدُهُ مَعَ ذَلِكَ، وَقَدْ يَعْبُدُ ٱلشَّيْطَانَ وَٱلْأَصْنَامَ.

وَمِثْلُ هَذِهِ ٱلْعُبُودِيَّةِ لَا تُفَرِّقُ بَيْنَ أَهْلِ ٱلْجَنَّةِ وَأَهْلِ ٱلنَّارِ، وَلَا يَصِيرُ بِهَا ٱلرَّجُلُ مُؤْمِنًا؛ كَمَا قَالَ - تَعَالَىٰ -: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾﴾ [يوسف: ١٠٦].

فَإِنَّ ٱلْمُشْرِكِينَ كَانُوا يُقِرُّونَ أَنَّ ٱللَّهَ خَالِقُهُمْ وَرَازِقُهُمْ، وَهُمْ يَعْبُدُونَ

غَيْرَهُ، قَالَ ـ تَعَالَىٰ ـ: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ [الزمر: ٣٨].

وَقَالَ ـ تَعَالَىٰ ـ:

﴿قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝٨٤ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ۝٨٥ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ۝٨٦ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ۝٨٧ قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝٨٨ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ۝٨٩﴾ [المؤمنون: ٨٤: ٨٩].

وَكَثِيرٌ مِمَّنْ يَتَكَلَّمُ فِي ٱلْحَقِيقَةِ[١] وَيَشْهَدُهَا، يَشْهَدُ هَذِهِ ٱلْحَقِيقَةَ، وَهِيَ ٱلْحَقِيقَةُ ٱلْكَوْنِيَّةُ ٱلَّتِي يَشْتَرِكُ فِيهَا، وَفِي شُهُودِهَا، وَفِي مَعْرِفَتِهَا: ٱلْمُؤْمِنُ وَٱلْكَافِرُ، وَٱلْبَرُّ وَٱلْفَاجِرُ، بَلْ وَإِبْلِيسُ مُعْتَرِفٌ بِهَذِهِ ٱلْحَقِيقَةِ، وَأَهْلُ ٱلنَّارِ:

قَالَ إِبْلِيسُ: ﴿رَبِّ فَأَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [ص: ٧٩].

وَقَالَ: ﴿رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الحجر: ٣٩].

وَقَالَ: ﴿أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٦٢].

وَأَمْثَالُ هَذَا مِنَ ٱلْخِطَابِ ٱلَّذِي يُقِرُّ فِيهِ بِأَنَّ ٱللَّهَ رَبُّهُ وَخَالِقُهُ وَخَالِقُ غَيْرِهِ.

---

(١) أي: حقيقة الربوبية، ووجود اللهِ ـ تعالى ـ؛ كالصُّوفية، وأمثالهم!

وَكَذَلِكَ أَهْلُ ٱلنَّارِ:

﴿قَالُواْ رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَآلِّينَ ﴿١٠٦﴾﴾ [المؤمنون: ١٠٦].

وَقَالَ - تَعَالَىٰ - عَنْهُمْ: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمْۚ قَالَ أَلَيْسَ هَٰذَا بِٱلْحَقِّۚ قَالُواْ بَلَىٰ وَرَبِّنَاۚ﴾ [الأنعام: ٣٠].

فَمَنْ وَقَفَ عِنْدَ هٰذِهِ ٱلْحَقِيقَةِ وَعِنْدَ شُهُودِهَا، وَلَمْ يَقُمْ بِمَا أَمَرَ بِهِ مِنَ ٱلْحَقِيقَةِ ٱلدِّينِيَّةِ؛ ٱلَّتِي هِيَ عِبَادَتُهُ ٱلْمُتَعَلِّقَةُ بِأُلُوهِيَّتِهِ، وَطَاعَةُ أَمْرِهِ، وَأَمْرِ رَسُولِهِ؛ كَانَ مِنْ جِنْسِ إِبْلِيسَ، وَأَهْلِ ٱلنَّارِ.

وَإِنْ ظَنَّ مَعَ ذَلِكَ أَنَّهُ مِنْ خَوَاصِّ أَوْلِيَاءِ ٱللَّهِ، وَأَهْلِ ٱلْمَعْرِفَةِ وَٱلتَّحْقِيقِ - ٱلَّذِينَ سَقَطَ عَنْهُمُ ٱلْأَمْرُ وَٱلنَّهْيُ ٱلشَّرْعِيَّانِ - كَانَ مِنْ شَرِّ أَهْلِ ٱلْكُفْرِ وَٱلْإِلْحَادِ[(١)].

وَمَنْ ظَنَّ أَنَّ ٱلْخَضِرَ[(٢)] وَغَيْرَهُ سَقَطَ عَنْهُمُ ٱلْأَمْرُ؛ لِمُشَاهَدَةِ ٱلْإِرَادَةِ، وَنَحْوِ ذَلِكَ؛ كَانَ قَوْلُهُ هَذَا مِنْ شَرِّ أَقْوَالِ ٱلْكَافِرِينَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ، حَتَّىٰ يَدْخُلَ فِي ٱلنَّوْعِ ٱلثَّانِي مِنْ مَعْنَى ٱلْعَبْدِ؛ وَهُوَ: ٱلْعَبْدُ بِمَعْنَى ٱلْعَابِدِ، فَيَكُونَ عَابِدًا لِلَّهِ، لَا يَعْبُدُ إِلَّا إِيَّاهُ، فَيُطِيعَ أَمْرَهُ، وَأَمْرَ رُسُلِهِ، وَيُوَالِيَ أَوْلِيَاءَهُ

---

(١) قارن بما كَتَبَهُ الإمامُ ابنُ الجوزي في كتابه النافع المستطاب «تلبيس إبليس»، (صفحة: ٤٥٦) - المنتقى النفيس / بقلمي.

(٢) وللمصنِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ كلامٌ مطوَّلٌ حولَ الخضِرِ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وَرَدٌّ كثيرٌ من الاعتقادات الباطلة التي حاكها حوله الصوفيَّةُ، وغيرُهم من المنحرفين، فانظر: «مجموع الفتاوى» (٤/٣٣٧ - ٣٤١، ١٠/٤٣٤، ١١/٤٣٠، ١٣/٢٦٦، ٢٧/١٠٠ - ١٠٢)، وغيرها.

ٱلْمُؤْمِنِينَ، وَيُعَادِي أَعْدَاءَهُ.

وَهَذِهِ ٱلْعِبَادَةُ مُتَعَلِّقَةٌ بِإِلَاهِيَّتِهِ ـ تَعَالَىٰ ـ، وَلِهَذَا كَانَ عُنْوَانُ ٱلتَّوْحِيدِ: «**لَا إِلَهَ إِلَّا ٱللَّهُ**».

بِخِلَافِ مَنْ يُقِرُّ بِرُبُوبِيَّتِهِ، وَلَا يَعْبُدُهُ، أَوْ يَعْبُدُ مَعَهُ إِلَهًا آخَرَ.

فَٱلْإِلَهُ: هُوَ ٱلَّذِي يَأْلَهُهُ ٱلْقَلْبُ؛ بِكَمَالِ ٱلْحُبِّ وَٱلتَّعْظِيمِ، وَٱلْإِجْلَالِ وَٱلْإِكْرَامِ، وَٱلْخَوْفِ وَٱلرَّجَاءِ، وَنَحْوِ ذَلِكَ.

وَهَذِهِ ٱلْعِبَادَةُ هِيَ ٱلَّتِي يُحِبُّهَا ٱللَّهُ وَيَرْضَاهَا، وَبِهَا وَصَفَ ٱلْمُصْطَفَيْنَ مِنْ عِبَادِهِ، وَبِهَا بَعَثَ رُسُلَهُ.

وَأَمَّا ٱلْعَبْدُ بِمَعْنَى: ٱلْمُعَبَّدِ ـ سَوَاءٌ أَقَرَّ بِذَلِكَ أَوْ أَنْكَرَهُ ـ فَهَذَا ٱلْمَعْنَىٰ يَشْتَرِكُ فِيهِ ٱلْمُؤْمِنُ وَٱلْكَافِرُ.

وَبِٱلْفَرْقِ بَيْنَ هَذَيْنِ ٱلنَّوْعَيْنِ يُعْرَفُ ٱلْفَرْقُ بَيْنَ ٱلْحَقَائِقِ ٱلدِّينِيَّةِ، ٱلدَّاخِلَةِ فِي عِبَادَةِ ٱللَّهِ وَدِينِهِ، وَأَمْرِهِ ٱلشَّرْعِيِّ، ٱلَّتِي يُحِبُّهَا، وَيَرْضَاهَا، وَيُوَالِي أَهْلَهَا، وَيُكْرِمُهُمْ بِجَنَّتِهِ، وَبَيْنَ ٱلْحَقَائِقِ ٱلْكَوْنِيَّةِ ٱلَّتِي يَشْتَرِكُ فِيهَا ٱلْمُؤْمِنُ وَٱلْكَافِرُ، وَٱلْبَرُّ وَٱلْفَاجِرُ، ٱلَّتِي مَنِ ٱكْتَفَىٰ بِهَا، وَلَمْ يَتَّبِعِ ٱلْحَقَائِقَ ٱلدِّينِيَّةَ، كَانَ مِنْ أَتْبَاعِ إِبْلِيسَ ٱللَّعِينِ، وَٱلْكَافِرِينَ بِرَبِّ ٱلْعَالَمِينَ، وَمَنِ ٱكْتَفَىٰ بِهَا فِي بَعْضِ ٱلْأُمُورِ دُونَ بَعْضٍ، أَوْ فِي مَقَامٍ دُونَ مَقَامٍ، أَوْ حَالٍ دُونَ حَالٍ، نَقَصَ مِنْ إِيمَانِهِ وَوَلَايَتِهِ لِلَّهِ، بِحَسَبِ مَا نَقَصَ مِنَ ٱلْحَقَائِقِ ٱلدِّينِيَّةِ.

وَهَذَا مَقَامٌ عَظِيمٌ، غَلِطَ فِيهِ ٱلْغَالِطُونَ، وَكَثُرَ فِيهِ ٱلِٱشْتِبَاهُ عَلَى ٱلسَّالِكِينَ، حَتَّى زَلِقَ فِيهِ مِنْ أَكَابِرِ ٱلشُّيُوخِ ٱلْمُدَّعِينَ لِلتَّحْقِيقِ وَٱلتَّوْحِيدِ

وَٱلْعِرْفَانِ، مَا لَا يُحْصِيهِمْ إِلَّا ٱللَّهُ ٱلَّذِي يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَٱلْإِعْلَانَ.

وَإِلَىٰ هَذَا أَشَارَ ٱلشَّيْخُ عَبْدُ ٱلْقَادِرِ[١] رَحِمَهُ ٱللَّهُ فِيمَا ذُكِرَ[٢] عَنْهُ، فَبَيَّنَ أَنَّ كَثِيرًا مِنَ ٱلرِّجَالِ إِذَا وَصَلُوا إِلَى ٱلْقَضَاءِ وَٱلْقَدَرِ أَمْسَكُوا[٣]، إِلَّا أَنَا؛ فَإِنِّي ٱنْفَتَحَتْ لِي فِيهِ رَوْزَنَةٌ[٤]، فَنَازَعْتُ أَقْدَارَ ٱلْحَقِّ لِلْحَقِّ، وَٱلرَّجُلُ مَنْ يَكُونُ مُنَازِعًا لِلْقَدَرِ، لَا مَنْ يَكُونُ مُوَافِقًا لِلْقَدَرِ[٥].

وَٱلَّذِي ذَكَرَهُ ٱلشَّيْخُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ هُوَ ٱلَّذِي أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِ وَرَسُولُهُ.

---

(١) هو الجيلاني، أحد العُلماء الزُّهَّاد، له كتاب «الغُنْيَة»، وهو مطبوعٌ مشهورٌ؛ توفي سنة (٥٦١ هـ)
تَرْجَمَهُ الذهبيُّ في «سير أعلام النبلاء» (٢٠/٤٥١)، وختم ترجمتَه بقوله:
«وفي الجملةِ: الشيخُ عبدُ القادر كبيرُ الشَّأنِ، وعليه مآخِذُ في بعضِ أقوالِهِ ودَعَاويه، واللَّهُ الموعِدُ، وبعض ذلك مكذوبٌ عليه».

(٢) يُلاحَظُ أنَّهُ صدَّر العبارة بصيغة التمريض.

(٣) وهو الصوابُ؛ إذ ينبغي عدمُ الاسترسال في مسائل القدر؛ كما صحَّ عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «إذا ذُكر القَدَر فأمسكوا».
انظر: تخريجه في «الصحيحة» (٣٤).

(٤) وهي كالنافذة.

(٥) وفي «مجموع الفتاوى» (٨/٥٤٧) جوابٌ مُفَصَّلٌ على هذه الكلمةِ، أنقُله بنصِّهِ لتمام الفائدة: «الحمدُ للَّهِ... وبعد؛ فإنَّ جميع الحوادث كائنةٌ بقضاءِ اللَّهِ وقَدَرِه، وَقَد أمَرنا اللَّهُ ـ سُبحانه ـ أن نُزيلَ الشرَّ بالخير بحَسَبِ الإمكانِ، ونُزيلَ الكُفْرَ بالإيمانِ، والبِدْعَة بالسُّنَّةِ، والمعصيةَ بالطاعةِ مِنْ أنْفُسِنَا، ومِنْ عندِنا؛ فكُلُّ مَن كَفَرَ أو فَسَقَ أو عصى فعليه أن يتوب، وإنْ كانَ ذلك بقَدر اللهِ، وعليه أنْ يأمُرَ غَيْرَه بالمعروفِ، وينهاهُ عن المنكرِ، بِحَسَبِ الإمكانِ، ويجاهِدُ في سبيل اللهِ، وإن كان ما يَعْمَلُهُ مِنَ المنكرِ والكُفرِ والفسوقِ والعصيانِ بقَدَرِ اللَّهِ، ليس للإنسانِ أنْ يَدَعَ السَّعيَ فيما ينفعَهُ اللَّهُ به متَّكِلًا على القَدَرِ، بل يفعلُ ما أَمَرَ اللهُ ورسولُه؛ كما =

لكِنْ كَثِيرٌ مِنَ ٱلرِّجَالِ غَلِطُوا فِيهِ؛ فَإِنَّهُمْ قَدْ يَشْهَدُونَ مَا يُقَدَّرُ عَلَىٰ

= روى مسلمٌ في «صحيحه»،[١] عن النبي ﷺ أنه قال: «المؤمنُ القويُّ خيرٌ وأحَبُّ إلى اللهِ مِنَ المؤمنِ الضعيفِ، وفي كُلٍّ خيرٌ، احرِصْ على ما ينفعُكَ، واستَعِنْ باللهِ، ولا تَعْجَزنَّ، وإنْ أصابَكَ شيءٌ فلا تَقُلْ: لو أنِّي فعلتُ كذا، لكان كذا وكذا، ولكِنْ قُلْ: قَدَّرَ اللَّهُ، وما شاءَ فَعَلَ؛ فإنَّ لو تفتحُ عملَ الشَّيطانِ».

فأمرَ النبيُّ ﷺ المسلمَ أنْ يحْرِصَ على ما ينفَعُهُ، والذي ينفَعُهُ يحتاجُ إلى مُنَازَعَةِ شياطينِ الإنْسِ والجِنِّ، ودَفْعِ ما قُدِّرَ مِنَ الشرِّ بما قَدَّره اللَّهُ مِنَ الخيرِ.

وعليه مع ذلك أنْ يستعين باللَّهِ؛ فإنَّهُ لا حَوْلَ ولا قُوَّةَ إلا بِهِ، وأن يكون عملُه خالِصًا للَّهِ؛ فإنَّ اللَّهَ لا يَقْبَلُ مِنَ العمل إلا ما أُريدَ به وَجْهُهُ، وهذا حقيقةُ قولِكَ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾. والذي قَبْلَهُ حقيقةُ ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٤]. فعليه أنْ يعبُدَ اللَّهَ بفعلِ المأمورِ وتَرْكِ المحظورِ، وأنْ يكون مُستعينًا باللَّهِ على ذلك.

وفي عبادة اللهِ وطاعتهِ فيما أَمَرَ إزالةُ ما قُدِّرَ من الشرِّ بما قُدِّر مِنَ الخيرِ، ودَفْعُ ما يريدُه الشَّيطانُ، وَيَسْعى فيه مِنَ الشرِّ قبلَ أنْ يَصِلَ بما يدفعُهُ اللَّهُ به مِنَ الخيرِ. قال اللهُ ـ تعالى ـ: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ﴾ [البقرة: ٢٥١]. كما يدفَعُ شرَّ الكُفَّارِ والفُجَّارِ الذي في نفوسهم، والذي سَعوا فيه بالحقِّ؛ كإعدادِ القُوَّةِ، ورباطِ الخيلِ، وكالدُّعاءِ، والصَّدَقَةِ، اللذين يدفعانِ البلاءَ، كما جاءَ في الحديث: «إِنَّ ٱلدُّعَاءَ وَٱلْبَلَاءَ لَيَلْتَقِيَانِ فَيَعْتَلِجَانِ بَيْنَ ٱلسَّمَاءِ وَٱلْأَرْضِ»[٢].

فالشَّرُّ تارةً يكونُ قد انعقدَ سَبَبُهُ، وخِيفَ، فَيَدفَعُ وُصولَهُ، فيدْفَعُ الكفَّارَ إذا قَصَدُوا بلادَ الإسلامِ، وتارةً يكون قد وُجِدَ، فَيُزَالُ، وتُبَدَّلُ السيئاتُ بالحسناتِ. =

---

[١] برقم: (٢٦٦٤).

[٢] رواه الحاكم (٤٩٢/١)، والبزَّار (٢١٦٥)، والخطيب (٤٥٣/٨)، وابن الجوزي في «الواهيات»، و(١٤١١) عن عائشة ﵂.

ويشهد له قوله ﷺ: «لَا يَرُدُّ ٱلْقَضَاءَ إِلَّا ٱلدُّعَاءُ»، رواه الترمذي (٢١٤٠)، والطحاوي في «المشكل»، (١٦٩/٤)، عن سلمان بسندٍ فيه ضعف أيضًا.

أَحَدِهِمْ مِنَ ٱلْمَعَاصِي وَٱلذُّنُوبِ، أَوْ مَا يُقَدَّرُ عَلَى ٱلنَّاسِ مِنْ ذَٰلِكَ، بَلْ مِنَ

= وكلُّ هذا مِنْ بابِ دَفْعِ ما قُدِّرَ مِنَ الشَّرِّ بما قُدِّرَ مِنَ الخَيْرِ، هذا واجبٌ تارةً، ومُسْتَحَبٌّ تارةً.

فالذي ذَكَرَهُ الشيخُ رَحِمَهُ اللَّهُ هو الذي أمرَ اللَّهُ به ورسولُه.

والمقصودُ من ذلك: أنَّ كثيرًا مِنْ أهلِ السُّلوكِ والإرادةِ يشهدون ربوبيَّة الربِّ، وما قَدَّرَهُ مِنَ الأمورِ التي يَنْهى عنها، فيقفونَ عِندَ شُهُودِ هذه الحقيقة الكونيَّةِ، ويَظُنُّونَ أنَّ هذا مِنْ بابِ الرِّضَا بالقضاءِ والتَّسْليمِ!

وهذا جَهْلٌ وضَلالٌ قد يُؤَدِّي إلى الكُفْرِ والانسلاخ من الدِّين؛ فإنَّ الله لم يَأمرْنا أنْ نَرضَى بما يَقَعُ مِنَ الكُفْرِ والفسوقِ والعصيانِ، بل أَمَرَنا أَنْ نَكْرَهَ ذلك، ونَدْفَعَهُ بحَسَبِ الإمكانِ؛ كما قال النبي ﷺ: «مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ ٱلْإِيمَانِ»[١].

واللهُ ـ تعالى ـ قد قال: ﴿وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ﴾ [الزمر: ٧]. وقال: ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ﴾ [البقرة: ٢٠٥]. فكيف يَأْمُرُنا أن نَرضَى لأَنْفُسِنا ما لا يرضاهُ لنا، وهو جَعَلَ ما يكونُ مِنَ الشَّرِّ مِحْنَةً لنا، وابتلاء؛ كما قال ـ تعالى ـ: ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ﴾، [الفرقان: ٢٠]؟!

وقال ـ تعالى ـ بعدَ أمره بالقتالِ: ﴿ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَاْ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ وَٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ [محمد: ٤].

وفي «صحيح مسلم»[٢]، عن النبيِّ ﷺ أنَّه قال: «وَٱلَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَا يَقْضِي ٱللَّهُ لِلْمُؤْمِنِ قَضَاءً إِلَّا كَانَ خَيْرًا لَهُ، وَلَيْسَ ذَلِكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ، فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ».

فالمؤمنُ إذا كانَ صَبُورًا شَكُورًا يكونُ ما يُقْضَى عليه مِنَ المصائبِ خيرًا لَهُ، وإذا كانَ آمِرًا بالمعروفِ، ناهيًا عن المنكرِ، مُجَاهِدًا في سبيلِ اللهِ؛ كانَ ما قُدِّرَ له مِنَ =

وله شواهد أخرى، **فانظر**: «الصحيحة»، (١٥٤).

[١] رواه مسلم (٤٩).

ٱلْكُفْرِ، وَيَشْهَدُونَ أَنَّ هَذَا جَارٍ بِمَشِيئَةِ ٱللَّهِ، وَقَضَائِهِ، وَقَدَرِهِ، دَاخِلٌ فِي حُكْمِ رُبُوبِيَّتِهِ، وَمُقْتَضَىٰ مَشِيئَتِهِ، فَيَظُنُّونَ ٱلِاسْتِسْلَامَ لِذَلِكَ، وَمُوَافَقَتَهُ، وَٱلرِّضَا بِهِ، وَنَحْوَ ذَلِكَ: دِينًا، وَطَرِيقًا، وَعِبَادَةً، فَيُضَاهِئُونَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱلَّذِينَ قَالُوا: ﴿لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ١٤٨].

وَقَالُوا: ﴿أَنُطْعِمُ مَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ أَطْعَمَهُۥٓ﴾ [يس: ٤٧].

وَقَالُوا: ﴿لَوْ شَآءَ ٱلرَّحْمَٰنُ مَا عَبَدْنَٰهُم﴾ [الزخرف: ٢٠].

وَلَوْ هُدُوا لَعَلِمُوا أَنَّ ٱلْقَدَرَ أُمِرْنَا أَنْ نَرْضَىٰ بِهِ، وَنَصْبِرَ عَلَىٰ مُوجِبِهِ فِي ٱلْمَصَائِبِ ٱلَّتِي تُصِيبُنَا؛ كَٱلْفَقْرِ، وَٱلْمَرَضِ، وَٱلْخَوْفِ.

قَالَ ٱللَّهُ ـ تَعَالَىٰ ـ: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ﴾ [التغابن: ١١].

قَالَ بَعْضُ ٱلسَّلَفِ(١): «هُوَ ٱلرَّجُلُ تُصِيبُهُ ٱلْمُصِيبَةُ، فَيَعْلَمُ أَنَّهَا مِنْ عِنْدِ

= الكُفَّارِ سببًا[١] للخير في حَقِّه.

وكذلك إذا دعاه الشيطانُ والهوى، كان ذلك سببًا لِمَا حصلَ مِنَ الخيرِ، فيكونُ ما يُقَدَّرُ مِنَ الشرِّ إذا نازعه ودافعهُ كما أَمَرَهُ اللهُ ورسوله، سببًا لما يَحصلُ له مِنَ البرِّ والتَّقوى، وحصول الخيرِ والثواب، وارتفاع الدَّرجاتِ.

فهذا وأمثالُه مما يُبَيِّنُ معنى هذا الكلام. واللَّه أعلم». اهـ.

(١) هو علقمةُ، فيما أخرجه عنه عَبدُ بنُ حُمَيد، وابنُ المُنذر، والبيهقي في «شُعب الإيمان»؛ كما في «الدر المنثور» (٨/١٨٣ ـ ط٢).

---

[١] برقم: (٢٩٩٩)، وهي رواية من المصنِّف بالمعنى.

ٱللَّهِ، فَيَرْضَىٰ وَيُسَلِّمُ».

وَقَالَ ـ تَعَالَىٰ ـ: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ﴾ [الحديد: ٢٢ ـ ٢٣].

وَفِي «الصَّحِيحَيْنِ»[1] عَنِ ٱلنَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «**احْتَجَّ آدَمُ وَمُوسَىٰ، فَقَالَ مُوسَىٰ: أَنْتَ آدَمُ ٱلَّذِي خَلَقَكَ ٱللَّهُ بِيَدِهِ، وَنَفَخَ فِيكَ مِنْ رُوحِهِ، وَأَسْجَدَ لَكَ مَلَائِكَتَهُ، وَعَلَّمَكَ أَسْمَاءَ كُلِّ شَيْءٍ، فَلِمَاذَا أَخْرَجْتَنَا وَنَفْسَكَ مِنَ ٱلْجَنَّةِ؟ فَقَالَ آدَمُ: أَنْتَ مُوسَىٰ ٱلَّذِي ٱصْطَفَاكَ ٱللَّهُ بِرِسَالَاتِهِ وَبِكَلَامِهِ، فَهَلْ وَجَدْتَ ذَلِكَ مَكْتُوبًا عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ أُخْلَقَ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: فَحَجَّ آدَمُ مُوسَىٰ**».

وَآدَمُ عليه السلام لَمْ يَحْتَجَّ عَلَىٰ مُوسَىٰ بِٱلْقَدَرِ ظَنًّا أَنَّ ٱلْمُذْنِبَ يَحْتَجُّ بِٱلْقَدَرِ؛ فَإِنَّ هَذَا لَا يَقُولُهُ مُسْلِمٌ، وَلَا عَاقِلٌ، وَلَوْ كَانَ هَذَا عُذْرًا لَكَانَ عُذْرًا لِإِبْلِيسَ، وَقَوْمِ نُوحٍ، وَقَوْمِ هُودٍ، وَكُلِّ كَافِرٍ.

وَلَا مُوسَىٰ لَامَ آدَمَ أَيْضًا لِأَجْلِ ٱلذَّنْبِ؛ فَإِنَّ آدَمَ قَدْ تَابَ إِلَىٰ رَبِّهِ، فَٱجْتَبَاهُ وَهَدَىٰ، وَلَكِنْ لَامَهُ لِأَجْلِ ٱلْمُصِيبَةِ ٱلَّتِي لَحِقَتْهُمْ بِٱلْخَطِيئَةِ، وَلِهَذَا قَالَ: «**فَلِمَاذَا أَخْرَجْتَنَا وَنَفْسَكَ مِنَ ٱلْجَنَّةِ؟**». فَأَجَابَهُ آدَمُ: «**إِنَّ هَذَا كَانَ**

---

(١) رواه البخاري (٣٤٠٩)، ومسلم (٢٦٥٢)، ومالك (٨٩٨/٢)، وأبو داود (٤٧٠١)، والترمذي (٢١٣٥)، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

وفي الباب عن عدة من الصحابة.

فانظر «الصحيحة» (٩٠٩، ١٧٠٢) لشيخنا الألباني.

مَكْتُوبًا عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ أُخْلَقَ»[1].

فَكَانَ ٱلْعَمَلُ وَٱلْمُصِيبَةُ ٱلْمُتَرَتِّبَةُ عَلَيْهِ مُقَدَّرًا، وَمَا قُدِّرَ مِنَ ٱلْمَصَائِبِ يَجِبُ ٱلِٱسْتِسْلَامُ لَهُ؛ فَإِنَّهُ مِنْ تَمَامِ ٱلرِّضَا بِٱللَّهِ رَبًّا.

وَأَمَّا ٱلذُّنُوبُ: فَلَيْسَ لِلْعَبْدِ أَنْ يُذْنِبَ، وَإِذَا أَذْنَبَ فَعَلَيْهِ أَنْ يَسْتَغْفِرَ وَيَتُوبَ، فَيَتُوبَ مِنَ ٱلْمَعَائِبِ، وَيَصْبِرَ عَلَى ٱلْمَصَائِبِ.

قَالَ ـ تَعَالَىٰ ـ:

﴿فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ﴾ [غافر: ٥٥].

وَقَالَ ـ تَعَالَىٰ ـ:

﴿وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا﴾ [آل عمران: ١٢٠].

وَقَالَ: ﴿وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾ [آل عمران: ١٨٦].

وَقَالَ يُوسُفُ عليه السلام: ﴿إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف: ٩٠].

---

(١) «ولم يَقُلْ: لماذا خالَفْتَ الأمرَ؟ والناسُ مأمورون عند المصائبِ التي تصيبُهم بأفعال الناس أو بغير أفعالهم بالتسليم للقَدَرِ، وشهود الربوبيّة»؛ كما قال المُصَنِّفُ في رسالته «الاحتجاج بالقدر» (ص: ٢٦)، التي بناها على شرح هذا الحديث.
وانظر: لزيادة الفائدة: «مرقاة المفاتيح» (١/١٢٣ ـ ١٢٤)، للشيخ علي القاري.

١ ـ فَصْلٌ

[وُجُوبُ ٱلْأَمْرِ بِٱلْمَعْرُوفِ]

وَكَذَلِكَ ذُنُوبُ ٱلْعِبَادِ؛ يَجِبُ عَلَى ٱلْعَبْدِ فِيهَا أَنْ يَأْمُرَ بِٱلْمَعْرُوفِ، وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْمُنْكَرِ، بِحَسَبِ قُدْرَتِهِ، وَيُجَاهِدَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَافِقِينَ، وَيُوَالِيَ أَوْلِيَاءَ ٱللَّهِ، وَيُعَادِيَ أَعْدَاءَ ٱللَّهِ، وَيُحِبَّ فِي ٱللَّهِ، وَيُبْغِضَ فِي ٱللَّهِ؛ كَمَا قَالَ ـ تَعَالَىٰ ـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا۟ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَٰدًا فِى سَبِيلِى وَٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِى ۚ تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعْلَمُ بِمَآ أَخْفَيْتُمْ وَمَآ أَعْلَنتُمْ ۚ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١﴾ إِن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا۟ لَكُمْ أَعْدَآءً وَيَبْسُطُوٓا۟ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِٱلسُّوٓءِ وَوَدُّوا۟ لَوْ تَكْفُرُونَ ﴿٢﴾ لَن تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ ۚ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣﴾ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ﴾ [الممتحنة: ١ ـ ٤].

وَقَالَ ـ تَعَالَىٰ ـ: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ

يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾ [المجادلة: ٢٢].

وَقَالَ: ﴿أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾﴾ [القلم: ٣٥].

وَقَالَ: ﴿أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ ﴿٢٨﴾﴾ [ص: ٢٨].

وَقَالَ ـ تَعَالَىٰ ـ:

﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الجاثية: ٢١].

وَقَالَ ـ تَعَالَىٰ ـ:

﴿وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ﴿١٩﴾ وَلَا ٱلظُّلُمَٰتُ وَلَا ٱلنُّورُ ﴿٢٠﴾ وَلَا ٱلظِّلُّ وَلَا ٱلْحَرُورُ ﴿٢١﴾ وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَحْيَآءُ وَلَا ٱلْأَمْوَٰتُ ۚ﴾ [فاطر: ١٩ ـ ٢٢].

وَقَالَ ـ تَعَالَىٰ ـ: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ﴾ [الزمر: ٢٩].

وَقَالَ ـ تَعَالَىٰ ـ: ﴿۞ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَّمْلُوكًا لَّا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَمَن رَّزَقْنَٰهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا ۖ هَلْ يَسْتَوُۥنَ ۚ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَآ أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَىٰهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ ۖ هَلْ يَسْتَوِى هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ ۙ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٧٦﴾﴾ [النحل: ٧٥ ـ ٧٦].

وَقَالَ ـ تَعَالَىٰ ـ: ﴿لَا يَسْتَوِىٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۚ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ۝٢٠﴾ [الحشر: ٢٠].

وَنَظَائِرُ ذَلِكَ؛ مِمَّا يُفَرِّقُ ٱللَّهُ فِيهِ بَيْنَ أَهْلِ ٱلْحَقِّ وَٱلْبَاطِلِ، وَأَهْلِ ٱلطَّاعَةِ وَأَهْلِ ٱلْمَعْصِيَةِ، وَأَهْلِ ٱلْبِرِّ وَأَهْلِ ٱلْفُجُورِ، وَأَهْلِ ٱلْهُدَىٰ وَٱلضَّلَالِ، وَأَهْلِ ٱلْغَيِّ وَٱلرَّشَادِ، وَأَهْلِ ٱلصِّدْقِ وَٱلْكَذِبِ.

فَمَنْ شَهِدَ ٱلْحَقِيقَةَ ٱلْكَوْنِيَّةَ دُونَ ٱلْحَقِيقَةِ ٱلدِّينِيَّةِ، سَوَّىٰ بَيْنَ هَذِهِ ٱلْأَجْنَاسِ ٱلْمُخْتَلِفَةِ، ٱلَّتِي فَرَّقَ ٱللَّهُ بَيْنَهَا غَايَةَ ٱلتَّفْرِيقِ، حَتَّى تَئُولَ بِهِ هَذِهِ ٱلتَّسْوِيَةُ إِلَىٰ أَنْ يُسَوِّيَ بَيْنَ ٱللَّهِ، وَبَيْنَ ٱلْأَصْنَامِ! كَمَا قَالَ ـ تَعَالَىٰ ـ عَنْهُمْ: ﴿تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ۝٩٧ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٩٨﴾ [الشعراء: ٩٧ ـ ٩٨].

بَلْ قَدْ آلَ ٱلْأَمْرُ بِهَؤُلَاءِ إِلَىٰ أَنْ سَوَّوا ٱللَّهَ بِكُلِّ مَوْجُودٍ، وَجَعَلُوا مَا يَسْتَحِقُّهُ مِنَ ٱلْعِبَادَةِ وَٱلطَّاعَةِ حَقًّا لِكُلِّ مَوْجُودٍ، إِذْ جَعَلُوهُ هُوَ وُجُودُ ٱلْمَخْلُوقَاتِ[1]!

وَهَذَا مِنْ أَعْظَمِ ٱلْكُفْرِ وَٱلْإِلْحَادِ بِرَبِّ ٱلْعِبَادِ.

وَهَؤُلَاءِ يَصِلُ بِهِمُ ٱلْكُفْرُ إِلَىٰ أَنَّهُمْ لَا يَشْهَدُونَ أَنَّهُمْ عِبَادٌ؛ لَا بِمَعْنَىٰ أَنَّهُمْ مُعَبَّدُونَ، وَلَا بِمَعْنَىٰ أَنَّهُمْ عَابِدُونَ؛ إِذْ يَشْهَدُونَ أَنْفُسَهُمْ هِيَ ٱلْحَقَّ؛ كَمَا صَرَّحَ بِذَلِكَ طَوَاغِيتُهُمْ؛ كَٱبْنِ عَرَبِيٍّ[2].

---

(١) وهم أهلُ وحدة الوجودِ ـ عياذًا بالله.

(٢) هو مُحيي الدِّين (!) ابن عربي، المتوفى سَنَةَ (٦٣٨ هـ).

تُنظر لمعرفة مقالات أهل العلم فيه: رسالةُ «ابن عَرَبي: عقيدته وحياته، وأقوال العُلَمَاءِ فيه»، للشيخ تقي الدين الفاسي ـ بتعليقي ـ.

صَاحِبِ «**ٱلْفُصُوصِ**»[١]، وَأَمْثَالِهِ ٱلْمُلْحِدِينَ ٱلْمُفْتَرِينَ؛ كَٱبْنِ سَبْعِينَ[٢] وَأَمْثَالِهِ، وَيَشْهَدُونَ أَنَّهُمْ هُمُ ٱلْعَابِدُونَ وَٱلْمَعْبُودُونَ.

وَهَذَا لَيْسَ بِشُهُودٍ لِحَقِيقَةٍ؛ لَا كَوْنِيَّةٍ، وَلَا دِينِيَّةٍ، بَلْ هُوَ ضَلَالٌ وَعَمًى عَنْ شُهُودِ ٱلْحَقِيقَةِ ٱلْكَوْنِيَّةِ؛ حَيْثُ جَعَلُوا وُجُودَ ٱلْخَالِقِ هُوَ وُجُودُ ٱلْمَخْلُوقِ، وَجَعَلُوا كُلَّ وَصْفٍ مَذْمُومٍ وَمَمْدُوحٍ نَعْتًا لِلْخَالِقِ وَٱلْمَخْلُوقِ؛ إِذْ وُجُودُ هَذَا هُوَ وُجُودُ هَذَا عِنْدَهُمْ!

وَأَمَّا ٱلْمُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ؛ عَوَامُّهُمْ، وَخَوَاصُّهُمْ؛ ٱلَّذِينَ هُمْ أَهْلُ ٱلْكِتَابِ؛ كَمَا قَالَ ٱلنَّبِيُّ ﷺ: «**إِنَّ لِلَّهِ أَهْلَيْنَ مِنَ ٱلنَّاسِ**».

قِيلَ: مَنْ هُمْ يَا رَسُولَ ٱللَّهِ؟

قَالَ: «**أَهْلُ ٱلْقُرْآنِ، هُمْ أَهْلُ ٱللَّهِ وَخَاصَّتُهُ**»[٣].

---

(١) واسمُ هذا الكتاب «فصوص الحِكَم»، فيه ألوانٌ من الكُفرِ والشِّرْكِ.
وللمصنِّفِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ردٌّ بديعٌ عليه اسمُه: «الردُّ الأقوم على ما في فصوص الحِكَم» مطبوع ضِمنَ «مجموع الفتاوى» (٢/٣٦٢ ـ فيما بعد).

(٢) هو عبد الحقّ بن سبعين، المتوفى سنة (٦٦٩ هـ)، له كلماتُ كُفْرٍ معروفةٌ، فانظر: «البداية والنهاية» (١٣/٢٦١)، و«لسان الميزان» (١/١٨٨).
وانظر: «مجموع الفتاوى» (٢/١١٥، ١٢٣، ١٢٤، ٢٢٠، ٢٩٤).

(٣) أخرجه الطيالسي (٢١٢٤)، وابن ماجه (٢١٥)، وأحمد (٣/١٢٧، ١٢٧ ـ ١٢٨، ٢٤٢)، وأبو نُعيم في «الحلية» (٣/٦٣ ٩/٤٠)، من طرق عن عبدالرحمن بن بُديل، عن أبيه، عن أنس.
وقال البوصيري في «مصباح الزجاجة» (١/٧٢): «إسنادُه صحيحٌ».
قلتُ: بل هُوَ حَسَنٌ؛ لما قيلَ في عبد الرحمن بن بُدَيْل.

فَهَؤُلَاءِ يَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ، وَمَلِيكُهُ، وَخَالِقُهُ، وَأَنَّ ٱلْخَالِقَ ـ سُبْحَانَهُ ـ مُبَايِنٌ لِلْمَخْلُوقِ، لَيْسَ هُوَ حَالًّا فِيهِ، وَلَا مُتَّحِدًا بِهِ، وَلَا وُجُودُهُ وُجُودَهُ.

وَٱلنَّصَارَىٰ إِنَّمَا كَفَّرَهُمُ ٱللَّهُ بِأَنْ قَالُوا بِٱلْحُلُولِ، وَٱتِّحَادِ ٱلرَّبِّ بِٱلْمَسِيحِ خَاصَّةً؛ فَكَيْفَ مَنْ جَعَلَ ذَلِكَ عَامًّا فِي كُلِّ مَخْلُوقٍ؟!

وَيَعْلَمُونَ مَعَ ذَلِكَ أَنَّ ٱللَّهَ أَمَرَ بِطَاعَتِهِ وَطَاعَةِ رَسُولِهِ، وَنَهَىٰ عَنْ مَعْصِيَتِهِ، وَمَعْصِيَةِ رَسُولِهِ، وَأَنَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ، وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ، وَأَنَّ عَلَى ٱلْخَلْقِ أَنْ يَعْبُدُوهُ فَيُطِيعُوا أَمْرَهُ، وَيَسْتَعِينُوا بِهِ عَلَىٰ كُلِّ ذَلِكَ؛ كَمَا قَالَ فِي فَاتِحَةِ ٱلْكِتَابِ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾.

وَمِنْ عِبَادَتِهِ وَطَاعَتِهِ: ٱلْأَمْرُ بِٱلْمَعْرُوفِ، وَٱلنَّهْيُ عَنِ ٱلْمُنْكَرِ، بِحَسَبِ ٱلْإِمْكَانِ، وَٱلْجِهَادُ فِي سَبِيلِهِ لِأَهْلِ ٱلْكُفْرِ وَٱلنِّفَاقِ، فَيَجْتَهِدُونَ فِي إِقَامَةِ دِينِهِ، مُسْتَعِينِينَ بِهِ، دَافِعِينَ مُزِيلِينَ بِذَلِكَ مَا قُدِّرَ مِنَ ٱلسَّيِّئَاتِ، دَافِعِينَ بِذَلِكَ مَا قَدْ يُخَافُ مِنْ ذَلِكَ؛ كَمَا يُزِيلُ ٱلْإِنْسَانُ ٱلْجُوعَ ٱلْحَاضِرَ بِٱلْأَكْلِ، وَيَدْفَعُ بِهِ ٱلْجُوعَ ٱلْمُسْتَقْبَلَ، وَكَذَلِكَ إِذَا آنَ أَوَانُ ٱلْبَرْدِ دَفَعَهُ بِٱللِّبَاسِ، وَكَذَلِكَ كُلُّ مَطْلُوبٍ يُدْفَعُ بِهِ مَكْرُوهٌ؛ كَمَا قَالُوا لِلنَّبِيِّ ﷺ: يَا رَسُولَ ٱللَّهِ أَرَأَيْتَ أَدْوِيَةً نَتَدَاوَىٰ بِهَا، وَرُقًى نَسْتَرْقِي بِهَا، وَتُقَاةً نَتَّقِي بِهَا، هَلْ تَرُدُّ مِنْ قَدَرِ ٱللَّهِ شَيْئًا؟ فَقَالَ: **«هِيَ مِنْ قَدَرِ ٱللَّهِ»**[1].

---

(١) رواه الترمذي (٢١٤٨)، وابن ماجه (٣٤٣٧)، والحاكم (١٩٩/٤)، وأحمد (٤٢١/٣)، والخرائطي في «مكارم الأخلاق» (ص: ٩٤ ، ٩٥)، من طرق عن الزُّهري، عن أبي خِزَامَةَ، عن أبيه، وأبو خزامة مجهولٌ. =

وَفِي ٱلْحَدِيثِ: «**إِنَّ ٱلدُّعَاءَ وَٱلْبَلَاءَ لَيَلْتَقِيَانِ، فَيَعْتَلِجَانِ بَيْنَ ٱلسَّمَاءِ وَٱلْأَرْضِ**»[1].

فَهَذَا حَالُ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ، ٱلْعَابِدِينَ لِلَّهِ، وَكُلُّ ذَلِكَ مِنَ ٱلْعِبَادَةِ.

وَهَؤُلَاءِ ٱلَّذِينَ يَشْهَدُونَ ٱلْحَقِيقَةَ ٱلْكَوْنِيَّةَ - وَهِيَ رُبُوبِيَّتُهُ - تَعَالَىٰ - لِكُلِّ شَيْءٍ، وَيَجْعَلُونَ ذَلِكَ مَانِعًا مِنَ ٱتِّبَاعِ أَمْرِهِ ٱلدِّينِيِّ ٱلشَّرْعِيِّ - عَلَىٰ مَرَاتِبَ فِي ٱلضَّلَالِ:

فَغُلَاتُهُمْ يَجْعَلُونَ ذَلِكَ مُطْلَقًا عَامًّا، فَيَحْتَجُّونَ بِٱلْقَدَرِ فِي كُلِّ مَا يُخَالِفُونَ فِيهِ ٱلشَّرِيعَةَ.

وَقَوْلُ هَؤُلَاءِ شَرٌّ مِنْ قَوْلِ ٱلْيَهُودِ وَٱلنَّصَارَىٰ، وَهُوَ مِنْ جِنْسِ قَوْلِ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱلَّذِينَ قَالُوا: ﴿لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ١٤٨]. وَقَالُوا: ﴿لَوْ شَآءَ ٱلرَّحْمَٰنُ مَا عَبَدْنَٰهُم﴾ [الزخرف: ٢٠].

= وله شاهدٌ في «معجم الطبراني الكبير» (١٢٧٨٤)، من طريق صالح المُرّي، عن قتادة، عن زُرارة ابن أوفى، عن ابن عباس.

قال الهيثمي في «المجمع» (٨٥/٥): «وفيه صالحُ بن بشير المُرّي، وهو ضعيفٌ».

قلت: وكذا عنعنةُ قتادَة؛ فهو مُدَلِّسٌ.

وللحديثِ طُرُقٌ أخرى لا تخلو مِن وهمٍ للرواةِ؛ أو خَطَإٍ، فانظرها في: «تخريج أحاديث مشكلة الفقر» (ص: ١٣ - ١٥)، لشيخنا الألباني.

وقارن بـ«الأمراض والكفَّارات...» (ص: ١٦٤ - ١٦٧)، للضياء المقدسيّ، بتعليق أخينا الشيخ أَبي إسحاق الحُويني.

(١) سبق تخريجه (ص: ٣٠).

وَهَؤُلَاءِ مِنْ أَعْظَمِ أَهْلِ ٱلْأَرْضِ تَنَاقُضًا، بَلْ كُلُّ مَنِ ٱحْتَجَّ بِٱلْقَدَرِ فَإِنَّهُ مُتَنَاقِضٌ، فَإِنَّهُ لَا يُمْكِنُ أَنْ يُقِرَّ كُلُّ آدَمِي عَلَىٰ مَا فَعَلَ، فَلَا بُدَّ إِذَا ظَلَمَهُ ظَالِمٌ، أَوْ ظَلَمَ ٱلنَّاسَ ظَالِمٌ، وَسَعَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ بِٱلْفَسَادِ، وَأَخَذَ يَسْفِكُ دِمَاءَ ٱلنَّاسِ، وَيَسْتَحِلُّ ٱلْفُرُوجَ، وَيُهْلِكُ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ، وَنَحْوُ ذَلِكَ مِنْ أَنْوَاعِ ٱلضَّرَرِ ٱلَّتِي لَا قِوَامَ لِلنَّاسِ بِهَا، أَنْ يَدْفَعَ هَذَا ٱلْقَدَرَ، وَأَنْ يُعَاقِبَ ٱلظَّالِمَ بِمَا يَكُفُّ عُدْوَانَهُ وَعُدْوَانَ أَمْثَالِهِ، فَيُقَالُ لَهُ: إِنْ كَانَ ٱلْقَدَرُ حُجَّةً فَدَعْ كُلَّ أَحَدٍ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ بِكَ وَبِغَيْرِكَ! وَإِنْ لَمْ يَكُنْ حُجَّةً، بَطَلَ أَصْلُ قَوْلِكَ: إِنَّ ٱلْقَدَرَ حُجَّةٌ[1]!!

وَأَصْحَابُ هَذَا ٱلْقَوْلِ ـ ٱلَّذِينَ يَحْتَجُّونَ بِٱلْحَقِيقَةِ ٱلْكَوْنِيَّةِ ـ لَا يُطَرِّدُونَ هَذَا ٱلْقَوْلَ، وَلَا يَلْتَزِمُونَهُ، وَإِنَّمَا هُمْ يَتَّبِعُونَ آرَاءَهُمْ، وَأَهْوَاءَهُمْ؛ كَمَا قَالَ فِيهِمْ بَعْضُ ٱلْعُلَمَاءِ: أَنْتَ عِنْدَ ٱلطَّاعَةِ قَدَرِيٌّ، وَعِنْدَ ٱلْمَعْصِيَةِ جَبْرِيٌّ، أَيَّ مَذْهَبٍ وَافَقَ هَوَاكَ تَمَذْهَبْتَ بِهِ[2]!!

وَمِنْهُمْ صِنْفٌ يَدَّعُونَ ٱلتَّحْقِيقَ وَٱلْمَعْرِفَةَ، فَيَزْعُمُونَ أَنَّ ٱلْأَمْرَ وَٱلنَّهْيَ لَازِمٌ لِمَنْ شَهِدَ لِنَفْسِهِ فِعْلًا، وَأَثْبَتَ لَهُ صُنْعًا، أَمَّا مَنْ شَهِدَ أَنَّ أَفْعَالَهُ مَخْلُوقَةٌ، أَوْ أَنَّهُ مَجْبُورٌ عَلَىٰ ذَلِكَ، وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمُتَصَرِّفُ فِيهِ؛ كَمَا يُحَرِّكُ

---

(١) وهي حُجَّةٌ عقليَّةٌ متينةٌ، تنقضُ قولَهم من أساسِه.

(٢) وهكذا ـ في مسائل الفقه ـ كثيرٌ من المشايخ، وأشباه المُتَعَلِّمِينَ، وأنصاف المُثَقَّفِينَ، حتى المتفقهة العَصْرَانِيِّينَ؛ نرى هؤلاء جميعًا لا يستقِرُّونَ على قولٍ، ولا يَقِرُّونَ على قاعدةٍ: اليومَ يأخذونَ فقهَ المذهب، وغدًا يتركونَه إلى العَمَلِ بالدليل، وفي اليوم الثالثِ يَتَّبِعُونَ هَوى العامَّة!! فلا قُوَّةَ إلَّا باللهِ.

سَائِرَ ٱلْمُتَحَرِّكَاتِ؛ فَإِنَّهُ يَرْتَفِعُ عَنْهُ ٱلْأَمْرُ وَٱلنَّهْيُ، وَٱلْوَعْدُ وَٱلْوَعِيدُ.

وَقَدْ يَقُولُونَ: مَنْ شَهِدَ ٱلْإِرَادَةَ سَقَطَ عَنْهُ ٱلتَّكْلِيفُ، وَيَزْعُمُ أَحَدُهُمْ أَنَّ ٱلْخَضِرَ سَقَطَ عَنْهُ ٱلتَّكْلِيفُ؛ لِشُهُودِهِ ٱلْإِرَادَةَ!

فَهَؤُلَاءِ لَا يُفَرِّقُونَ بَيْنَ ٱلْعَامَّةِ وَٱلْخَاصَّةِ ٱلَّذِينَ شَهِدُوا ٱلْحَقِيقَةَ ٱلْكَوْنِيَّةَ، فَشَهِدُوا أَنَّ ٱللَّهَ خَالِقُ أَفْعَالِ ٱلْعِبَادِ، وَأَنَّهُ يُدَبِّرُ جَمِيعَ ٱلْكَائِنَاتِ.

وَقَدْ يُفَرِّقُونَ بَيْنَ مَنْ يَعْلَمُ ذَلِكَ عِلْمًا، وَبَيْنَ مَنْ يَرَاهُ شُهُودًا؛ فَلَا يُسْقِطُونَ ٱلتَّكْلِيفَ عَمَّنْ يُؤْمِنُ بِذَلِكَ وَيَعْلَمُهُ فَقَطْ، وَلَكِنْ يُسْقِطُونَهُ عَمَّنْ يَشْهَدُهُ، فَلَا يَرَىٰ لِنَفْسِهِ فِعْلًا أَصْلًا، وَهَؤُلَاءِ لَا يَجْعَلُونَ ٱلْجَبْرَ، وَإِثْبَاتُ ٱلْقَدَرِ مَانِعًا مِنَ ٱلتَّكْلِيفِ عَلَىٰ هَذَا ٱلْوَجْهِ.

وَقَدْ وَقَعَ فِي هَذَا طَوَائِفُ مِنَ ٱلْمُنْتَسِبِينَ إِلَى ٱلتَّحْقِيقِ وَٱلْمَعْرِفَةِ، وَٱلتَّوْحِيدِ.

وَسَبَبُ ذَلِكَ: أَنَّهُ ضَاقَ نِطَاقُهُمْ عَنْ كَوْنِ ٱلْعَبْدِ يُؤْمَرُ بِمَا يُقَدَّرُ عَلَيْهِ خِلَافُهُ؛ كَمَا ضَاقَ نِطَاقُ ٱلْمُعْتَزِلَةِ وَنَحْوِهِمْ مِنَ ٱلْقَدَرِيَّةِ عَنْ ذَلِكَ.

ثُمَّ ٱلْمُعْتَزِلَةُ أَثْبَتَتِ ٱلْأَمْرَ وَٱلنَّهْيَ ٱلشَّرْعِيَّيْنِ، دُونَ ٱلْقَضَاءِ وَٱلْقَدَرِ، ٱلَّذِي هُوَ إِرَادَةُ ٱللَّهِ ٱلْعَامَّةُ، وَخَلْقُهُ لِأَفْعَالِ ٱلْعِبَادِ.

وَهَؤُلَاءِ أَثْبَتُوا ٱلْقَضَاءَ وَٱلْقَدَرَ، وَنَفَوْا ٱلْأَمْرَ وَٱلنَّهْيَ فِي حَقِّ مَنْ شَهِدَ ٱلْقَدَرَ؛ إِذْ لَمْ يُمْكِنْهُمْ نَفْيُ ذَلِكَ مُطْلَقًا.

وَقَوْلُ هَؤُلَاءِ شَرٌّ مِنْ قَوْلِ ٱلْمُعْتَزِلَةِ، وَلِهَذَا لَمْ يَكُنْ فِي ٱلسَّلَفِ مِنْ هَؤُلَاءِ أَحَدٌ.

وَهَؤُلَاءِ يَجْعَلُونَ ٱلْأَمْرَ وَٱلنَّهْيَ لِلْمَحْجُوبِينَ ٱلَّذِينَ لَمْ يَشْهَدُوا هَذِهِ

ٱلْحَقِيقَةَ ٱلْكَوْنِيَّةَ، وَلِهَذَا يَجْعَلُونَ مَنْ وَصَلَ إِلَىٰ شُهُودِ هَذِهِ ٱلْحَقِيقَةِ يَسْقُطُ عَنْهُ ٱلْأَمْرُ وَٱلنَّهْيُ، وَيَقُولُونُ: إِنَّهُ صَارَ مِنَ ٱلْخَاصَّةِ!! وَرُبَّمَا تَأَوَّلُوا عَلَىٰ ذَلِكَ قَوْلَهُ ـ تَعَالَىٰ ـ: ﴿وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ۝٩٩﴾ [الحجر: ٩٩]؛ فَٱلْيَقِينُ عِنْدَهُمْ هُوَ مَعْرِفَةُ هَذِهِ ٱلْحَقِيقَةِ!

وَقَوْلُ هَؤُلَاءِ كُفْرٌ صَرِيحٌ، وَإِنْ وَقَعَ فِيهِ طَوَائِفُ لَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ كُفْرٌ.

فَإِنَّهُ قَدْ عُلِمَ بِٱلِاضْطِرَارِ مِنْ دِينِ ٱلْإِسْلَامِ: أَنَّ ٱلْأَمْرَ وَٱلنَّهْيَ لَازِمَانِ لِكُلِّ عَبْدٍ مَا دَامَ عَقْلُهُ حَاضِرًا إِلَىٰ أَنْ يَمُوتَ، لَا يَسْقُطَانِ عَنْهُ، لَا بِشُهُودِهِ ٱلْقَدَرَ، وَلَا بِغَيْرِ ذَلِكَ.

فَمَنْ لَمْ يَعْرِفْ ذَلِكَ عُرِّفَهُ، وَبُيِّنَ لَهُ، فَإِنْ أَصَرَّ عَلَى ٱعْتِقَادِ سُقُوطِ ٱلْأَمْرِ وَٱلنَّهْيِ؛ فَإِنَّهُ يُقْتَلُ[1].

وَقَدْ كَثُرَتْ مِثْلُ هَذِهِ ٱلْمَقَالَاتِ فِي ٱلْمُسْتَأْخِرِينَ.

وَأَمَّا ٱلْمُتَقَدِّمُونَ مِنْ هَذِهِ ٱلْأُمَّةِ: فَلَمْ تَكُنْ هَذِهِ ٱلْمَقَالَاتُ مَعْرُوفَةً فِيهِمْ. وَهَذِهِ ٱلْمَقَالَاتُ هِيَ مُحَادَّةٌ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ، وَمُعَادَاةٌ لَهُ، وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِهِ، وَمُشَاقَّةٌ لَهُ، وَتَكْذِيبٌ لِرُسُلِهِ، وَمُضَادَّةٌ لَهُ فِي حُكْمِهِ، وَإِنْ كَانَ مَنْ يَقُولُ هَذِهِ ٱلْمَقَالَاتِ قَدْ يَجْهَلُ ذَلِكَ، وَيَعْتَقِدُ أَنَّ هَذَا ٱلَّذِي هُوَ عَلَيْهِ طَرِيقُ

---

(١) وهذه قاعدةٌ هامَّةٌ عند أهل السُّنَّةِ قبل الحكْم بالكُفرِ؛ وهي إقامةُ الحُجَّة، وتوضيحُ البيان؛ فإذا كنت ذاكرًا لها سَهُلَ عليك ـ بتوفيقِ اللهِ تعالى ـ حَلُّ كثيرٍ من الإشكالات الفِكريَّة التي زَلَّت فيها أقدامُ كثيرٍ من الشباب العاطفي المتحمِّس. وانظر مقالتي: «حقيقة الكفر بين الشرع والعاطفة»، في مجلة «المجاهد»، الصادرة في بِشاور ـ باكستان، قبل سَنَوات.

ٱلرَّسُولِ، وَطَرِيقُ أَوْلِيَاءِ ٱللَّهِ ٱلْمُحَقِّقِينَ؛ فَهُوَ فِي ذَلِكَ بِمَنْزِلَةِ مَنْ يَعْتَقِدُ أَنَّ ٱلصَّلَاةَ لَا تَجِبُ عَلَيْهِ؛ لِٱسْتِغْنَائِهِ عَنْهَا بِمَا حَصَلَ لَهُ مِنَ ٱلْأَحْوَالِ ٱلْقَلْبِيَّةِ، أَوْ أَنَّ ٱلْخَمْرَ حَلَالٌ لَهُ؛ لِكَوْنِهِ مِنَ ٱلْخَوَاصِّ ٱلَّذِينَ لَا يَضُرُّهُمْ شُرْبُ ٱلْخَمْرِ، أَوْ أَنَّ ٱلْفَاحِشَةَ حَلَالٌ لَهُ؛ لِأَنَّهُ صَارَ كَٱلْبَحْرِ لَا تُكَدِّرُهُ ٱلذُّنُوبُ، وَنَحْوُ ذَلِكَ!!

وَلَا رَيْبَ أَنَّ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا ٱلرَّسُولَ يَتَرَدَّدُونَ بَيْنَ ٱلْبِدْعَةِ ٱلْمُخَالِفَةِ لِشَرْعِ ٱللَّهِ، وَبَيْنَ ٱلِاحْتِجَاجِ بِٱلْقَدَرِ عَلَىٰ مُخَالَفَةِ أَمْرِ ٱللَّهِ.

فَهَؤُلَاءِ ٱلْأَصْنَافِ فِيهِمْ شَبَهٌ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ؛ لِأَنَّهُمْ إِمَّا أَنْ يَبْتَدِعُوا، وَإِمَّا أَنْ يَحْتَجُّوا بِٱلْقَدَرِ، وَإِمَّا أَنْ يَجْمَعُوا بَيْنَ ٱلْأَمْرَيْنِ؛ كَمَا قَالَ - تَعَالَىٰ - عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ: ﴿وَإِذَا فَعَلُوا۟ فَـٰحِشَةً قَالُوا۟ وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا ۗ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [الأعراف: ٢٨].

وَكَمَا قَالَ - تَعَالَىٰ - عَنْهُمْ: ﴿سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَىْءٍ﴾ [الأنعام: ١٤٨].

وَقَدْ ذُكِرَ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ مَا ٱبْتَدَعُوهُ مِنَ ٱلدِّينِ ٱلَّذِي فِيهِ تَحْلِيلُ ٱلْحَرَامِ، وَٱلْعِبَادَةُ ٱلَّتِي لَمْ يَشْرَعْهَا ٱللَّهُ، بِمِثْلِ قَوْلِهِ - تَعَالَىٰ -: ﴿وَقَالُوا۟ هَـٰذِهِۦٓ أَنْعَـٰمٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ لَّا يَطْعَمُهَآ إِلَّا مَن نَّشَآءُ بِزَعْمِهِمْ وَأَنْعَـٰمٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا وَأَنْعَـٰمٌ لَّا يَذْكُرُونَ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا ٱفْتِرَآءً عَلَيْهِ﴾ [الأنعام: ١٣٨]، إِلَىٰ آخِرِ ٱلسُّورَةِ.

وَكَذَلِكَ فِي سُورَةِ ٱلْأَعْرَافِ فِي قَوْلِهِ: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ﴾ - إِلَىٰ قَوْلِهِ -: ﴿وَإِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً قَالُواْ وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَاۗ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِۖ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِٱلْقِسْطِۖ وَأَقِيمُواْ وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ - إِلَىٰ قَوْلِهِ -: ﴿وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ وَلَا تُسْرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِۚ﴾ - إِلَىٰ قَوْلِهِ -: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الأعراف: ٢٦ - ٣٢].

وَهَؤُلَاءِ قَدْ يُسَمُّونَ مَا أَحْدَثُوهُ مِنَ ٱلْبِدَعِ: حَقِيقَةً! كَمَا يُسَمُّونَ مَا يَشْهَدُونَ مِنَ ٱلْقَدَرِ: حَقِيقَةً!!

وَطَرِيقُ ٱلْحَقِيقَةِ عِنْدَهُمْ: هُوَ ٱلسُّلُوكُ ٱلَّذِي لَا يَتَقَيَّدُ صَاحِبُهُ بِأَمْرِ ٱلشَّارِعِ وَنَهْيِهِ، وَلَكِنْ بِمَا يَرَاهُ وَيَذُوقُهُ، وَيَجِدُهُ فِي قَلْبِهِ، مَعَ مَا فِيهِ مِنْ غَفْلَةٍ عَنِ ٱللَّهِ - جَلَّ وَعَلَا - وَنَحْوِ ذَلِكَ.

وَهَؤُلَاءِ لَا يَحْتَجُّونَ بِٱلْقَدَرِ مُطْلَقًا، بَلْ عُمْدَتُهُمْ ٱتِّبَاعُ آرَائِهِمْ وَأَهْوَائِهِمْ، وَجَعْلُهُمْ لِمَا يَرَوْنَهُ وَيَهْوَوْنَهُ حَقِيقَةً، وَأَمْرُهُمْ بِٱتِّبَاعِهَا دُونَ ٱتِّبَاعِ أَمْرِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِ، نَظِيرُ بِدَعِ أَهْلِ ٱلْكَلَامِ مِنَ ٱلْجَهْمِيَّةِ وَغَيْرِهِمْ، ٱلَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَا ٱبْتَدَعُوهُ مِنَ ٱلْأَقْوَالِ ٱلْمُخَالِفَةِ لِلْكِتَابِ وَٱلسُّنَّةِ حَقَائِقَ عَقْلِيَّةً يَجِبُ ٱعْتِقَادُهَا، دُونَ مَا دَلَّتْ عَلَيْهِ ٱلسَّمْعِيَّاتُ.

ثُمَّ ٱلْكِتَابُ وَٱلسُّنَّةُ إِمَّا أَنْ يُحَرِّفُوا ٱلْقَوْلَ فِيهِمَا عَنْ مَوَاضِعِهِ، وَإِمَّا أَنْ

يُعْرِضُوا عَنْهُ بِٱلْكُلِّيَّةِ؛ فَلَا يَتَدَبَّرُونَهُ، وَلَا يَعْقِلُونَهُ، بَلْ يَقُولُونَ: نُفَوِّضُ مَعْنَاهُ إِلَى ٱللَّهِ. مَعَ ٱعْتِقَادِهِمْ نَقِيضَ مَدْلُولِهِ.

وَإِذَا حُقِّقَ عَلَىٰ هَؤُلَاءِ مَا يَزْعُمُونَهُ مِنَ ٱلْعَقْلِيَّاتِ ٱلْمُخَالِفَةِ لِلْكِتَابِ وَٱلسُّنَّةِ، وُجِدَتْ جَهْلِيَّاتٌ وَٱعْتِقَادَاتٌ فَاسِدَةٌ[١].

وَكَذَٰلِكَ أُولَئِكَ إِذَا حُقِّقَ عَلَيْهِمْ مَا يَزْعُمُونَهُ مِنْ حَقَائِقِ أَوْلِيَاءِ ٱللَّهِ ٱلْمُخَالِفَةِ لِلْكِتَابِ وَٱلسُّنَّةِ، وُجِدَتْ مِنَ ٱلْأَهْوَاءِ ٱلَّتِي يَتَّبِعُهَا أَعْدَاءُ ٱللَّهِ لَا أَوْلِيَاؤُهُ.

وَأَصْلُ ضَلَالِ مَنْ ضَلَّ: هُوَ بِتَقْدِيمِ قِيَاسِهِ عَلَى ٱلنَّصِّ ٱلْمُنَزَّلِ مِنْ عِنْدِ ٱللَّهِ، وَتَقْدِيمِ ٱتِّبَاعِ ٱلْهَوَىٰ عَلَى ٱتِّبَاعِ أَمْرِ ٱللَّهِ.

فَإِنَّ ٱلذَّوْقَ وَٱلْوَجْدَ وَنَحْوِ ذَلِكَ، هُوَ بِحَسَبِ مَا يُحِبُّهُ ٱلْعَبْدُ؛ فَكُلُّ مُحِبٍّ لَهُ ذَوْقٌ وَوَجْدٌ بِحَسَبِ مَحَبَّتِهِ، فَأَهْلُ ٱلْإِيمَانِ لَهُمْ مِنَ ٱلذَّوْقِ وَٱلْوَجْدِ، مِثْلُ مَا بَيَّنَهُ ٱلنَّبِيُّ ﷺ بِقَوْلِهِ فِي ٱلْحَدِيثِ ٱلصَّحِيحِ: **«ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ ٱلْإِيمَانِ: مَنْ كَانَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَمَنْ كَانَ يُحِبُّ ٱلْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ، وَمَنْ كَانَ يَكْرَهُ أَنْ يَرْجِعَ فِي ٱلْكُفْرِ بَعْدَ أَنْ أَنْقَذَهُ ٱللَّهُ مِنْهُ؛ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُلْقَىٰ فِي ٱلنَّارِ»**[٢].

---

(١) ما أقوى هذا الكلامَ في الردِّ على من حاكَمَ ! «السُّنَّة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث»، فكتب بجهلٍ، وتكلَّم بجهلٍ، فكتابه جَهْلٌ على جَهْلٍ!!!

(٢) رواه البخاري (١٦، ٢١، ٦٠٤١، ٦٩٤١)، ومسلم (٤٣)، وابن ماجه (٤٠٣٣)، والنَّسائي (٩٤/٨ ـ ٩٦)، والترمذي (٢٦٢٦)، وأحمد =

وَقَالَ فِي ٱلْحَدِيثِ ٱلصَّحِيحِ[1]: «**ذَاقَ طَعْمَ ٱلْإِيمَانِ مَنْ رَضِيَ بِٱللَّهِ رَبًّا، وَبِٱلْإِسْلَامِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ نَبِيًّا**».

وَأَمَّا أَهْلُ ٱلْكُفْرِ، وَٱلْبِدَعِ، وَٱلشَّهَوَاتِ: فَكُلٌّ بِحَسَبِهِ.

قِيلَ لِسُفْيَانَ بْنِ عُيَيْنَةَ: مَا بَالُ أَهْلِ ٱلْأَهْوَاءِ لَهُمْ مَحَبَّةٌ شَدِيدَةٌ لِأَهْوَائِهِمْ؟! فَقَالَ: أَنَسِيتَ قَوْلَهُ ـ تَعَالَىٰ ـ: ﴿وَأُشْرِبُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ﴾ [البقرة: ٩٣]. أَوْ نَحْوِ هَذَا مِنَ ٱلْكَلَامِ.

فَعُبَّادُ ٱلْأَصْنَامِ يُحِبُّونَ آلِهَتَهُمْ؛ كَمَا قَالَ ـ تَعَالَىٰ ـ:

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥].

وَقَالَ: ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [القصص: ٥٠].

وَقَالَ: ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ﴾ [النجم: ٢٣].

وَلِهَذَا يَمِيلُ هَؤُلَاءِ إِلَىٰ سَمَاعِ ٱلشِّعْرِ، وَٱلْأَصْوَاتِ ٱلَّتِي تُهَيِّجُ ٱلْمَحَبَّةَ ٱلْمُطْلَقَةَ، ٱلَّتِي لَا تَخْتَصُّ بِأَهْلِ ٱلْإِيمَانِ!! بَلْ يَشْتَرِكُ فِيهَا مُحِبُّ ٱلرَّحْمَنِ، وَمُحِبُّ ٱلْأَوْثَانِ، وَمُحِبُّ ٱلصُّلْبَانِ، وَمُحِبُّ ٱلْأَوْطَانِ، وَمُحِبُّ ٱلْإِخْوَانِ،

= (٣/١٠٣، و١٧٢، ١٧٤، ٢٣٠، ٢٤٥، ٢٧٥، ٢٨٨)، والطيالسي (١٩٥٩)، وابن مَنده في «الإيمان» (٢٨١، ٢٨١، ٢٨٢، ٢٨٣)، عن أنس رضي الله عنه.

(١) رواه مسلم (٣٤)، والترمذي (٢٦٢٣)، وأحمد (١/٢٠٨)، والبَغَوِيّ (١/٥٢)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (٧٣)، عن العبَّاس بن عبد المطَّلب رضي الله عنه.

وَمُحِبُّ ٱلْمُرْدَانِ، وَمُحِبُّ ٱلنِّسْوَانِ!

وَهَؤُلَاءِ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ أَذْوَاقَهُمْ وَمَوَاجِيدَهُمْ، مِنْ غَيْرِ ٱعْتِبَارٍ لِذَلِكَ بِٱلْكِتَابِ وَٱلسُّنَّةِ، وَمَا كَانَ عَلَيْهِ سَلَفُ ٱلْأُمَّةِ(١).

فَٱلْمُخَالِفُ لِمَا بَعَثَ ٱللَّهُ بِهِ رَسُولَهُ مِنْ عِبَادَتِهِ وَحْدَهُ، وَطَاعَتِهِ وَطَاعَةِ رَسُولِهِ، لَا يَكُونُ مُتَّبِعًا لِدِينٍ شَرَعَهُ ٱللَّهُ أَبَدًا؛ كَمَا قَالَ ـ تَعَالَىٰ ـ:

﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا۟ عَنكَ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ وَإِنَّ ٱلظَّـٰلِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۖ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٩﴾﴾ [الجاثية: ١٨ ـ ١٩].

بَلْ يَكُونُ مُتَّبِعًا لِهَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ ٱللَّهِ، قَالَ ـ تَعَالَىٰ ـ: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَـٰٓؤُا۟ شَرَعُوا۟ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ﴾ [الشورى: ٢١].

وَهُمْ فِي ذَلِكَ تَارَةً يَكُونُونَ عَلَىٰ بِدْعَةٍ يُسَمُّونَهَا: حَقِيقَةً! يُقَدِّمُونَهَا عَلَىٰ مَا شَرَعَهُ ٱللَّهُ، وَتَارَةً يَحْتَجُّونَ بِٱلْقَدَرِ ٱلْكَوْنِيِّ عَلَى ٱلشَّرِيعَةِ! كَمَا أَخْبَرَ ٱللَّهُ بِهِ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ؛ كَمَا تَقَدَّمَ.

وَمِنْ هَؤُلَاءِ طَائِفَةٌ هُمْ أَعْلَاهُمْ عِنْدَهُمْ قَدْرًا، وَهُمْ مُسْتَمْسِكُونَ بِمَا ٱخْتَارُوا بِهَوَاهُمْ مِنَ ٱلدِّينِ؛ فِي أَدَاءِ ٱلْفَرَائِضِ ٱلْمَشْهُورَةِ، وَٱجْتِنَابِ ٱلْمُحَرَّمَاتِ ٱلْمَشْهُورَةِ، لَكِنْ يَضِلُّونَ بِتَرْكِ مَا أُمِرُوا بِهِ مِنَ ٱلْأَسْبَابِ ٱلَّتِي هِيَ

---

(١) وهذا شرطٌ مُهِمٌّ لأُصولِ فهم الكتاب والسُّنَّة، ودونَه يكونُ الفهمُ سقيمًا، والطريقُ أعوجَ عقيمًا؛ إذ يُتْرَكُ الفهمُ لعقولِ أهل الكلام، أو لِفهُومِ أرباب التصوُّف، أو لأهواء أذناب العقل، أو غير هؤلاء مِمَّن لم يُحْكِمُوا فَهْمَهم للوحيَيْنِ الشريفين بمنهاج السَّلَفِ، وطريق السلف.

عِبَادَةٌ، ظَانِّينَ أَنَّ ٱلْعَارِفَ إِذَا شَهِدَ ٱلْقَدَرَ أَعْرَضَ عَنْ ذَلِكَ، مِثْلُ مَنْ يَجْعَلُ ٱلتَّوَكُّلَ - مِنْهُمْ - أَوِ ٱلدُّعَاءَ وَنَحْوَ ذَلِكَ مِنْ مَقَامَاتِ ٱلْعَامَّةِ دُونَ ٱلْخَاصَّةِ؛ بِنَاءً عَلَىٰ أَنَّ مَنْ شَهِدَ ٱلْقَدَرَ عَلِمَ أَنَّ مَا قُدِّرَ سَيَكُونُ، فَلَا حَاجَةَ إِلَىٰ ذَلِكَ!

وَهَذَا ضَلَالٌ مُبِينٌ، وَغَلَطٌ عَظِيمٌ.

فَإِنَّ ٱللَّهَ قَدَّرَ ٱلْأَشْيَاءَ بِأَسْبَابِهَا، كَمَا قَدَّرَ ٱلسَّعَادَةَ وَٱلشَّقَاوَةَ بِأَسْبَابِهَا؛ كَمَا قَالَ ٱلنَّبِيُّ ﷺ: **«إِنَّ ٱللَّهَ خَلَقَ لِلْجَنَّةِ أَهْلًا، خَلَقَهَا لَهُمْ وَهُمْ فِي أَصْلَابِ آبَائِهِمْ، وَبِعَمَلِ أَهْلِ ٱلْجَنَّةِ يَعْمَلُونَ، وَخَلَقَ لِلنَّارِ أَهْلًا، خَلَقَهَا لَهُمْ وَهُمْ فِي أَصْلَابِ آبَائِهِمْ، وَبِعَمَلِ أَهْلِ ٱلنَّارِ يَعْمَلُونَ»**(١).

وَكَمَا قَالَ ٱلنَّبِيُّ ﷺ لَمَّا أَخْبَرَهُمْ بِأَنَّ ٱللَّهَ كَتَبَ ٱلْمَقَادِيرَ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ ٱللَّهِ! أَفَلَا نَدَعُ ٱلْعَمَلَ، وَنَتَّكِلُ عَلَى ٱلْكِتَابِ؟ فَقَالَ: **«لَا، ٱعْمَلُوا، فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ؛ أَمَّا مَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ ٱلسَّعَادَةِ، فَسَيُيَسَّرُ لِعَمَلِ أَهْلِ ٱلسَّعَادَةِ، وَأَمَّا مَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ ٱلشَّقَاوَةِ، فَسَيُيَسَّرُ لِعَمَلِ أَهْلِ ٱلشَّقَاوَةِ»**(٢).

---

(١) رواه مسلم (٢٦٦٢)، وأبو داود (٤٧١٣)، والنسائي (٥٧/٤)، وابن ماجه (٨٢)، وأحمد (٤١/٦، ٢٠٨)، والآجُرِّيُّ في «الشريعة» (١٩٦)، عن عائشة رضي الله عنها.

(٢) رواه البخاري (١٣٦٢)، (٤٩٤٥)، (٤٩٤٦)، ومسلم (٢٦٤٧)، وأبو داود (٤٦٩٤)، والترمذي (٢١٣٦)، (٣٣٤٤)، وأحمد (٨٢/١، ١٢٩، ١٣٢، ١٤٠)، وابن ماجه (٧٨)، والنسائي في «الكبرى»؛ كما في «تحفة الأشراف» (٣٩٩/٧)، وعبد الرزاق في «المصنف» (٢٠٠٧٤)، وابن حبان (٣٤)، و(٣٥)، والآجُرِّي (١٧١ - ١٧٢)، عن عليٍّ رضي الله عنه.

فَكُلُّ مَا أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ مِنَ ٱلْأَسْبَابِ فَهُوَ عِبَادَةٌ[١]، وَٱلتَّوَكُّلُ مَقْرُونٌ بِٱلْعِبَادَةِ؛ كَمَا فِي قَوْلِهِ ـ تَعَالَىٰ ـ: ﴿فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾ [هُود: ١٢٣].

وَفِي قَوْلِهِ: ﴿قُلْ هُوَ رَبِّي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ﴾ [الرَّعْد: ٣٠] وَقَوْلِ شُعَيْبٍ ـ عَلَيْهِ السَّلَامُ ـ: ﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [هُود: ٨٨].

وَمِنْهُمْ طَائِفَةٌ يَغْتَرُّونَ بِمَا يَحْصُلُ لَهُمْ مِنْ خَرْقِ عَادَةٍ[٢]؛ مِثْلُ مُكَاشَفَةٍ، أَوِ ٱسْتِجَابَةِ دَعْوَةٍ مُخَالِفَةٍ لِلْعَادَةِ ٱلْعَامَّةِ، وَنَحْوِ ذَٰلِكَ، فَيَشْتَغِلُ أَحَدُهُمْ بِهَٰذِهِ ٱلْأُمُورِ عَمَّا أُمِرَ بِهِ مِنَ ٱلْعِبَادَةِ وَٱلشُّكْرِ وَنَحْوِ ذَٰلِكَ.

فَهَٰذِهِ ٱلْأُمُورُ وَنَحْوُهَا، كَثِيرًا مَا تَعْرِضُ لِأَهْلِ ٱلسُّلُوكِ وَٱلتَّوَجُّهِ، وَإِنَّمَا يَنْجُو ٱلْعَبْدُ مِنْهَا بِمُلَازَمَةِ أَمْرِ ٱللَّهِ ٱلَّذِي بَعَثَ بِهِ رَسُولَهُ فِي كُلِّ وَقْتٍ.

كَمَا قَالَ ٱلزُّهْرِيُّ: كَانَ مَنْ مَضَىٰ مِنْ سَلَفِنَا يَقُولُونَ:

«ٱلِٱعْتِصَامُ بِٱلسُّنَّةِ نَجَاةٌ».

وَذَٰلِكَ أَنَّ ٱلسُّنَّةَ ـ كَمَا قَالَ مَالِكٌ رَحِمَهُ اللَّهُ: «مِثْلُ سَفِينَةِ نُوحٍ؛ مَنْ رَكِبَهَا نَجَا، وَمَنْ تَخَلَّفَ عَنْهَا غَرِقَ[٣]».

وَٱلْعِبَادَةُ، وَٱلطَّاعَةُ، وَٱلِٱسْتِقَامَةُ، وَلُزُومُ ٱلصِّرَاطِ ٱلْمُسْتَقِيمِ، وَنَحْوِ ذَٰلِكَ مِنَ ٱلْأَسْمَاءِ، مَقْصُودُهَا وَاحِدٌ؛ وَلَهَا أَصْلَانِ:

---

(١) قارن بما كتبتهُ في كتابي «الدعوة إلى الله بين التجمُّع الحزبي والتعاون الشرعي»، (ص: ٤١ ـ ٤٨) تحت عنوان: «العَمَل الإسلامي بين الوسائل والغايات».

(٢) ككثيرٍ من مُدَّعي الكرامات، وجلُّهم دجّالون مُخَادِعونَ مُخاتِلونَ.

(٣) انظر: «مفتاح الجنَّة في الاحتجاج بالسنة»، (ص: ١٢٩).

أَحَدُهُمَا: أَنْ لَا يُعْبَدَ إِلَّا ٱللَّهُ.

ٱلثَّانِي: أَنْ يُعْبَدَ بِمَا أَمَرَ وَشَرَعَ، لَا يَعْبُدُهُ بِغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ ٱلْأَهْوَاءِ وَٱلظُّنُونِ وَٱلْبِدَعِ.

قَالَ ـ تَعَالَىٰ ـ: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [ٱلكهف: ١١٠].

وَقَالَ ـ تَعَالَىٰ ـ: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١١٢﴾﴾ [ٱلبقرة: ١١٢].

وَقَالَ ـ تَعَالَىٰ ـ: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۗ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا ﴿١٢٥﴾﴾ [النساء: ١٢٥].

فَٱلْعَمَلُ ٱلصَّالِحُ: هُوَ ٱلْإِحْسَانُ، وَهُوَ فِعْلُ ٱلْحَسَنَاتِ.

وَٱلْحَسَنَاتُ: هِيَ مَا أَحَبَّهُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُ؛ وَهُوَ مَا أَمَرَ بِهِ أَمْرَ إِيجَابٍ، أَوِ ٱسْتِحْبَابٍ.

فَمَا كَانَ مِنَ ٱلْبِدَعِ فِي ٱلدِّينِ ٱلَّتِي لَيْسَتْ فِي ٱلْكِتَابِ، وَلَا فِي صَحِيحِ ٱلسُّنَّةِ؛ فَإِنَّهَا ـ وَإِنْ قَالَهَا مَنْ قَالَهَا، وَعَمِلَ بِهَا مَنْ عَمِلَ ـ لَيْسَتْ مَشْرُوعَةً؛ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّهَا وَلَا رَسُولُهُ، فَلَا تَكُونُ مِنَ ٱلْحَسَنَاتِ، وَلَا مِنَ ٱلْعَمَلِ ٱلصَّالِحِ.

كَمَا أَنَّ مَنْ يَعْمَلُ مَا لَا يَجُوزُ ـ كَٱلْفَوَاحِشِ وَٱلظُّلْمِ ـ لَيْسَ مِنَ ٱلْحَسَنَاتِ، وَلَا مِنَ ٱلْعَمَلِ ٱلصَّالِحِ.

وَأَمَّا قَوْلُهُ: ﴿وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [ٱلكهف: ١١٠] وَقَوْلُهُ: ﴿أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ﴾ [ٱلبقرة: ١١٢] فَهُوَ إِخْلَاصُ ٱلدِّينِ لِلَّهِ وَحْدَهُ.

وَكَانَ عُمَرُ بْنُ ٱلْخَطَّابِ يَقُولُ: «ٱللَّهُمَّ ٱجْعَلْ عَمَلِي كُلَّهُ صَالِحًا، وَٱجْعَلْهُ لِوَجْهِكَ خَالِصًا، وَلَا تَجْعَلْ لِأَحَدٍ فِيهِ شَيْئًا».

وَقَالَ ٱلْفُضَيْلُ بْنُ عِيَاضٍ[1] فِي قَوْلِهِ ـ تَعَالَىٰ ـ: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [ٱلْمُلْك: ٢].

قَالَ: أَخْلَصُهُ وَأَصْوَبُهُ.

قَالُوا: يَا أَبَا عَلِيٍّ، مَا أَخْلَصُهُ، وَأَصْوَبُهُ؟

قَالَ: إِنَّ ٱلْعَمَلَ إِذَا كَانَ خَالِصًا، وَلَمْ يَكُنْ صَوَابًا لَمْ يُقْبَلْ، وَإِذَا كَانَ صَوَابًا، وَلَمْ يَكُنْ خَالِصًا لَمْ يُقْبَلْ، حَتَّىٰ يَكُونَ خَالِصًا صَوَابًا.

وَٱلْخَالِصُ: أَنْ يَكُونَ لِلَّهِ، وَٱلصَّوَابُ: أَنْ يَكُونَ عَلَى ٱلسُّنَّةِ[2].

فَإِنْ قِيلَ: فَإِذَا كَانَ جَمِيعُ مَا يُحِبُّهُ ٱللَّهُ دَاخِلًا فِي ٱسْمِ ٱلْعِبَادَةِ؛ فَلِمَاذَا عَطَفَ عَلَيْهَا غَيْرَهَا؛ كَقَوْلِهِ فِي فَاتِحَةِ ٱلْكِتَابِ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾ وَقَوْلُهُ لِنَبِيِّهِ: ﴿فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾ [هُود: ١٢٣]. وَقَوْلُ نُوحٍ: ﴿ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ﴾ [نُوح: ٣] وَكَذَلِكَ قَوْلُ غَيْرِهِ مِنَ ٱلرُّسُلِ؟!

قِيلَ: هَذَا لَهُ نَظَائِرُ؛ كَمَا فِي قَوْلِهِ: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾ [ٱلْعَنْكَبُوت: ٤٥]. وَٱلْفَحْشَاءُ مِنَ ٱلْمُنْكَرِ.

وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى

---

(١) إمامٌ قُدوةٌ زاهدٌ، توفي سنة (١٨٦ هـ)، ترجمته في «سير أعلام النبلاء» (٨/٣٧٢).

(٢) وفي كتابي «علم أصول البدع» تقريرٌ متينٌ ـ إن شاء الله ـ لهذه القاعدة.

ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْيِ﴾ [النّحل: ٩٠].

وَإِيتَاءُ ذِي ٱلْقُرْبَىٰ هُوَ مِنَ ٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَانِ؛ كَمَا أَنَّ ٱلْفَحْشَاءَ وَٱلْبَغْيَ مِنَ ٱلْمُنْكَرِ.

وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلْكِتَٰبِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [الأعراف: ١٧٠].

وَإِقَامَةُ ٱلصَّلَاةِ مِنْ أَعْظَمِ ٱلتَّمَسُّكِ بِٱلْكِتَابِ.

وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ عَنْ أَنْبِيَائِهِ: ﴿إِنَّهُمْ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا﴾ [الأنبياء: ٩٠].

وَدُعَاؤُهُمْ رَغَبًا وَرَهَبًا مِنَ ٱلْخَيْرَاتِ.

وَأَمْثَالُ ذَلِكَ فِي ٱلْقُرْآنِ كَثِيرٌ.

وَهَذَا ٱلْبَابُ يَكُونُ تَارَةً مَعَ كَوْنِ أَحَدِهِمَا بَعْضَ ٱلْآخَرِ، فَيُعْطَفُ عَلَيْهِ تَخْصِيصًا لَهُ بِٱلذِّكْرِ؛ لِكَوْنِهِ مَطْلُوبًا بِٱلْمَعْنَى ٱلْعَامِّ، وَٱلْمَعْنَى ٱلْخَاصِّ.

وَتَارَةً دِلَالَةُ ٱلِٱسْمِ تَتَنَوَّعُ بِحَالِ ٱلِٱنْفِرَادِ، وَٱلِٱقْتِرَانِ؛ فَإِذَا أُفْرِدَ عَمَّ، وَإِذَا قُرِنَ بِغَيْرِهِ خُصَّ، كَٱسْمِ: ٱلْفَقِيرِ، وَٱلْمِسْكِينِ، لَمَّا أُفْرِدَ أَحَدُهُمَا فِي مِثْلِ قَوْلِهِ: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٧٣]. وَقَوْلُهُ: ﴿إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَٰكِينَ﴾ [المائدة: ٨٩]؛ دَخَلَ فِيهِ ٱلْآخَرُ.

وَلَمَّا قُرِنَ بَيْنَهُمَا فِي قَوْلِهِ:

﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ﴾ [التّوبة: ٦٠]. صَارَا نَوْعَيْنِ[1].

---

(١) انظر: «الفروق اللُّغويّة» (ص: ١٤٥)، لأبي هلال العسكريِّ، ففيه فائدةٌ ـ حول هذا ـ لطيفةٌ.

وَقَدْ قِيلَ: إِنَّ ٱلْخَاصَّ ٱلْمَعْطُوفَ عَلَى ٱلْعَامِّ لَا يَدْخُلُ فِي ٱلْعَامِّ حَالَ ٱلِاقْتِرَانِ؛ بَلْ يَكُونُ مِنْ هَذَا ٱلْبَابِ.

وَٱلتَّحْقِيقُ: أَنَّ هَذَا لَيْسَ لَازِمًا.

قَالَ - تَعَالَىٰ -: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ﴾ [ٱلبقرة: ٩٨].

وَقَالَ - تَعَالَىٰ -: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ﴾ [ٱلأحزاب: ٧].

وَذِكْرُ ٱلْخَاصِّ مَعَ ٱلْعَامِّ يَكُونُ لِأَسْبَابٍ مُتَنَوِّعَةٍ:

تَارَةً لِكَوْنِهِ لَهُ خَاصِيَّةٌ لَيْسَتْ لِسَائِرِ أَفْرَادِ ٱلْعَامِّ؛ كَمَا فِي نُوحٍ، وَإِبْرَاهِيمَ، وَمُوسَىٰ، وَعِيسَىٰ.

وَتَارَةً لِكَوْنِ ٱلْعَامِّ فِيهِ إِطْلَاقٌ قَدْ لَا يُفْهَمُ مِنْهُ ٱلْعُمُومُ؛ كَمَا فِي قَوْلِهِ:

﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ﴾ [ٱلبقرة: ٢ - ٤].

فَقَوْلُهُ: ﴿يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ﴾ يَتَنَاوَلُ ٱلْغَيْبَ ٱلَّذِي يَجِبُ ٱلْإِيمَانُ بِهِ، لَكِنْ فِيهِ إِجْمَالٌ، فَلَيْسَ فِيهِ دِلَالَةٌ عَلَىٰ أَنَّ مِنَ ٱلْغَيْبِ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ، وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ.

وَقَدْ يَكُونُ ٱلْمَقْصُودُ: أَنَّهُمْ يُؤْمِنُونَ بِٱلْمُخْبَرِ بِهِ؛ وَهُوَ ٱلْغَيْبُ، وَبِٱلْإِخْبَارِ بِٱلْغَيْبِ، وَهُوَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ، وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ.

وَمِنْ هَذَا ٱلْبَابِ قَوْلُهُ ـ تَعَالَىٰ ـ: ﴿ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [ٱلْعَنكَبُوت: ٤٥].

وَقَوْلُهُ: ﴿وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلْكِتَٰبِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [ٱلْأَعْرَاف: ١٧٠].

وَتِلَاوَةُ ٱلْكِتَابِ: هِيَ ٱتِّبَاعُهُ وَٱلْعَمَلُ بِهِ. كَمَا قَالَ ٱبْنُ مَسْعُودٍ فِي قَوْلِهِ ـ تَعَالَىٰ ـ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ﴾ [ٱلْبَقَرَة: ١٢١]، قَالَ: «يُحِلُّونَ حَلَالَهُ، وَيُحَرِّمُونَ حَرَامَهُ، وَيُؤْمِنُونَ بِمُتَشَابِهِهِ، وَيَعْمَلُونَ بِمُحْكَمِهِ»[١].

فَٱتِّبَاعُ ٱلْكِتَابِ يَتَنَاوَلُ ٱلصَّلَاةَ وَغَيْرَهَا، لَكِنْ خَصَّهَا بِٱلذِّكْرِ لِمَزِيَّتِهَا.

وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ لِمُوسَىٰ: ﴿إِنَّنِىٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِى وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ ﴿١٤﴾﴾ [طه: ١٤].

وَإِقَامَةُ ٱلصَّلَاةِ لِذِكْرِهِ مِنْ أَجَلِّ عِبَادَتِهِ.

وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ ـ تَعَالَىٰ ـ: ﴿ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا﴾ [ٱلْأَحْزَاب: ٧٠].

وَقَوْلُهُ: ﴿ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱبْتَغُوٓا۟ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ﴾ [ٱلْمَائِدَة: ٣٥].

وَقَوْلُهُ: ﴿ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [ٱلتَّوْبَة: ١١٩].

فَإِنَّ هَذِهِ ٱلْأُمُورَ هِيَ أَيْضًا مِنْ تَمَامِ تَقْوَى ٱللَّهِ.

وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾ [هُود: ١٢٣].

فَإِنَّ ٱلتَّوَكُّلَ وَٱلِٱسْتِعَانَةَ هِيَ مِنْ عِبَادَةِ ٱللَّهِ؛ لَكِنْ خُصَّتْ بِٱلذِّكْرِ لِيَقْصِدَهَا ٱلْمُتَعَبِّدُ بِخُصُوصِهَا؛ فَإِنَّهَا هِيَ ٱلْعَوْنُ عَلَىٰ سَائِرِ أَنْوَاعِ ٱلْعِبَادَةِ؛ إِذْ

---

(١) أخرجه ابنُ جرير في «جامع البيان» (٢/٥١٩)، وعبد الرزَّاق في «تفسيره» (١/٥٦).

هُوَ ـ سُبْحَانَهُ ـ لَا يُعْبَدُ إِلَّا بِمَعُونَتِهِ.

إِذَا تَبَيَّنَ هَذَا؛ فَكَمَالُ ٱلْمَخْلُوقِ فِي تَحْقِيقِ عُبُودِيَّتِهِ لِلَّهِ، وَكُلَّمَا ٱزْدَادَ ٱلْعَبْدُ تَحْقِيقًا لِلْعُبُودِيَّةِ، ٱزْدَادَ كَمَالُهُ، وَعَلَتْ دَرَجَتُهُ.

وَمَنْ تَوَهَّمَ أَنَّ ٱلْمَخْلُوقَ يَخْرُجُ عَنِ ٱلْعُبُودِيَّةِ بِوَجْهٍ مِنَ ٱلْوُجُوهِ، أَوْ أَنَّ ٱلْخُرُوجَ عَنْهَا أَكْمَلُ؛ فَهُوَ مِنْ أَجْهَلِ ٱلْخَلْقِ، بَلْ مِنْ أَضَلِّهِمْ.

قَالَ ـ تَعَالَىٰ ـ: ﴿وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ۗ سُبْحَٰنَهُۥ ۚ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [ٱلأنبياء: ٢٦ ـ ٢٨].

وَقَالَ ـ تَعَالَىٰ ـ: ﴿وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾ لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْـًٔا إِدًّا ﴿٨٩﴾ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَن دَعَوْا۟ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾ وَمَا يَنۢبَغِى لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾ إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَرْدًا ﴿٩٥﴾﴾ [مريم: ٨٨ ـ ٩٥].

وَقَالَ ـ تَعَالَىٰ ـ فِي ٱلْمَسِيحِ: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَٰهُ مَثَلًا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٥٩﴾﴾ [ٱلزخرف: ٥٩].

وَقَالَ ـ تَعَالَىٰ ـ: ﴿وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾﴾ [ٱلأنبياء: ١٩ ـ ٢٠].

وَقَالَ ـ تَعَالَىٰ ـ: ﴿لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ۚ وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا ﴿١٧٢﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْتَنكَفُوا۟ وَٱسْتَكْبَرُوا۟ فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٧٣﴾﴾ [ٱلنِّسَاء: ١٧٢ ـ ١٧٣].

وَقَالَ ـ تَعَالَىٰ ـ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾ [غافر: ٦٠].

وَقَالَ ـ تَعَالَىٰ ـ: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۚ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾ فَإِنِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْـَٔمُونَ ۩ ﴿٣٨﴾﴾ [فُصِّلَت: ٣٧ ـ ٣٨].

وَقَالَ ـ تَعَالَىٰ ـ: ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴿٢٠٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسْجُدُونَ ۩ ﴿٢٠٦﴾﴾ [ٱلْأَعْرَاف: ٢٠٥ ـ ٢٠٦].

وَهَٰذَا وَنَحْوُهُ ـ مِمَّا فِيهِ وَصْفُ أَكَابِرِ ٱلْخَلْقِ بِٱلْعِبَادَةِ، وَذَمُّ مَنْ خَرَجَ عَنْ ذَٰلِكَ ـ مُتَعَدِّدٌ فِي ٱلْقُرْآنِ، وَقَدْ أَخْبَرَ أَنَّهُ أَرْسَلَ جَمِيعَ ٱلرُّسُلِ بِذَٰلِكَ؛ فَقَالَ ـ تَعَالَىٰ ـ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾ [ٱلْأَنْبِيَاء: ٢٥].

وَقَالَ: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النَّحل: ٣٦].

وَقَالَ - تعَالَىٰ - لِبَنِي إِسْرَائِيلَ: ﴿يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [العَنكبوت: ٥٦]. ﴿وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ﴾ [البَقرَة: ٤١].

وَقَالَ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾﴾ [البَقرَة: ٢١].

وَقَالَ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات: ٥٦].

وَقَالَ - تَعَالَىٰ -: ﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ ﴿١١﴾ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٢﴾ قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣﴾ قُلِ اللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُ دِينِي ﴿١٤﴾ فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُم مِّن دُونِهِ﴾ [الزُّمَر: ١١ - ١٥].

وَكُلُّ رَسُولٍ مِنَ الرُّسُلِ افْتَتَحَ دَعْوَتَهُ بِالدُّعَاءِ إِلَىٰ عِبَادَةِ اللَّهِ[(١)]؛ كَقَوْلِ نُوحٍ وَمَنْ بَعْدَهُ - عَلَيْهِمُ السَّلَامُ - فِي:

﴿اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ﴾ [المُؤْمِنون: ٢٣].

وَفِي «الْمُسْنَدِ»[(٢)]، عَنِ ابْنِ عُمَرَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: **«بُعِثْتُ بِالسَّيْفِ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ، حَتَّىٰ يُعْبَدَ اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَجُعِلَ رِزْقِي تَحْتَ ظِلِّ رُمْحِي، وَجُعِلَ الذِّلَّةُ وَالصَّغَارُ عَلَىٰ مَنْ خَالَفَ أَمْرِي»**.

---

(١) وهذا هو النهجُ الصحيحُ في الدعوةِ إلى اللهِ.

(٢) (٢/٥٠، ٩٢) بسند حَسَنٍ، وقد خرَّجتُه مطوَّلًا في أوائل رسالة الحافظ ابن رَجَب الحنبلي في شرحه «الحِكَم الجديرة بالإذاعة» - يَسَّرَ اللهُ نَشْرَهَا -.

وَقَدْ بَيَّنَ أَنَّ عِبَادَهُ هُمُ ٱلَّذِينَ يَنْجُونَ مِنَ ٱلسَّيِّئَاتِ، قَالَ ٱلشَّيْطَانُ[1]: ﴿رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾﴾ [الحِجر: ٣٩، ٤٠].

قَالَ - تَعَالَىٰ -: ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿٤٢﴾﴾ [الحِجر: ٤٢].

وَقَالَ: ﴿فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾﴾ [ص: ٨٢-٨٣].

وَقَالَ فِي حَقِّ يُوسُفَ: ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ [يُوسُف: ٢٤].

وَقَالَ: ﴿سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿١٦٠﴾﴾ [ٱلصَّافَّات: ١٥٩ - ١٦٠].

وَقَالَ: ﴿إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ ﴿١٠٠﴾﴾ [ٱلنَّحل: ٩٩ - ١٠٠].

وَبِٱلْعُبُودِيَّةِ نَعَتَ كُلَّ مَنِ ٱصْطَفَىٰ مِنْ خَلْقِهِ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَٱذْكُرْ عِبَٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ أُو۟لِى ٱلْأَيْدِى وَٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٥﴾ إِنَّآ أَخْلَصْنَٰهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى ٱلدَّارِ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ ٱلْمُصْطَفَيْنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴿٤٧﴾﴾ [ص: ٤٥ - ٤٧].

وَقَوْلُهُ: ﴿وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلْأَيْدِ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ [ص: ١٧].

وَقَالَ عَنْ سُلَيْمَانَ: ﴿نِعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ [ص: ٣٠].

---

[1] كما في سورة الحِجْر: آية (٣٩ ، ٤٠) حكايةً عنه.

وَعَنْ أَيُّوبَ: ﴿نِعْمَ ٱلْعَبْدُ﴾، [ص: ٤٤].

وَقَالَ: ﴿وَٱذْكُرْ عَبْدَنَآ أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ﴾ [ص: ٤١].

وَقَالَ عَنْ نُوحٍ الْتَلِيْلَا: ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴿٣﴾﴾ [الإسراء: ٣].

وَقَالَ عَنْ خَاتَمِ رُسُلِهِ: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا﴾ [الإسراء: ١].

[وَهُوَ أُولَى ٱلْقِبْلَتَيْنِ(١)، وَقَدْ خَصَّهُ ٱللَّهُ بِأَنْ جَعَلَ ٱلْعِبَادَةَ فِيهِ بِخَمْسِ مِئَةِ ضِعْفٍ(٢)، وَٱلْمَقْصُودُ بِمُضَاعَفَةِ ٱلْحَسَنَاتِ هُوَ ٱلْمَسْجِدُ ٱلَّذِي حَرَّقَهُ

---

(١) وَمَنْ يقولُ مُتَمِّمًا: «وثالث الحرمين الشريفين»! فقد جانَبَ الصوابَ؛ إذْ لم يَرِدْ في السُّنَّة أَنَّهُ حَرَم، ومُضَاعَفَةُ الصلاةِ شأْنٌ آخَرُ كما لا يخفى على الفَطِن.

(٢) كما رواه البزَّارُ في «مسنده» (٤٢٢)، مِن طريق سعيد بن سلم القَدَّاح، عن سعيد ابن بشير، عن إسماعيل بن عُبَيْدِ اللَّه، عن أُمّ الدرداء، عن أبي الدرداء.

ورواه ابن عبد البرّ في «التمهيد» (٦/٣٠)، والطحاوي في «مشكل الآثار» (١/٢٤٨)، وابن عدي في «الكامل» (٣/١٢٣٤)، من طريق سعيد القداح به.

وأورده السيوطي في «الدر المنثور» (٢/٥٣)، وزاد نسبته لابن خُزيمة، والطَّبراني، والبيهقي في «الشُّعَب».

والقدَّاح وكذا سعيد بن بَشير: ضعيفان.

والصوابُ في هذا: ما رواه الحاكم (٤/٥٠٩)، والضِّياء المقدسي في «فضائل بيت المقدس»: (ص: ٥١): عن أبي ذَرٍّ أن النبيَّ ﷺ سُئِلَ عن الصلاة في بيت المقدس أفضل، أو مسجده؟ فقال: «صَلَاةٌ فِي مَسْجِدِي هَذَا أَفْضَلُ مِنْ أَرْبَعِ صَلَوَاتٍ مِنْهُ، وَلَنِعْمَ ٱلْمُصَلَّى...». أي: مئتان وخمسون صلاة. وسنده جيِّدٌ.

وأورده الهيثمي في «المجمع» (٤/٧)، وزاد نسبته للطبراني «الأوسط»، =

ٱلْيَهُودُ[١] - عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ ٱللَّهِ ..

وَيَظُنُّ ٱلْبَعْضُ أَنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْأَقْصَىٰ هُوَ ٱلصَّخْرَةُ، وَٱلْقُبَّةُ ٱلْمُحِيطَةُ بِهَا، وَلَيْسَ كَذَٰلِكَ][٢].

وَقَالَ: ﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ﴾ [ٱلجن: ١٩].

وَقَالَ: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا﴾ [ٱلبقرة: ٢٣].

وَقَالَ: ﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ﴿١٠﴾﴾ [ٱلنجم: ١٠].

وَقَالَ: ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ﴾ [ٱلإنسان: ٦].

وَقَالَ: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا﴾ [ٱلفرقان: ٦٣].

وَمِثْلُ هَذَا كَثِيرٌ مُتَعَدِّدٌ فِي ٱلْقُرْآنِ.

= ثم قال: «ورجالُه رجالُ الصحيح».

(١) ولا زالوا يفعلون! قاتَلهم اللّهُ أَنَّى يُؤْفَكُون.

(٢) زيادة مِن بعض النسخ.

٢ـ فَصْلٌ

[فِي ٱلتَّفَاضُلِ بِٱلْإِيمَانِ]

إِذَا تَبَيَّنَ ذَلِكَ؛ فَمَعْلُومٌ أَنَّ ٱلنَّاسَ يَتَفَاضَلُونَ فِي هَذَا ٱلْبَابِ تَفَاضُلًا عَظِيمًا، وَهُوَ تَفَاضُلُهُمْ فِي حَقِيقَةِ ٱلْإِيمَانِ.

وَهُمْ يَنْقَسِمُونَ فِيهِ إِلَىٰ عَامٍّ وَخَاصٍّ، وَلِهَذَا كَانَتْ رُبُوبِيَّةُ ٱلرَّبِّ لَهُمْ فِيهَا عُمُومٌ وَخُصُوصٌ.

وَلِهَذَا كَانَ ٱلشِّرْكُ فِي هَذِهِ ٱلْأُمَّةِ أَخْفَىٰ مِنْ دَبِيبِ ٱلنَّمْلِ(١).

---

(١) كما صحّ عن النبيّ ﷺ فيما رواه أبو يعلى (٥٨)، وابن السُّنّي (رقم: ٢٨١)، والمروزي في «مسند أبي بكر» (١٧)، من طريق ابن جُريج:
أخبرني لَيث بن أبي سُليم، عن أبي محمد، عن حذيفة، عن أبي بكر الصدّيق.
وسنده ضعيفٌ، لضعيف لَيث، وجهالة أبي محمد.
وفي الباب عن عدّة من الصحابة بأسانيد ضعيفة يُقَوّي بعضها بعضًا:
في «المسند» (٤٠٣/٤)، عن أبي موسى رضي الله عنه.
وفي «الحلية» (١١٢/٧)، من طريق آخر عن أبي بكر رضي الله عنه.
ورواه ابن الجوزي في «العلل المتناهية» (١٣٧٨)، والحاكم (٢٩١/٢)، وأبو نُعيم (٣٦٨/٨)، عن عائشة رضي الله عنها.
وفي «الحلية» (٣٦/٣) ـ كذلك ـ عن ابن عباس رضي الله عنه.
وانظر: «مجمع الزوائد» (٢٢٣/١٠)، و«إتحاف السادة المتقين» (٤٧٠/٢، ٣٠٤/٧، ٣١/٨)، و«المطالب العالية» (٣١٩٩)، و«الدر المنثور» (١٧/٢).

وَفِي «ٱلصَّحِيحِ»[١]، عَنِ ٱلنَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: **«تَعِسَ عَبْدُ ٱلدِّرْهَمِ، تَعِسَ عَبْدُ ٱلدِّينَارِ، تَعِسَ عَبْدُ ٱلْقَطِيفَةِ، تَعِسَ عَبْدُ ٱلْخَمِيصَةِ، تَعِسَ وَٱنْتَكَسَ، وَإِذَا شِيكَ فَلَا ٱنْتَقَشَ، إِنْ أُعْطِيَ رَضِيَ، وَإِنْ مُنِعَ سَخِطَ»**.

فَسَمَّاهُ ٱلنَّبِيُّ ﷺ عَبْدَ ٱلدِّرْهَمِ، وَعَبْدَ ٱلدِّينَارِ، وَعَبْدَ ٱلْقَطِيفَةِ، وَعَبْدَ ٱلْخَمِيصَةِ، وَذَكَرَ مَا فِيهِ دُعَاءً وَخَبَرًا، وَهُوَ قَوْلُهُ: **«تَعِسَ وَٱنْتَكَسَ، وَإِذَا شِيكَ فَلَا ٱنْتَقَشَ»**.

وَٱلنَّقْشُ: إِخْرَاجُ ٱلشَّوْكَةِ مِنَ ٱلرِّجْلِ. وَٱلْمِنْقَاشُ: مَا يُخْرَجُ بِهِ ٱلشَّوْكَةُ.

وَهَذِهِ حَالُ مَنْ إِذَا أَصَابَهُ شَرٌّ لَمْ يَخْرُجْ مِنْهُ، وَلَمْ يُفْلِحْ لِكَوْنِهِ تَعِسَ وَٱنْتَكَسَ، فَلَا نَالَ ٱلْمَطْلُوبَ، وَلَا خَلَصَ مِنَ ٱلْمَكْرُوهِ، وَهَذِهِ حَالُ مَنْ عَبَدَ ٱلْمَالَ.

وَقَدْ وَصَفَ ذَلِكَ بِأَنَّهُ إِذَا أُعْطِيَ رَضِيَ، وَإِذَا مُنِعَ سَخِطَ؛ كَمَا قَالَ ـ تَعَالَىٰ ـ: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ فَإِنْ أُعْطُواْ مِنْهَا رَضُواْ وَإِن لَّمْ يُعْطَوْاْ مِنْهَآ إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ۝٥٨﴾ [ٱلتَّوْبَة: ٥٨].

فَرِضَاهُمْ لِغَيْرِ ٱللَّهِ، وَسَخَطُهُمْ لِغَيْرِ ٱللَّهِ.

وَهَكَذَا حَالُ مَنْ كَانَ مُتَعَلِّقًا بِرِئَاسَةٍ، أَوْ بِصُورَةٍ، وَنَحْوِ ذَلِكَ مِنْ أَهْوَاءِ نَفْسِهِ؛ إِنْ حَصَلَ لَهُ رَضِيَ، وَإِنْ لَمْ يَحْصُلْ لَهُ سَخِطَ[٢]، فَهَذَا عَبْدُ مَا

---

(١) «صحيح البخاري» (رقم: ٦٤٣٥)، عن أبي هُريرة.

ورواه ابن ماجه (٤١٣٦)، والبيهقي (١٥٩/٩)، وغيرهم.

(٢) وهؤلاء كثيرٌ في كُلِّ عَصْرٍ ومِصْر، ولكنَّ خَطَرَهُم يزولُ، وانحرافَهم يَمَّحِي لمَّا تذهبُ مصالحهُم، وتروحُ رئاستُهم وأهواؤهم، وحالُهم كَمِثْلِ ما قيل قديمًا: =

يَهْوَاهُ مِنْ ذَلِكَ، وَهُوَ رَقِيقٌ لَهُ؛ إِذِ ٱلرِّقُّ وَٱلْعُبُودِيَّةُ - فِي ٱلْحَقِيقَةِ - هُوَ رِقُّ ٱلْقَلْبِ وَعُبُودِيَّتُهُ، فَمَا ٱسْتَرَقَّ ٱلْقَلْبَ وَٱسْتَعْبَدَهُ فَهُوَ عَبْدُهُ.

وَلِهَذَا يُقَالُ:

ٱلْعَبْدُ حُرٌّ مَا قَنِعْ وَٱلْحُرُّ عَبْدٌ مَا طَمِعْ

وَقَالَ ٱلْقَائِلُ:

أَطَعْتُ مَطَامِعِي فَٱسْتَعْبَدَتْنِي وَلَوْ أَنِّي قَنِعْتُ لَكُنْتُ حُرًّا

وَيُقَالُ: ٱلطَّمَعُ غُلٌّ فِي ٱلْعُنُقِ، قَيْدٌ فِي ٱلرِّجْلِ، فَإِذَا زَالَ ٱلْغُلُّ مِنَ ٱلْعُنُقِ، زَالَ ٱلْقَيْدُ مِنَ ٱلرِّجْلِ.

وَيُرْوَىٰ عَنْ عُمَرَ بْنِ ٱلْخَطَّابِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «ٱلطَّمَعُ فَقْرٌ، وَٱلْيَأْسُ غِنًى، وَإِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا يَئِسَ مِنْ شَيْءٍ ٱسْتَغْنَىٰ عَنْهُ».

وَهَذَا أَمْرٌ يَجِدُهُ ٱلْإِنْسَانُ مِنْ نَفْسِهِ؛ فَإِنَّ ٱلْأَمْرَ ٱلَّذِي يَيْأَسُ مَنْ لَا يَطْلُبُهُ، وَلَا يَبْقَىٰ قَلْبُهُ فَقِيرًا إِلَيْهِ، وَلَا إِلَىٰ مَنْ يَفْعَلُهُ.

وَأَمَّا إِذَا طَمِعَ فِي أَمْرٍ مِنَ ٱلْأُمُورِ وَرَجَاهُ، فَإِنَّ قَلْبَهُ يَتَعَلَّقُ بِهِ، فَيَصِيرُ فَقِيرًا إِلَىٰ حُصُولِهِ، وَإِلَىٰ مَنْ يَظُنُّ أَنَّهُ سَبَبٌ فِي حُصُولِهِ، وَهَذَا فِي ٱلْمَالِ، وَٱلْجَاهِ، وَٱلصُّوَرِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ.

قَالَ ٱلْخَلِيلُ ﷺ [1]: ﴿فَٱبْتَغُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥٓ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾.

= صَلَّىٰ وَصَامَ لِأَمْرٍ كَانَ يَطْلُبُهُ فَلَمَّا ٱنْقَضَى ٱلْأَمْرُ لَا صَامَ وَلَا صَلَّىٰ

(١) كما في سورة العنكبوت، (آية: ١٧)، حكايةً عنه.

فَٱلْعَبْدُ لَا بُدَّ لَهُ مِنْ رِزْقٍ، وَهُوَ مُحْتَاجٌ إِلَىٰ ذَٰلِكَ.

فَإِذَا طَلَبَ رِزْقَهُ مِنَ ٱللَّهِ صَارَ عَبْدًا لِلَّهِ، فَقِيرًا إِلَيْهِ.

وَإِذَا طَلَبَهُ مِنْ مَخْلُوقٍ صَارَ عَبْدًا لِذَٰلِكَ ٱلْمَخْلُوقِ، فَقِيرًا إِلَيْهِ.

وَلِهَذَا كَانَتْ مَسْأَلَةُ[1] ٱلْمَخْلُوقِ مُحَرَّمَةٌ فِي ٱلْأَصْلِ، وَإِنَّمَا أُبِيحَتْ لِلضَّرُورَةِ[2].

وَفِي ٱلنَّهْيِ عَنْهَا أَحَادِيثُ كَثِيرَةٌ فِي «**ٱلصِّحَاحِ**»، وَ«**ٱلسُّنَنِ**»، وَ«**ٱلْمَسَانِيدِ**».

كَقَوْلِهِ ﷺ: «**لَا تَزَالُ ٱلْمَسْأَلَةُ بِأَحَدِكُمْ حَتَّى يَأْتِيَ يَوْمُ ٱلْقِيَامَةِ، وَلَيْسَ فِي وَجْهِهِ مُزْعَةُ لَحْمٍ**»[3].

وَقَوْلُهُ: «**مَنْ سَأَلَ ٱلنَّاسَ وَلَهُ مَا يُغْنِيهِ، جَاءَتْ مَسْأَلَتُهُ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ خُدُوشًا ـ أَوْ خُمُوشًا، أَوْ كُدُوشًا ـ فِي وَجْهِهِ**»[4].

وَقَوْلُهُ: «**لَا تَحِلُّ ٱلْمَسْأَلَةُ إِلَّا لِذِي غُرْمٍ مُفْظِعٍ، أَوْ دَمٍ مُوجِعٍ، أَوْ فَقْرٍ**

---

(١) أي: سؤالُه والطَّلبُ منه.

(٢) انظر تحريرَ المصنِّف لهذه المسألة في: «مجموع الفتاوي» (١/١٨٥ - ١٨٧).

(٣) أخرجه البخاري (١٤٧٤)، ومسلم (١٠٤٠)، والنسائي (٥/٩٤).
وأحمد (٢/١٥، ٨٨) عن ابن عُمر.

(٤) أخرجه أبو داود (١٦٢٦)، والنسائي (٥/٩٧)، والترمذي (٦٥٠)، والدارمي (١/٣٨٦)، وابن ماجه (١٨٤٠)، وأحمد (١/٣٨٨، ٤٤١).
والحاكم (١/٤٠٧)، عن ابن مسعود.
وسندُهُ صحيحٌ.

مُدْقِعٍ»[١].

وَهَذَا ٱلْمَعْنَى فِي «**ٱلصَّحِيحِ**»[٢].

وَفِيهِ أَيْضًا: «**لِأَنْ يَأْخُذَ أَحَدُكُمْ حَبْلَهُ، فَيَذْهَبَ، فَيَحْتَطِبَ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَسْأَلَ ٱلنَّاسَ؛ أَعْطَوْهُ، أَوْ مَنَعُوهُ**»[٣].

وَقَالَ: «**مَا أَتَاكَ مِنْ هَذَا ٱلْمَالِ، وَأَنْتَ غَيْرُ سَائِلٍ وَلَا مُشْرِفٍ، فَخُذْهُ، وَمَا لَا، فَلَا تُتْبِعْهُ نَفْسَكَ**»[٤].

فَكَرِهَ أَخْذَهُ مَعَ سُؤَالِ ٱللِّسَانِ، وَٱسْتِشْرَافِ ٱلْقَلْبِ.

---

(١) رواه أحمد (٣/١٠٠، ١١٤، ١٢٦)، وأبو داود (١٦٤١)، والنسائي (٧/٢٥٩)، وابن ماجه (٢١٨٩)، والطيالسي (٢٨٥)، وأبو نُعيم (٣/١٣٢)، من طُرُقٍ، عن أبي بكر الحَنَفي، عن أَنَس...مطوّلًا ومختصرًا.

وسنده ضعيف؛ لجهالة أبي بكر الحَنَفي، ويشهدُ له ما بعده كما قال المصنِّفُ.

(٢) لعلَّه يشير إلى ما رواه مسلم (١٠٤٤)، وأبو داود (١٦٤٠)، والنَّسائي (٥/٨٩، ٩٦ - ٩٧) والدارمي، (١/٣٣٣)، والبيهقي (٥/٢١، ٢٣)، عن قَبيصَةَ:

أنَّ النبيَّ ﷺ قال: « إنَّ ٱلْمَسْأَلَةَ حُرِّمَتْ، إلَّا في إِحْدَىٰ ثَلَاثٍ: رَجُلٌ تَحَمَّلَ بِحَمَالَةٍ، فَحَلَّتْ لَهُ ٱلْمَسْأَلَةُ حَتَّىٰ يُؤَدِّيَهَا، ثُمَّ يُمْسِكُ، وَرَجُلٌ أَصَابَتْهُ جَائِحَةٌ ٱجْتَاحَتْ مَالَهُ، فَحَلَّتْ لَهُ ٱلْمَسْأَلَةُ، فَهُوَ يَسْأَلُ حَتَّىٰ يُصِيبَ سَدَادًا مِنْ عَيْشٍ - أَوْ قِوَامًا مِنْ عَيْشٍ - ثُمَّ يُمْسِكُ، وَرَجُلٌ أَصَابَتْهُ حَاجَةٌ وَفَاقَةٌ، حَتَّىٰ يَشْهَدَ ثَلَاثَةٌ مِنْ ذَوِي ٱلْحِجَىٰ مِنْ قَوْمِهِ فَحَلَّتْ لَهُ ٱلْمَسْأَلَةُ...».

(٣) رواه البخاري (١٤٧١، ٢٣٧٣)، وأحمد (١/١٦٤، ١٦٧)، والبيهقي (٤/١٩٥)، وابن ماجه (١٨٣٨)، ووكيع في «الزهد» (١٤١) عن الزُّبير بن العَوَّام.

(٤) حديثٌ صحيحٌ، انظر تخريجه في تعليقي على «الرباعي في الحديث» للحافظ عبد الغني بن سعيد الأزدي.

وانظر أيضًا: «النكت الظِّراف» (٨/٣٩)، و«فتح الباري» (١٣/١٥٣)، كلاهما للحافظ ابن حَجَر.

وَقَالَ فِي ٱلْحَدِيثِ ٱلصَّحِيحِ[(١)]: «**مَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ ٱللَّهُ، وَمَنْ يَسْتَعْفِفْ يُعِفَّهُ ٱللَّهُ، وَمَنْ يَتَصَبَّرْ يُصَبِّرْهُ ٱللَّهُ، وَمَا أُعْطِيَ أَحَدٌ عَطَاءً خَيْرًا وَأَوْسَعَ مِنَ ٱلصَّبْرِ**».

وَأَوْصَىٰ خَوَاصَّ أَصْحَابِهِ أَنْ لَا يَسْأَلُوا ٱلنَّاسَ شَيْئًا.

وَفِي «**ٱلْمُسْنَدِ**»[(٢)]: «أَنَّ أَبَا بَكْرٍ كَانَ يَسْقُطُ سَوْطُهُ مِنْ يَدِهِ فَلَا يَقُولُ لِأَحَدٍ: نَاوِلْنِي إِيَّاهُ، وَيَقُولُ: إِنَّ خَلِيلِي أَمَرَنِي أَنْ لَا أَسْأَلَ ٱلنَّاسَ شَيْئًا».

وَفِي «**صَحِيحِ مُسْلِمٍ**»[(٣)]، وَغَيْرِهِ، عَنْ عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ: أَنَّ ٱلنَّبِيَّ ﷺ بَايَعَهُ فِي طَائِفَةٍ، وَأَسَرَّ إِلَيْهِم كَلِمَةً خَفِيَّةً: «**أَنْ لَا تَسْأَلُوا ٱلنَّاسَ شَيْئًا**».

فَكَانَ بَعْضُ أُولَئِكَ ٱلنَّفَرِ يَسْقُطُ ٱلسَّوْطُ مِنْ أَحَدِهِمْ وَلَا يَقُولُ لِأَحَدٍ:

---

(١) أخرجه البخاري (١٤٦٩)، ومسلم (١٠٥٣)، ومالك في «الموطإ» (٢/٩٩٧)، وأبو داود (١٦٤٤)، والترمذي (٢٠٢٥)، والنَّسائي (٥/٩٥)، والبيهقي (٤/١٩٥)، والبَغَوي (٦/١١٠)، عن أبي سعيد الخُدْريِّ.

(٢) (برقم: ٦٥)، من طريق ابن أبي مُلَيكة، عنه.

وقال العلامة أحمد شاكر: «إسنادُه ضعيفٌ لانقطاعه، فإنَّ ابنَ أبي مُلَيْكَةَ ـ، واسْمُه عبدالله بن عبيد الله ـ تابعيٌّ ثقةٌ، ولكنَّه لم يُدرك أبا بكر».

ونَقَلَ السُّيُوطي في «جمع الجوامع» (١٧١١٣ ـ ترتيبه)، عن الحافظ ابن حَجَر في «الأطراف»، قولَه: «هذا منقطعٌ».

ويشهدُ للمرفوع منه ما بعده.

(٣) (برقم: ١٠٤٣).

ورواه أبو داود، (١٦٢٦)، والنَّسائي (١/٢٢٩)، وابن ماجه (٢٨٦٧)، والطبراني في «الكبير» (١٨/٣٣، ٦٧، ١٣٠)، وفي «مسند الشاميِّين (٣٣٥)، وأحمد (٦/٣٧) من طريقين، عن عَوْف.

نَاوِلْنِي إِيَّاهُ.

وَقَدْ دَلَّتِ ٱلنُّصُوصُ عَلَى ٱلْأَمْرِ بِمَسْأَلَةِ ٱلْخَالِقِ، وَٱلنَّهْيِ عَنْ مَسْأَلَةِ ٱلْمَخْلُوقِ، فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ.

كَقَوْلِهِ ـ تَعَالَىٰ ـ: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ ۝٧ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب ۝٨﴾ [الشرح: ٧، ٨].

وَقَوْلِ ٱلنَّبِيِّ ﷺ لِٱبْنِ عَبَّاسٍ ـ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا ـ: «**إِذَا سَأَلْتَ فَٱسْئَلِ ٱللَّهَ، وَإِذَا ٱسْتَعَنْتَ فَٱسْتَعِنْ بِٱللَّهِ**»(١).

وَمِنْهُ قَوْلُ ٱلْخَلِيلِ: ﴿فَٱبْتَغُواْ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ﴾ [العنكبوت: ١٧].

وَلَمْ يَقُلْ: فَٱبْتَغُوا ٱلرِّزْقَ عِنْدَ ٱللَّهِ؛ لِأَنَّ تَقْدِيمَ ٱلظَّرْفِ يُشْعِرُ بِٱلِٱخْتِصَاصِ وَٱلْحَصْرِ؛ كَأَنَّهُ قَالَ: لَا تَبْتَغُوا ٱلرِّزْقَ إِلَّا عِنْدَ ٱللَّهِ.

وَقَدْ قَالَ ـ تَعَالَىٰ ـ: ﴿وَسْـَٔلُواْ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ﴾ [النساء: ٣٢].

وَٱلْإِنْسَانُ لَا بُدَّ لَهُ مِنْ حُصُولِ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ مِنَ ٱلرِّزْقِ، وَنَحْوِهِ، وَدَفْعِ مَا يَضُرُّهُ.

وَكِلَا ٱلْأَمْرَيْنِ شُرِعَ لَهُ أَنْ يَكُونَ دُعَاؤُهُ لِلَّهِ، فَلَا يَسْأَلُ رِزْقَهُ إِلَّا مِنَ ٱللَّهِ، وَلَا يَشْتَكِي إِلَّا إِلَيْهِ؛ كَمَا قَالَ يَعْقُوبُ عليه السلام(٢):

---

(١) رواه أحمد (١/٢٩٣، ٣٠٧)، والترمذي (٢٥١٦)، وابن السني في «عمل اليوم والليلة» (٤٢٥)، وأبو يعلى (٢٥٥٦)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (ص: ٧٥)، عن ابن عباس، بسند حسن.

وللحديث طرق أخرى وشواهد، لا مَجَال لِسَرْدِهَا.

(٢) سورة يوسف: (آية ٨٦)، حكايةً عنه.

﴿إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّى وَحُزْنِىٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾.

وَٱللَّهُ ـ تَعَالَىٰ ـ ذَكَرَ فِي ٱلْقُرْآنِ ٱلْهَجْرَ ٱلْجَمِيلَ، وَٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ، وَٱلصَّبْرَ ٱلْجَمِيلَ.

وَقَدْ قِيلَ: إِنَّ ٱلْهَجْرَ ٱلْجَمِيلَ هُوَ هَجْرٌ بِلَا أَذَى.

وَٱلصَّفْحُ ٱلْجَمِيلُ: صَفْحٌ بِلَا مُعَاتَبَةٍ.

وَٱلصَّبْرُ ٱلْجَمِيلُ: صَبْرٌ بِغَيْرِ شَكْوَىٰ إِلَى ٱلْمَخْلُوقِ.

وَلِهَذَا قُرِئَ عَلَىٰ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ فِي مَرَضِهِ: إِنَّ طَاوُسًا كَانَ يَكْرَهُ أَنِينَ ٱلْمَرِيضِ، وَيَقُولُ: إِنَّهُ شَكْوَىٰ. فَمَا أَنَّ أَحْمَدُ حَتَّىٰ مَاتَ[1].

وَأَمَّا ٱلشَّكْوَىٰ إِلَى ٱلْخَالِقِ فَلَا تُنَافِي ٱلصَّبْرَ ٱلْجَمِيلَ؛ فَإِنَّ يَعْقُوبَ[2] عليه السلام قَالَ: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾ وَقَالَ: ﴿إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّى وَحُزْنِىٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾.

وَكَانَ عُمَرُ بْنُ ٱلْخَطَّابِ رضي الله عنه يَقْرَأُ فِي ٱلْفَجْرِ بِسُورَةِ يُونُسَ، وَيُوسُفَ، وَٱلنَّحْلِ؛ فَمَرَّ بِهَذِهِ ٱلْآيَةِ فِي قِرَاءَتِهِ فَبَكَىٰ، حَتَّىٰ سُمِعَ نَشِيجُهُ مِنْ آخِرِ ٱلصُّفُوفِ.

وَمِنْ دُعَاءِ مُوسَىٰ[3] ـ عليه السلام ـ: «**ٱللَّهُمَّ لَكَ ٱلْحَمْدُ، وَإِلَيْكَ**

---

(١) «سير أعلام النبلاء» (١١/٢١٥).

(٢) سورة يوسف، آية: (٨٣)، حكايةً عنه.

(٣) لعله من الروايات الإسرائيلية؛ وضابطُها: أنَّه ليس في ذكرها غضاضةٌ بشرطِ عَدَمِ المخالَفة.

وبيانُ ذلك في رسالتي «التحذيرات من الفتن العاصفات» (١٨ ـ ٢٠).

ٱلْمُشْتَكَىٰ، وَأَنْتَ ٱلْمُسْتَعَانُ، وَبِكَ ٱلْمُسْتَغَاثُ، وَعَلَيْكَ ٱلتُّكْلَانُ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِكَ».

وَفِي ٱلدُّعَاءِ ٱلَّذِي دَعَا بِهِ ٱلنَّبِيُّ ﷺ لَمَّا فَعَلَ بِهِ أَهْلُ ٱلطَّائِفِ مَا فَعَلُوا: «ٱللَّهُمَّ، إِلَيْكَ أَشْكُو ضَعْفَ قُوَّتِي، وَقِلَّةَ حِيلَتِي، وَهَوَانِي عَلَى ٱلنَّاسِ، يَا أَرْحَمَ ٱلرَّاحِمِينَ! أَنْتَ رَبُّ ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ، وَأَنْتَ رَبِّي، ٱللَّهُمَّ! إِلَىٰ مَنْ تَكِلُنِي؟ إِلَىٰ بَعِيدٍ يَتَجَهَّمُنِي؟ أَمْ إِلَىٰ عَدُوٍّ مَلَّكْتَهُ أَمْرِي؟ إِنْ لَمْ يَكُنْ بِكَ غَضَبٌ عَلَيَّ فَلَا أُبَالِي، غَيْرَ أَنَّ عَافِيَتَكَ أَوْسَعُ لِي، أَعُوذُ بِنُورِ وَجْهِكَ ٱلَّذِي أَشْرَقَتْ بِهِ ٱلظُّلُمَاتُ، وَصَلُحَ عَلَيْهِ أَمْرُ ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ: أَنْ يَنْزِلَ بِي سَخَطُكَ، أَوْ يَحِلَّ عَلَيَّ غَضَبُكَ، لَكَ ٱلْعُتْبَىٰ حَتَّىٰ تَرْضَىٰ، فَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ».

وَفِي بَعْضِ ٱلرِّوَايَاتِ: «وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِكَ»(١).

وَكُلَّمَا قَوِيَ طَمَعُ ٱلْعَبْدِ فِي فَضْلِ ٱللَّهِ وَرَحْمَتِهِ، وَرَجَائِهِ لِقَضَاءِ حَاجَتِهِ، وَدَفْعِ ضَرُورَتِهِ: قَوِيَتْ عُبُودِيَّتُهُ لَهُ، وَحُرِّيَّتُهُ مِمَّا سِوَاهُ؛ فَكَمَا أَنَّ طَمَعَهُ فِي ٱلْمَخْلُوقِ يُوجِبُ عُبُودِيَّتَهُ لَهُ، فَيَأْسُهُ مِنْهُ يُوجِبُ غِنَىٰ قَلْبِهِ عَنْهُ؛ كَمَا قِيلَ: ٱسْتَغْنِ عَمَّنْ شِئْتَ تَكُنْ نَظِيرَهُ، وَأَفْضِلْ عَلَىٰ مَنْ شِئْتَ تَكُنْ

---

(١) رواه ابنُ إسحاق في «السيرة» (٢/٧٠ ـ تهذيبها) مرسلًا، ومِن طريقِهِ الطبري في «تاريخه» (٢/٣٤٤).

ووَصَله الطبراني في «المعجم الكبير» ـ وترى إسنادَه في «تاريخ قزوين»، (٢/٨٢)؛ كما قال الهيثمي في «المجمع» (٦/٣٥)، عن عبد الله بن جعفر، ثم قال: قلتُ: وقد عَنْعَنَه!

أَمِيرَهُ[(١)]، وَٱحْتَجْ إِلَىٰ مَنْ شِئْتَ تَكُنْ أَسِيرَهُ.

فَكَذَٰلِكَ طَمَعُ ٱلْعَبْدِ فِي رَبِّهِ، وَرَجَاؤُهُ لَهُ، يُوجِبُ عُبُودِيَّتَهُ لَهُ.

وَإِعْرَاضُ قَلْبِهِ عَنِ ٱلطَّلَبِ مِنَ ٱللَّهِ، وَٱلرَّجَاءِ لَهُ، يُوجِبُ ٱنْصِرَافَ قَلْبِهِ عَنِ ٱلْعُبُودِيَّةِ لِلَّهِ، لَا سِيَّمَا مَنْ كَانَ يَرْجُو ٱلْمَخْلُوقَ، وَلَا يَرْجُو ٱلْخَالِقَ؛ بِحَيْثُ يَكُونُ قَلْبُهُ مُعْتَمِدًا إِمَّا عَلَىٰ رِئَاسَتِهِ وَجُنُودِهِ، وَأَتْبَاعِهِ وَمَمَالِيكِهِ، وَإِمَّا عَلَىٰ أَهْلِهِ وَأَصْدِقَائِهِ، وَإِمَّا عَلَىٰ أَمْوَالِهِ وَذَخَائِرِهِ، وَإِمَّا عَلَى سَادَاتِهِ وَكُبَرَائِهِ؛ كَمَالِكِهِ وَمَلِكِهِ، وَشَيْخِهِ، وَمَخْدُومِهِ، وَغَيْرِهِمْ مِمَّنْ هُوَ قَدْ مَاتَ، أَوْ يَمُوتُ، قَالَ ـ تَعَالَىٰ ـ: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَيِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا ۝٥٨﴾ [الفرقان: ٥٨].

وَكُلُّ مَنْ عَلَّقَ قَلْبَهُ بِٱلْمَخْلُوقِينَ أَنْ يَنْصُرُوهُ، أَوْ يَرْزُقُوهُ، أَوْ أَنْ يَهْدُوهُ؛ خَضَعَ قَلْبُهُ لَهُمْ، وَصَارَ فِيهِ مِنَ ٱلْعُبُودِيَّةِ لَهُمْ بِقَدْرِ ذَلِكَ، وَإِنْ كَانَ فِي ٱلظَّاهِرِ أَمِيرًا لَهُمْ، مُدَبِّرًا لَهُمْ، مُتَصَرِّفًا بِهِمْ.

فَٱلْعَاقِلُ يَنْظُرُ إِلَى ٱلْحَقَائِقِ لَا إِلَى ٱلظَّوَاهِرِ.

فَٱلرَّجُلُ إِذَا تَعَلَّقَ قَلْبُهُ بِٱمْرَأَةٍ ـ وَلَوْ كَانَتْ مُبَاحَةً لَهُ ـ يَبْقَىٰ قَلْبُهُ أَسِيرًا لَهَا تَتَحَكَّمُ فِيهِ، وَتَتَصَرَّفُ بِمَا تُرِيدُ؛ وَهُوَ فِي ٱلظَّاهِرِ سَيِّدُهَا؛ لِأَنَّهُ زَوْجُهَا، أَوْ مَالِكُهَا، وَلَكِنَّهُ فِي ٱلْحَقِيقَةِ هُوَ أَسِيرُهَا، وَمَمْلُوكُهَا، وَلَا سِيَّمَا إِذَا دَرَتْ بِفَقْرِهِ إِلَيْهَا، وَعِشْقِهِ لَهَا، وَأَنَّهُ لَا يَعْتَاضُ عَنْهَا بِغَيْرِهَا، فَإِنَّهَا حِينَئِذٍ تَتَحَكَّمُ فِيهِ تَحَكُّمَ ٱلسَّيِّدِ ٱلْقَاهِرِ ٱلظَّالِمِ فِي عَبْدِهِ ٱلْمَقْهُورِ، ٱلَّذِي لَا يَسْتَطِيعُ

(١) بمعنى المُتَفَضِّل عليه، الآمِر له، ولا يُريد بها المعنى الشرعي للإمارة!

ٱلْخَلَاصَ مِنْهُ، بَلْ أَعْظَمُ؛ فَإِنَّ أَسْرَ ٱلْقَلْبِ أَعْظَمُ مِنْ أَسْرِ ٱلْبَدَنِ، وَٱسْتِعْبَادَ ٱلْقَلْبِ أَعْظَمُ مِنِ ٱسْتِعْبَادِ ٱلْبَدَنِ.

فَإِنَّ مَنِ ٱسْتُعْبِدَ بَدَنُهُ، وَٱسْتُرِقَّ، وَأُسِرَ؛ لَا يُبَالِي إِذَا كَانَ قَلْبُهُ مُسْتَرِيحًا مِنْ ذَلِكَ مُطْمَئِنًّا، بَلْ يُمْكِنُهُ ٱلِاحْتِيَالُ فِي ٱلْخَلَاصِ.

وَأَمَّا إِذَا كَانَ ٱلْقَلْبُ ـ ٱلَّذِي هُوَ مِلْكُ ٱلْجِسْمِ ـ رَقِيقًا مُسْتَعْبَدًا، مُتَيَّمًا لِغَيْرِ ٱللَّهِ؛ فَهَذَا هُوَ ٱلذُّلُّ، وَٱلْأَسْرُ ٱلْمَحْضُ، وَٱلْعُبُودِيَّةُ ٱلذَّلِيلَةُ لِمَا ٱسْتَعْبَدَ ٱلْقَلْبَ.

وَعُبُودِيَّةُ ٱلْقَلْبِ وَأَسْرُهُ، هِيَ ٱلَّتِي يَتَرَتَّبُ عَلَيْهَا ٱلثَّوَابُ وَٱلْعِقَابُ؛ فَإِنَّ ٱلْمُسْلِمَ لَوْ أَسَرَهُ كَافِرٌ، أَوِ ٱسْتَرَقَّهُ فَاجِرٌ بِغَيْرِ حَقٍّ، لَمْ يَضُرَّهُ ذَلِكَ إِذَا كَانَ قَائِمًا بِمَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْوَاجِبَاتِ.

وَمَنِ ٱسْتُعْبِدَ بِحَقٍّ؛ إِذَا أَدَّىٰ حَقَّ ٱللَّهِ، وَحَقَّ مَوَالِيهِ، فَلَهُ أَجْرَانِ(١)، وَلَوْ أُكْرِهَ عَلَى ٱلتَّكَلُّمِ بِٱلْكُفْرِ، فَتَكَلَّمَ بِهِ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِٱلْإِيمَانِ، لَمْ يَضُرَّهُ ذَلِكَ.

وَأَمَّا مَنِ ٱسْتُعْبِدَ قَلْبُهُ، فَصَارَ عَبْدًا لِغَيْرِ ٱللَّهِ، فَهَذَا يَضُرُّهُ ذَلِكَ، وَلَوْ كَانَ فِي ٱلظَّاهِرِ مَلِكَ ٱلنَّاسِ.

---

(١) كما صحَّ عن النبي ﷺ فيما رواه عنه البُخاريُّ (رقم: ٩٧)، ومسلم (١٥٤)، والنسائي (٦/١١٥)، والترمذي (١١١٦)، والدارمي (٢/١٥٤ ـ ١٥٥)، والطيالسي (٥٢٠)، وسعيد بن منصور (٩١٣، ٩١٤)، وأحمد (٤/٤٠٢، ٤٠٥)، عن أبي موسى الأشعريِّ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «ثَلَاثَةٌ يُؤْتَوْنَ أُجُورَهُمْ مَرَّتَيْنِ: رَجُلٌ كَانَتْ لَهُ أَمَةٌ فَأَحْسَنَ تَأْدِيبَهَا، وَعَلَّمَهَا فَأَحْسَنَ تَعْلِيمَهَا، ثُمَّ أَعْتَقَهَا فَتَزَوَّجَهَا، وَمَمْلُوكٌ أَعْطَىٰ حَقَّ رَبِّهِ ﷻ، وَحَقَّ مَوَالِيهِ، وَرَجُلٌ آمَنَ بِكِتَابِهِ، وَبِمُحَمَّدٍ ﷺ».

فَٱلْحُرِّيَّةُ حُرِّيَّةُ ٱلْقَلْبِ، وَٱلْعُبُودِيَّةُ عُبُودِيَّةُ ٱلْقَلْبِ؛ كَمَا أَنَّ ٱلْغِنَىٰ غِنَى ٱلنَّفْسِ، قَالَ ٱلنَّبِيُّ ﷺ: «**لَيْسَ ٱلْغِنَىٰ عَنْ كَثْرَةِ ٱلْعَرَضِ، وَإِنَّمَا ٱلْغِنَىٰ غِنَى ٱلنَّفْسِ**»(١).

وَهَذَا - لَعَمْرُ ٱللَّهِ - إِذَا كَانَ قَدْ ٱسْتَعْبَدَ قَلْبَهُ صُورَةٌ مُبَاحَةٌ.

فَأَمَّا مَنِ ٱسْتَعْبَدَ قَلْبَهُ صُورَةٌ مُحَرَّمَةٌ - ٱمْرَأَةٌ أَوْ صَبِيٌّ - فَهَذَا هُوَ ٱلْعَذَابُ، لَا يُدَانِيهِ عَذَابٌ.

وَهَؤُلَاءِ مِنْ أَعْظَمِ ٱلنَّاسِ عَذَابًا، وَأَقَلِّهِمْ ثَوَابًا، فَإِنَّ ٱلْعَاشِقَ لِصُورَةٍ إِذَا بَقِيَ قَلْبُهُ مُتَعَلِّقًا بِهَا، مُسْتَعْبَدًا لَهَا؛ ٱجْتَمَعَ لَهُ مِنْ أَنْوَاعِ ٱلشَّرِّ وَٱلْفَسَادِ مَا لَا يُحْصِيهِ إِلَّا رَبُّ ٱلْعِبَادِ.

وَلَوْ سَلِمَ مِنْ فِعْلِ ٱلْفَاحِشَةِ ٱلْكُبْرَىٰ؛ فَدَوَامُ تَعَلُّقِ ٱلْقَلْبِ بِهَا(٢)، بَلْ فِعْلُ ٱلْفَاحِشَةِ أَشَدُّ ضَرَرًا عَلَيْهِ مِمَّنْ يَفْعَلُ ذَنْبًا ثُمَّ يَتُوبُ مِنْهُ، وَيَزُولُ أَثَرُهُ مِنْ قَلْبِهِ(٣).

وَهَؤُلَاءِ يُشَبَّهُونَ بِٱلسُّكَارَىٰ وَٱلْمَجَانِينِ؛ كَمَا قِيلَ:

سُكْرَانِ سُكْرُ هَوًى وَسُكْرُ مُدَامَةٍ ... وَمَتَىٰ إِفَاقَةُ مَنْ بِهِ سُكْرَانِ

وَقِيلَ:

قَالُوا جُنِنْتَ بِمَنْ تَهْوَىٰ فَقُلْتُ لَهُمْ ... ٱلْعِشْقُ أَعْظَمُ مِمَّا بِٱلْمَجَانِينِ

---

(١) أخرجه البخاري (٦٤٤٦)، ومسلم (١٠٥١)، والترمذي (٢٣٧٣)، وأحمد (٢/٢٤٣، ٣٨٩، ٣٩٠)، والحميدي (١٠٦٣)، وابن ماجه (٤١٣٧)، والقُضاعي (١٢١١)، والبغوي (٤٠٤٠)، عن أبي هُريرة.

(٢) مَعَ الغفلةِ عن ذِكر الله - تعالى -، ودون مُجاهدةٍ لنفسهِ.

(٣) فهو يُضعف الإيمان، ويُقَلِّلُ قِيمةَ التعلُّق باللَّه - تعالى -، مِمَّا يُؤدِّي إلى المعاصي والمخالفات الشرعية.

ٱلْعِشْقُ لَا يَسْتَفِيقُ ٱلدَّهْرَ صَاحِبُهُ   وَإِنَّمَا يُصْرَعُ ٱلْمَجْنُونُ فِي ٱلْحِينِ

وَمِنْ أَعْظَمِ أَسْبَابِ هَذَا ٱلْبَلَاءِ: إِعْرَاضُ ٱلْقَلْبِ عَنِ ٱللَّهِ؛ فَإِنَّ ٱلْقَلْبَ إِذَا ذَاقَ طَعْمَ عِبَادَةِ ٱللَّهِ، وَٱلْإِخْلَاصِ لَهُ، لَمْ يَكُنْ عِنْدَهُ شَيْءٌ قَطُّ أَحْلَىٰ مِنْ ذَلِكَ، وَلَا أَلَذَّ، وَلَا أَطْيَبَ.

وَٱلْإِنْسَانُ لَا يَتْرُكُ مَحْبُوبًا إِلَّا بِمَحْبُوبٍ آخَرَ، يَكُونُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْهُ، أَوْ خَوْفًا مِنْ مَكْرُوهٍ.

فَٱلْحُبُّ ٱلْفَاسِدُ إِنَّمَا يَنْصَرِفُ ٱلْقَلْبُ عَنْهُ بِٱلْحُبِّ ٱلصَّالِحِ، أَوْ بِٱلْخَوْفِ مِنَ ٱلضَّرَرِ.

قَالَ ـ تَعَالَىٰ ـ فِي حَقِّ يُوسُفَ: ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ [يوسف: ٢٤].

فَٱللَّهُ يَصْرِفُ عَنْ عَبْدِهِ مَا يَسُوؤُه مِنَ ٱلْمَيْلِ إِلَى ٱلصُّوَرِ، وَٱلتَّعَلُّقِ بِهَا، وَيَصْرِفُ عَنْهُ ٱلْفَحْشَاءَ، بِإِخْلَاصِهِ لِلَّهِ.

وَلِهَذَا يَكُونُ قَبْلَ أَنْ يَذُوقَ حَلَاوَةَ ٱلْعُبُودِيَّةِ لِلَّهِ، وَٱلْإِخْلَاصِ لَهُ، تَغْلِبُهُ نَفْسُهُ عَلَى ٱتِّبَاعِ هَوَاهَا؛ فَإِذَا ذَاقَ طَعْمَ ٱلْإِخْلَاصِ، وَقَوِيَ فِي قَلْبِهِ، ٱنْقَهَرَ لَهُ هَوَاهُ بِلَا عِلَاجٍ.

قَالَ ـ تَعَالَىٰ ـ: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُۗ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

فَإِنَّ ٱلصَّلَاةَ فِيهَا دَفْعٌ لِلْمَكْرُوهِ؛ وَهُوَ ٱلْفَحْشَاءُ وَٱلْمُنْكَرُ، وَفِيهَا تَحْصِيلُ ٱلْمَحْبُوبِ؛ وَهُوَ ذِكْرُ ٱللَّهِ.

وَحُصُولُ هَذَا ٱلْمَحْبُوبِ أَكْبَرُ مِنْ دَفْعِ ذَلِكَ ٱلْمَكْرُوهِ؛ فَإِنَّ ذِكْرَ ٱللَّهِ عِبَادَةٌ

لِلَّهِ، وَعِبَادَةُ ٱلْقَلْبِ لِلَّهِ مَقْصُودَةٌ لِذَاتِهَا، وَأَمَّا ٱنْدِفَاعُ ٱلشَّرِّ عَنْهُ فَهُوَ مَقْصُودٌ لِغَيْرِهِ، عَلَىٰ سَبِيلِ ٱلتَّبَعِ.

وَٱلْقَلْبُ خُلِقَ يُحِبُّ ٱلْحَقَّ، وَيُرِيدُهُ، وَيَطْلُبُهُ، فَلَمَّا عَرَضَتْ لَهُ إِرَادَةُ ٱلشَّرِّ طَلَبَ دَفْعَ ذَلِكَ، فَإِنَّهَا تُفْسِدُ ٱلْقَلْبَ؛ كَمَا يَفْسَدُ ٱلزَّرْعُ بِمَا يَنْبُتُ فِيهِ مِنَ ٱلدَّغْلِ[1].

وَلِهَذَا قَالَ ـ تَعَالَىٰ ـ:

﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ۝١٠﴾ [الشمس: ٩ ، ١٠].

وَقَالَ ـ تَعَالَىٰ ـ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ۝١٤ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ۝١٥﴾ [الأعلى: ١٤ ، ١٥].

وَقَالَ: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا۟ فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۚ﴾ [النور: ٣٠].

وَقَالَ ـ تَعَالَىٰ ـ:

﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا﴾ [النور: ٢١].

فَجَعَلَ ـ سُبْحَانَهُ ـ غَضَّ ٱلْبَصَرِ، وَحِفْظَ ٱلْفَرْجِ، هُوَ أَزْكَىٰ لِلنَّفْسِ، وَبَيَّنَ أَنَّ تَرْكَ ٱلْفَوَاحِشِ مِنْ زَكَاةِ ٱلنُّفُوسِ، وَزَكَاةُ ٱلنُّفُوسِ تَتَضَمَّنُ زَوَالَ جَمِيعِ ٱلشُّرُورِ؛ مِنَ ٱلْفَوَاحِشِ، وَٱلظُّلْمِ، وَٱلشِّرْكِ، وَٱلْكَذِبِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ.

وَكَذَلِكَ طَالِبُ ٱلرِّئَاسَةِ وَٱلْعُلُوِّ فِي ٱلْأَرْضِ؛ قَلْبُهُ رَقِيقٌ لِمَنْ يُعِينُهُ عَلَيْهَا، وَلَوْ كَانَ فِي ٱلظَّاهِرِ مُقَدَّمَهُمْ وَٱلْمُطَاعَ فِيهِمْ، فَهُوَ فِي ٱلْحَقِيقَةِ يَرْجُوهُمْ

---

(١) هو ما يُفْسِدُ الأَشياءَ إذا دَخَلَ إليها.

وَيَخَافُهُمْ، فَيَبْذُلُ لَهُمُ ٱلْأَمْوَالَ وَٱلْوَلَايَاتِ، وَيَعْفُو عَمَّا يَجْتَرِحُونَهُ؛ لِيُطِيعُوهُ وَيُعِينُوهُ؛ فَهُوَ فِي ٱلظَّاهِرِ رَئِيسٌ مُطَاعٌ، وَفِي ٱلْحَقِيقَةِ عَبْدٌ مُطِيعٌ لَهُمْ[1].

وَٱلتَّحْقِيقُ: أَنَّ كِلَاهُمَا فِيهِ عُبُودِيَّةٌ لِلْآخَرِ، وَكِلَاهُمَا تَارِكٌ لِحَقِيقَةِ عِبَادَةِ ٱللَّهِ، وَإِذَا كَانَ تَعَاوُنُهُمَا عَلَى ٱلْعُلُوِّ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ، كَانَا بِمَنْزِلَةِ ٱلْمُتَعَاوِنِينَ عَلَى ٱلْفَاحِشَةِ، أَوْ قَطْعِ ٱلطَّرِيقِ، فَكُلُّ وَاحِدٍ مِنَ ٱلشَّخْصَيْنِ - لِهَوَاهُ ٱلَّذِي ٱسْتَعْبَدَهُ وَٱسْتَرَقَّهُ - مُسْتَعْبَدٌ لِلْآخَرِ.

وَهَكَذَا - أَيْضًا - طَالِبُ ٱلْمَالِ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ يَسْتَعْبِدُهُ، وَيَسْتَرِقُّهُ.

وَهذِهِ ٱلْأُمُورُ نَوْعَانِ:

مِنْهَا: مَا يَحْتَاجُ ٱلْعَبْدُ إِلَيْهِ؛ كَمَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ مِنْ طَعَامِهِ، وَشَرَابِهِ، وَمَسْكَنِهِ، وَمَنْكَحِهِ، وَنَحْوِ ذَلِكَ، فَهَذَا يَطْلُبُهُ مِنَ ٱللَّهِ، وَيَرْغَبُ إِلَيْهِ فِيهِ، فَيَكُونُ ٱلْمَالُ عِنْدَهُ يَسْتَعْمِلُهُ فِي حَاجَتِهِ بِمَنْزِلَةِ حِمَارِهِ ٱلَّذِي يَرْكَبُهُ، وَبِسَاطِهِ ٱلَّذِي يَجْلِسُ عَلَيْهِ، بَلْ بِمَنْزِلَةِ ٱلْكَنِيفِ ٱلَّذِي يَقْضِي فِيهِ حَاجَتَهُ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَسْتَعْبِدَهُ، فَيَكُونَ هَلُوعًا، ﴿إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾﴾ [المعارج: ٢٠ - ٢١].

وَمِنْهَا: مَا لَا يَحْتَاجُ ٱلْعَبْدُ إِلَيْهِ، فَهَذَا لَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يُعَلِّقَ قَلْبَهُ بِهَا، فَإِذَا تَعَلَّقَ قَلْبُهُ بِهَا صَارَ مُسْتَعْبَدًا لَهَا، وَرُبَّمَا صَارَ مُعْتَمِدًا عَلَىٰ غَيْرِ ٱللَّهِ، فَلَا

---

(١) فليتأمَّل هذا جيِّدًا الحزبيُّون المخالفون للكتاب والسُّنَّة، بصُدودهم عن عُلمائهم، ومخالفتهم لأهل السُّنَّة؛ إرضاءً لِمَن نصَّبوهم وجعلوهم قياديِّين لهم ولغيرهم، فهم يخشوْن ذهاب المنصبِ، والكُرسيِّ والجاه والرئاسة؛ لذا فهم لا يسمعون، وإن سمعوا لا يستجيبون، وإنِ استَجَابُوا فَهُم يُمَوِّهون!!

يَبْقَىٰ مَعَهُ حَقِيقَةُ ٱلْعِبَادَةِ لِلَّهِ، وَلَا حَقِيقَةُ ٱلتَّوَكُّلِ عَلَيْهِ، بَلْ فِيهِ شُعْبَةٌ مِنَ ٱلْعِبَادَةِ لِغَيْرِ ٱللَّهِ، وَشُعْبَةٌ مِنَ ٱلتَّوَكُّلِ عَلَىٰ غَيْرِ ٱللَّهِ، وَهَذَا مِنْ أَحَقِّ ٱلنَّاسِ بِقَوْلِهِ ﷺ: «**تَعِسَ عَبْدُ ٱلدِّرْهَمِ، تَعِسَ عَبْدُ ٱلدِّينَارِ، تَعِسَ عَبْدُ ٱلْقَطِيفَةِ، تَعِسَ عَبْدُ ٱلْخَمِيصَةِ**»(١).

وَهَذَا هُوَ عَبْدُ هَذِهِ ٱلْأُمُورِ؛ فَلَوْ طَلَبَهَا مِنَ ٱللَّهِ؛ فَإِنَّ ٱللَّهَ إِذَا أَعْطَاهُ إِيَّاهَا رَضِيَ، وَإِذَا مَنَعَهُ إِيَّاهَا سَخِطَ، وَإِنَّمَا عَبْدُ ٱللَّهِ مَنْ يُرْضِيهِ مَا يُرْضِي ٱللَّهَ، وَيُسْخِطُهُ مَا يُسْخِطُ ٱللَّهَ، وَيُحِبُّ مَا أَحَبَّهُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُ، وَيُبْغِضُ مَا أَبْغَضَهُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُ، وَيُوَالِي أَوْلِيَاءَ ٱللَّهِ، وَيُعَادِي أَعْدَاءَ ٱللَّهِ ـ تَعَالَىٰ.

وَهَذَا هُوَ ٱلَّذِي ٱسْتَكْمَلَ ٱلْإِيمَانَ؛ كَمَا فِي ٱلْحَدِيثِ: «**مَنْ أَحَبَّ لِلَّهِ، وَأَبْغَضَ لِلَّهِ، وَأَعْطَىٰ لِلَّهِ، وَمَنَعَ لِلَّهِ؛ فَقَدِ ٱسْتَكْمَلَ ٱلْإِيمَانَ**»(٢).

وَقَالَ: «**أَوْثَقُ عُرَى ٱلْإِيمَانِ: ٱلْحُبُّ فِي ٱللَّهِ، وَٱلْبُغْضُ فِي ٱللَّهِ**»(٣).

---

(١) تقدَّم تخريجه.

(٢) رواه أبو داود (٤٦٨١)، والطبراني في «الكبير» (٧٦١٣، ٧٧٣٧)، والبَغوي (١٣/٥٤)، بسندٍ حَسنٍ، عن أبي أمامة.

(٣) حديث حَسَنٌ له طُرُقٌ عدَّة، عن عدد مِن الصحابة، أجودُ هذه الطرق: ما رواه الإمام الطبراني في «المعجم الكبير» (١٠٣٥٧)، عن ابن مسعود، بسند حَسَن، إن شاء اللَّه.

ولي في طُرُق هذا الحديثِ وتخريجها جُزءٌ مُفْرَدٌ.

(تنبيه:) عُزِيَ الحديثُ بلفظ: «أَوْثَقُ عُرَى ٱلْإِسْلَامِ ٱلْحُبُّ فِي ٱللَّهِ». في «موسوعة أطراف الحديث النبوي» (٤/٢٨)، لـ: (م إيمان ٢٠٤)؛ أي: «صحيح مسلم»! وليس لذلك أصلٌ.

وفي هذا الكتاب من مثل هذا الوَهم ـ وغيره ـ الكثير، فحبَّذا لو كان مُتقنًا، =

وَفي «ٱلصَّحِيحِ»[١] عَنْهُ ﷺ: «**ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ ٱلْإِيمَانِ: مَنْ كَانَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَمَنْ كَانَ يُحِبُّ ٱلْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ، وَمَنْ كَانَ يَكْرَهُ أَنْ يَرْجِعَ فِي ٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْقَذَهُ ٱللَّهُ مِنْهُ؛ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُلْقَىٰ فِي ٱلنَّارِ**».

فَهَٰذَا وَافَقَ رَبَّهُ فِيمَا يُحِبُّهُ وَمَا يَكْرَهُهُ، فَكَانَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَحَبَّ ٱلْمَخْلُوقَ لِلَّهِ لَا لِعَرَضٍ آخَرَ، فَكَانَ هَٰذَا مِنْ تَمَامِ حُبِّهِ لِلَّهِ، فَإِنَّ مَحَبَّةَ مَحْبُوبِ ٱلْمَحْبُوبِ مِنْ تَمَامِ مَحَبَّةِ ٱلْمَحْبُوبِ، فَإِذَا أَحَبَّ أَنْبِيَاءَ ٱللَّهِ، وَأَوْلِيَاءَ ٱللَّهِ؛ لِأَجْلِ قِيَامِهِمْ بِمَحْبُوبَاتِ ٱلْحَقِّ، لَا لِشَيْءٍ آخَرَ؛ فَقَدْ أَحَبَّهُمْ لِلَّهِ لَا لِغَيْرِهِ، وَقَدْ قَالَ ـ تَعَالَىٰ ـ: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [المائدة: ٥٤].

وَلِهَٰذَا قَالَ ـ تَعَالَىٰ ـ ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١].

فَإِنَّ ٱلرَّسُولَ يَأْمُرُ بِمَا يُحِبُّ ٱللَّهُ، وَيَنْهَىٰ عَمَّا يَبْغَضُهُ ٱللَّهُ، وَيَفْعَلُ مَا يُحِبُّهُ ٱللَّهُ، وَيُخْبِرُ بِمَا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلتَّصْدِيقَ بِهِ.

فَمَنْ كَانَ مُحِبًّا لِلَّهِ لَزِمَ أَنْ يَتَّبِعَ ٱلرَّسُولَ، فَيُصَدِّقَهُ فِيمَا أَخْبَرَ، وَيُطِيعَهُ فِيمَا أَمَرَ، وَيَتَأَسَّىٰ بِهِ فِيمَا فَعَلَ، وَمَنْ فَعَلَ هَٰذَا فَقَدْ فَعَلَ مَا يُحِبُّهُ ٱللَّهُ،

=لكان فيه نَفْعٌ عظيمٌ، ولكنْ ...

ثم رأيتُ أنَّ بعضَ إخواننا قد ذكر أنَّ هناك تأليفًا له، عنوانهُ: «احتجاج أصحاب الحديث على موسوعة أطراف الحديث»!

(١) تقدم تخريجه.

فَيُحِبُّهُ ٱللَّهُ[١].

فَجَعَلَ ٱللَّهُ لِأَهْلِ مَحَبَّتِهِ عَلَامَتَيْنِ: ٱتِّبَاعُ ٱلرَّسُولِ، وَٱلْجِهَادُ فِي سَبِيلِهِ.

وَذَلِكَ لِأَنَّ ٱلْجِهَادَ حَقِيقَتُهُ ٱلِٱجْتِهَادُ فِي حُصُولِ مَا يُحِبُّهُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْإِيمَانِ، وَٱلْعَمَلِ ٱلصَّالِحِ، وَمِنْ دَفْعِ مَا يُبْغِضُهُ ٱللَّهُ؛ مِنَ ٱلْكُفْرِ، وَٱلْفُسُوقِ، وَٱلْعِصْيَانِ[٢]، وَقَدْ قَالَ ـ تَعَالَىٰ ـ: ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَـٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَـٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ﴾ [التوبة: ٢٤].

فَتَوَعَّدَ مَنْ كَانَ أَهْلُهُ وَمَالُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَٱلْجِهَادِ فِي سَبِيلِهِ، بِهَٰذَا ٱلْوَعِيدِ.

بَلْ قَدْ ثَبَتَ عَنْهُ ﷺ فِي «ٱلصَّحِيحِ»[٣] أَنَّهُ قَالَ: «**وَٱلَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ! لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّىٰ أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَلَدِهِ، وَوَالِدِهِ، وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ**».

وَفِي «**ٱلصَّحِيحِ**»[٤] أَنَّ عُمَرَ بْنَ ٱلْخَطَّابِ، قَالَ لَهُ: يَا رَسُولَ ٱللَّهِ! وَٱللَّهِ لَأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِلَّا مِنْ نَفْسِي.

---

(١) وهذا مِمَّا يغفلُ ـ أو يتغافلُ ـ عنه كثيرٌ من ذوي الأهواءِ وأصحاب البِدَع.

(٢) هذا هو المعنى الصحيح الشاملُ للجهاد.

(٣) رواه البخاري (رقم: ١٥)، ومسلم (٤٤)، والنسائي (٨/١١٤)، عن أنس.
ورواه البخاري (رقم: ١٤)، عن أبي هريرة.

(٤) رواه البخاري (رقم: ٦٦٣٢)، عن عُمر.

فَقَالَ: «**لَا يَا عُمَرُ! حَتَّىٰ أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ نَفْسِكَ**».

فَقَالَ: فَوَٱللَّهِ لَأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي.

فَقَالَ: «**ٱلْآنَ يَا عُمَرُ**».

فَحَقِيقَةُ ٱلْمَحَبَّةِ لَا تَتِمُّ إِلَّا بِمُوَالَاةِ ٱلْمَحْبُوبِ، وَهُوَ مُوَافَقَتُهُ فِي حُبِّ مَا يُحِبُّ، وَبُغْضِ مَا يُبْغِضُ، وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْإِيمَانَ وَٱلتَّقْوَىٰ، وَيُبْغِضُ ٱلْكُفْرَ، وَٱلْفُسُوقَ، وَٱلْعِصْيَانَ.

وَمَعْلُومٌ أَنَّ ٱلْحُبَّ يُحَرِّكُ إِرَادَةَ ٱلْقَلْبِ، فَكُلَّمَا قَوِيَتِ ٱلْمَحَبَّةُ فِي ٱلْقَلْبِ طَلَبَ ٱلْقَلْبُ فِعْلَ ٱلْمَحْبُوبَاتِ، فَإِذَا كَانَتِ ٱلْمَحَبَّةُ تَامَّةً، ٱسْتَلْزَمَتْ إِرَادَةً جَازِمَةً فِي حُصُولِ ٱلْمَحْبُوبَاتِ؛ فَإِذَا كَانَ ٱلْعَبْدُ قَادِرًا عَلَيْهَا حَصَّلَهَا، وَإِنْ كَانَ عَاجِزًا عَنْهَا، فَفَعَلَ مَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ مِنْ ذَلِكَ؛ كَانَ لَهُ كَأَجْرِ ٱلْفَاعِلِ؛ كَمَا قَالَ ٱلنَّبِيُّ ﷺ: «**مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى كَانَ لَهُ مِنَ ٱلْأَجْرِ مِثْلَ أُجُورِ مَنِ ٱتَّبَعَهُ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْءٌ، وَمَنْ دَعَا إِلَى ضَلَالَةٍ كَانَ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْوِزْرِ مِثْلُ أَوْزَارِ مَنِ ٱتَّبَعَهُ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ**»[١].

وَقَالَ: «**إِنَّ بِٱلْمَدِينَةِ لَرِجَالًا مَا سِرْتُمْ مَسِيرًا، وَلَا قَطَعْتُمْ وَادِيًا، إِلَّا كَانُوا مَعَكُمْ**».

قَالُوا: وَهُمْ بِٱلْمَدِينَةِ؟!

---

(١) رواه مسلم (٢٦٧٤)، وأبو داود (٤٦٠٩)، والترمذي (٢٦٧٤)، والدارمي (١٢٦/١ ، ١٢٧)، وابن ماجه (٢٠٦)، وأحمد (٣٩٧/٢)، والبغوي (٢٣٢/١)، عن أبي هريرة.

قَالَ: «وَهُمْ بِالْمَدِينَةِ؛ حَبَسَهُمُ الْعُذْرُ»[١].

وَالْجِهَادُ: هُوَ بَذْلُ الْوُسْعِ - وَهُوَ كُلُّ مَا يُمْلَكُ مِنَ الْقُدْرَةِ - فِي حُصُولِ مَحْبُوبِ الْحَقِّ، وَدَفْعِ مَا يَكْرَهُهُ الْحَقُّ.

فَإِذَا تَرَكَ الْعَبْدُ مَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ مِنَ الْجِهَادِ، كَانَ دَلِيلًا عَلَىٰ ضَعْفِ مَحَبَّةِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ فِي قَلْبِهِ.

وَمَعْلُومٌ أَنَّ الْمَحْبُوبَاتِ لَا تُنَالُ غَالِبًا إِلَّا بِاحْتِمَالِ الْمَكْرُوهَاتِ؛ سَوَاءٌ كَانَتْ مَحَبَّةً صَالِحَةً، أَوْ فَاسِدَةً.

فَالْمُحِبُّونَ لِلْمَالِ، وَالرِّئَاسَةِ، وَالصُّوَرِ، لَا يَنَالُونَ مَطَالِبَهُمْ إِلَّا بِضَرَرٍ يَلْحَقُهُمْ فِي الدُّنْيَا، مَعَ مَا يُصِيبُهُمْ مِنَ الضَّرَرِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

فَالْمُحِبُّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ إِذَا لَمْ يَحْتَمِلْ مَا يَرَىٰ ذُو الرَّأْيِ مِنَ الْمُحِبِّينَ لِغَيْرِ اللَّهِ مِمَّا يَحْتَمِلُونَ فِي سَبِيلِ حُصُولِ مَحْبُوبِهِمْ، دَلَّ ذَلِكَ عَلَىٰ ضَعْفِ مَحَبَّتِهِمْ لِلَّهِ؛ إِذَا كَانَ مَا يَسْلُكُهُ أُولَئِكَ - فِي نَظَرِهِمْ - هُوَ الطَّرِيقُ الَّذِي يُشِيرُ بِهِ الْعَقْلُ.

وَمِنَ الْمَعْلُومِ أَنَّ الْمُؤْمِنَ أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ؛ كَمَا قَالَ - تَعَالَى -:

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥].

نَعَمْ؛ قَدْ يَسْلُكُ الْمُحِبُّ - لِضَعْفِ عَقْلِهِ، وَفَسَادِ تَصَوُّرِهِ - طَرِيقًا لَا

---

(١) رواه البخاري (٤٤٢٣)، وأحمد (٣/١٠٣)، وأبو داود (٢٥٠٨)، وابن ماجه (٢٧٦٤)، عن أنس.

ورواه مسلم (١٩١١)، وابن ماجه (٢٧٦٥)، وأحمد (٣/٣٤١)، عن جابر.

يَحْصُلُ بِهَا ٱلْمَطْلُوبُ؛ فَمَثَلُ هَذِهِ ٱلطَّرِيقِ لَا تُحْمَدُ إِذَا كَانَتِ ٱلْمَحَبَّةُ صَالِحَةً مَحْمُودَةً، فَكَيْفَ إِذَا كَانَتِ ٱلْمَحَبَّةُ فَاسِدَةً، وَالطَّرِيقُ غَيْرَ مُوَصِّلٍ؟! كَمَا يَفْعَلُهُ ٱلْمُتَهَوِّرُونَ فِي طَلَبِ ٱلْمَالِ، وَالرِّئَاسَةِ، وَالصُّوَرِ، فِي حُبِّ أُمُورٍ تُوجِبُ لَهُمْ ضَرَرًا، وَلَا تُحَصِّلُ لَهُمْ مَطْلُوبًا، وَإِنَّمَا ٱلْمَقْصُودُ ٱلطُّرُقُ ٱلَّتِي يَسْلُكُهَا ٱلْعَقْلُ ٱلسَّلِيمُ لِحُصُولِ مَطْلُوبِهِ.

وَإِذَا تَبَيَّنَ هَذَا؛ فَكُلَّمَا ٱزْدَادَ ٱلْقَلْبُ حُبًّا لِلَّهِ ٱزْدَادَ لَهُ عُبُودِيَّةً، وَكُلَّمَا ٱزْدَادَ لَهُ عُبُودِيَّةً ٱزْدَادَ لَهُ حُبًّا، وَفَضَّلَهُ عَمَّا سِوَاهُ.

وَالْقَلْبُ فَقِيرٌ بِالذَّاتِ إِلَى ٱللَّهِ مِنْ وَجْهَيْنِ:

مِنْ جِهَةِ ٱلْعِبَادَةِ، وَهِيَ ٱلْعِلَّةُ ٱلْغَائِيَّةُ(١).

وَمِنْ جِهَةِ ٱلِاسْتِعَانَةِ وَالتَّوَكُّلِ؛ وَهِيَ ٱلْعِلَّةُ ٱلْفَاعِلَةُ(٢).

فَالْقَلْبُ لَا يَصْلُحُ، وَلَا يُفْلِحُ، وَلَا يَلْتَذُّ، وَلَا يُسَرُّ، وَلَا يَطِيبُ، وَلَا يَسْكُنُ، وَلَا يَطْمَئِنُّ، إِلَّا بِعِبَادَةِ رَبِّهِ، وَحُبِّهِ، وَالْإِنَابَةِ إِلَيْهِ، وَلَوْ حَصَلَ لَهُ كُلُّ مَا يَلْتَذُّ بِهِ مِنَ ٱلْمَخْلُوقَاتِ لَمْ يَطْمَئِنَّ، وَلَمْ يَسْكُنْ؛ إِذْ فِيهِ فَقْرٌ ذَاتِيٌّ إِلَى رَبِّهِ، وَمِنْ حَيْثُ هُوَ مَعْبُودُهُ، وَمَحْبُوبُهُ، وَمَطْلُوبُهُ، وَبِذَلِكَ يَحْصُلُ لَهُ ٱلْفَرَحُ وَالسُّرُورُ، وَاللَّذَّةُ، وَالنِّعْمَةُ، وَالسُّكُونُ، وَالطُّمَأْنِينَةُ.

---

(١) أي: الغاية التي خَلَقَ اللَّهُ ـ تعالى ـ الخَلْقَ من أجلها، وهي ذاتُ العبادة.
وانظر: «درء التعارض» (١/٣٢٩، ٣/١١٠).

(٢) ويُقال: الفاعِليّة؛ أي: أنّه لا يستطيع القيام بلوازم العبادة وأركانها، إلّا إذا يسّرَ اللَّهُ له فِعْلَهَا، وسُبُلَها؛ وذلك بالاستعانة باللّه، والتوكُّلِ عليه.
انظر: «التعريفات»، للجرجاني (ص: ١٦٠).

وَهَذَا لَا يَحْصُلُ إِلَّا بِإِعَانَةِ ٱللَّهِ لَهُ؛ فَإِنَّهُ لَا يَقْدِرُ عَلَى تَحْصِيلِ ذَٰلِكَ لَهُ إِلَّا ٱللَّهُ، فَهُوَ دَائِمًا مُفْتَقِرٌ إِلَى حَقِيقَةِ:

﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾.

فَإِنَّهُ لَوْ أُعِينَ عَلَى حُصُولِ مَا يُحِبُّهُ، وَيَطْلُبُهُ، وَيَشْتَهِيهِ، وَيُرِيدُهُ، وَلَمْ يَحْصُلْ لَهُ عِبَادَةٌ لِلَّهِ؛ فَلَنْ يَحْصُلَ إِلَّا عَلَى ٱلْأَلَمِ، وَالْحَسْرَةِ، وَالْعَذَابِ، وَلَنْ يَخْلُصَ مِنْ آلَامِ ٱلدُّنْيَا، وَنَكَدِ عَيْشِهَا، إِلَّا بِإِخْلَاصِ ٱلْحُبِّ لِلَّهِ؛ بِحَيْثُ يَكُونُ هُوَ غَايَةَ مُرَادِهِ، وَنِهَايَةَ مَقْصُودِهِ، وَهُوَ ٱلْمَحْبُوبُ لَهُ بِالْقَصْدِ ٱلْأَوَّلِ، وَكُلُّ مَا سِوَاهُ إِنَّمَا يُحِبُّهُ لِأَجْلِهِ، لَا يُحِبُّ شَيْئًا لِذَاتِهِ إِلَّا ٱللَّهَ.

فَمَتَى لَمْ يَحْصُلْ لَهُ هَذَا، لَمْ يَكُنْ قَدْ حَقَّقَ حَقِيقَةَ: «**لَا إِلَهَ إِلَّا ٱللَّهُ**»، وَلَا حَقَّقَ ٱلتَّوْحِيدَ، وَالْعُبُودِيَّةَ، وَالْمَحَبَّةَ لِلَّهِ، وَكَانَ فِيهِ مِنْ نَقْصِ ٱلتَّوْحِيدِ وَالْإِيمَانِ - بَلْ مِنَ ٱلْأَلَمِ وَالْحَسْرَةِ وَالْعَذَابِ - بِحَسَبِ ذَٰلِكَ.

وَلَوْ سَعَى فِي هَذَا ٱلْمَطْلُوبِ، وَلَمْ يَكُنْ مُسْتَعِينًا بِاللَّهِ، مُتَوَكِّلًا عَلَيْهِ، مُفْتَقِرًا إِلَيْهِ فِي حُصُولِهِ، لَمْ يَحْصُلْ لَهُ؛ فَإِنَّهُ مَا شَاءَ ٱللَّهُ كَانَ، وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ، فَهُوَ مُفْتَقِرٌ إِلَى ٱللَّهِ؛ مِنْ حَيْثُ هُوَ ٱلْمَطْلُوبُ، ٱلْمَحْبُوبُ، ٱلْمُرَادُ، ٱلْمَعْبُودُ، وَمِنْ حَيْثُ هُوَ ٱلْمَسْؤُولُ، ٱلْمُسْتَعَانُ بِهِ، ٱلْمُتَوَكَّلُ عَلَيْهِ، فَهُوَ إِلَهُهُ لَا إِلَهَ لَهُ غَيْرُهُ، وَهُوَ رَبُّهُ لَا رَبَّ لَهُ سِوَاهُ.

وَلَا تَتِمُّ عُبُودِيَّتُهُ لِلَّهِ إِلَّا بِهَذَيْنِ؛ فَمَتَى كَانَ يُحِبُّ غَيْرَ ٱللَّهِ لِذَاتِهِ، أَوْ يَلْتَفِتُ إِلَى غَيْرِ ٱللَّهِ أَنْ يُعِينَهُ، كَانَ عَبْدًا لِمَا أَحَبَّهُ، وَعَبْدًا لِمَا رَجَاهُ؛ بِحَسَبِ حُبِّهِ لَهُ، وَرَجَائِهِ إِيَّاهُ، وَإِذَا لَمْ يُحِبَّ أَحَدًا لِذَاتِهِ إِلَّا ٱللَّهَ، وَأَيُّ شَيْءٍ أَحَبَّهُ سِوَاهُ فَإِنَّمَا أَحَبَّهُ لَهُ، وَلَمْ يَرْجُ قَطُّ شَيْئًا إِلَّا ٱللَّهَ، وَإِذَا فَعَلَ مَا

فَعَلَ مِنَ ٱلْأَسْبَابِ، أَوْ حَصَلَ مَا حَصَلَ مِنْهَا؛ كَانَ مُشَاهِدًا أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَهَا، وَقَدَّرَهَا، وَسَخَّرَهَا لَهُ، وَأَنَّ كُلَّ مَا فِي ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلْأَرْضِ، فَاللَّهُ رَبُّهُ، وَمَلِيكُهُ، وَخَالِقُهُ، وَمُسَخِّرُهُ، وَهُوَ مُفْتَقِرٌ إِلَيْهِ؛ كَانَ قَدْ حَصَلَ لَهُ مِنْ تَمَامِ عُبُودِيَّتِهِ لِلَّهِ بِحَسَبِ مَا قُسِمَ لَهُ مِنْ ذَٰلِكَ.

وَالنَّاسُ فِي هَذَا عَلَى دَرَجَاتٍ مُتَفَاوِتَةٍ، لَا يُحْصِي طُرُقَهَا إِلَّا ٱللَّهُ؛ فَأَكْمَلُ ٱلْخَلْقِ وَأَفْضَلُهُمْ وَأَعْلَاهُمْ وَأَقْرَبُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ، وَأَقْوَاهُمْ وَأَهْدَاهُمْ: أَتَمُّهُمْ عُبُودِيَّةً لِلَّهِ، مِنْ هَذَا ٱلْوَجْهِ.

وَهَذَا هُوَ حَقِيقَةُ دِينِ ٱلْإِسْلَامِ، ٱلَّذِي أَرْسَلَ ٱللَّهُ بِهِ رُسُلَهُ، وَأَنْزَلَ بِهِ كُتُبَهُ، هُوَ: أَنْ يَسْتَسْلِمَ ٱلْعَبْدُ لِلَّهِ لَا لِغَيْرِهِ؛ فَالْمُسْتَسْلِمُ لَهُ وَلِغَيْرِهِ مُشْرِكٌ، وَالْمُمْتَنِعُ عَنْ ٱلِاسْتِسْلَامِ لَهُ مُسْتَكْبِرٌ.

وَقَدْ ثَبَتَ فِي «**الصَّحِيحِ**»[1] عَنِ ٱلنَّبِيِّ ﷺ: أَنَّ ٱلْجَنَّةَ لَا يَدْخُلُهَا مَنْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ؛ كَمَا أَنَّ ٱلنَّارَ لَا يُخَلَّدُ فِيهَا مَنْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ إِيمَانٍ.

فَجَعَلَ ٱلْكِبْرَ مُقَابِلًا لِلْإِيمَانِ؛ فَإِنَّ ٱلْكِبْرَ يُنَافِي حَقِيقَةَ ٱلْعُبُودِيَّةِ.

كَمَا ثَبَتَ فِي «**الصَّحِيحِ**»[2]، عَنِ ٱلنَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «**يَقُولُ ٱللَّهُ:**

---

(١) رواه مسلم (رقم: ٩١)، والترمذي (١٩٩٨، ١٩٩٩)، وأبو داود (٤٠٩١)، وابن ماجه (٥٩، ٤١٧٣)، والطبراني في «الكبير» (١٠٠٠٠)، عن ابن مسعودٍ.

(٢) رواه مسلم، (رقم: ٢٦٢٠) بلفظ الحديث النبويِّ: «الْعِزُّ إِزَارُهُ...». وقال الحُميْدي: «كذا فيما رأينا مِن نُسخ «كتاب مسلم»، وأخرج البَرْقاني مِن الطريق الذي أخرجه مسلمٌ، عن أبي سعيدٍ،وأبي هُرَيْرَة...»، =

«**الْعَظَمَةُ إِزَارِي، وَالْكِبْرِيَاءُ رِدَائِي، فَمَنْ نَازَعَنِي وَاحِدًا مِنْهُمَا عَذَّبْتُهُ**».

فَالْعَظَمَةُ وَالْكِبْرِيَاءُ مِنْ خَصَائِصِ ٱلرُّبُوبِيَّةِ، وَالْكِبْرِيَاءُ أَعْلَى مِنَ ٱلْعَظَمَةِ، وَلِهَذَا جَعَلَهَا بِمَنْزِلَةِ ٱلرِّدَاءِ، كَمَا جَعَلَ ٱلْعَظَمَةَ بِمَنْزِلَةِ ٱلْإِزَارِ.

وَلِهَذَا كَانَ شِعَارُ ٱلصَّلَوَاتِ، وَالْأَذَانِ، وَالْأَعْيَادِ، هُوَ: ٱلتَّكْبِيرَ، وَكَانَ مُسْتَحَبًّا فِي ٱلْأَمْكِنَةِ ٱلْعَالِيَةِ، كَالصَّفَا وَالْمَرْوَةِ[1]، وَإِذَا عَلَا ٱلْإِنْسَانُ شَرَفًا[2]، أَوْ رَكِبَ دَابَّةً[3]، وَنَحْوَ ذَلِكَ، وَبِهِ يُطْفَأُ ٱلْحَرِيقُ وَإِنْ عَظُمَ[4]،

= فذكره، كما ذكره المُصنِّفُ، ثم قال:

«وهكذا أخرجه أبو مسعود في كتابه».

كذا في «جامع الأصول» (١٠/٦١٣)، و«الترغيب والترهيب» (٤/١٦).

وأخرجه أبو داود (٤٠٩٠)، وابن ماجه (٤١٧٤)، وأحمد (٢/٤١٤، ٢٤٨، ٣٧٦، ٤٢٧، ٤٤٢)، باللفظ الذي ذكره المصنِّف.

(١) كما رواه مسلم (١٢١٨)، وأبو داود (١٩٠٧)، ومالك (١/٣٧٢)، وابن ماجه (٣٠٧٤)، عن جابر.

(٢) أخرجه البخاريُّ (٦٣٨٥)، ومسلم (١٣٤٤)، وابن السُّنِّي (٥١٩)، ومالك (١/٤٢١)، وأبو داود (٢٧٧٠)، وغيرهم، عن ابن عمر.

(٣) كما رواه مسلم (١٣٤٢)، والترمذي (٣٤٤٤)، وأبو داود (٢٥٩٩)، عن ابن عُمر.

(٤) أورد هذا الحديث المُصنِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الكلم الطيب» (رقم: ٢٢١) مصدرًا له بصيغة التمريض: «يُذْكَر...».

وأخرجَ الحديثَ العُقيليُّ في «الضُّعفَاء» (٢/٢٩٦)، وابن عدي في «الكامل» (٤/١٤٦٩)، وابن السُّنِّي في «عمل اليوم والليلة» (٢٨٩ - ٢٩٢)، مِن طرق، عن عَمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جَدِّه، وهذه الطرق - إلى عَمْرٍو - كلُّها ضعيفةٌ جدًّا. =

وَعِنْدَ ٱلْأَذَانِ يَهْرُبُ ٱلشَّيْطَانُ[1].

قَالَ ـ تَعَالَى ـ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾ [غافر: ٦٠].

وَكُلُّ مَنِ ٱسْتَكْبَرَ عَنْ عِبَادَةِ ٱللَّهِ لَا بُدَّ أَنْ يَعْبُدَ غَيْرَهُ؛ فَإِنَّ ٱلْإِنْسَانَ حَسَّاسٌ، يَتَحَرَّكُ بِالْإِرَادَةِ.

وَقَدْ ثَبَتَ فِي «**الصَّحِيحِ**»[2]، عَنِ ٱلنَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «**أَصْدَقُ ٱلْأَسْمَاءِ: حَارِثٌ وَهَمَّامٌ**».

فَالْحَارِثُ: ٱلْكَاسِبُ ٱلْفَاعِلُ، وَالْهَمَّامُ: فَعَّالٌ مِنَ ٱلْهَمِّ.

وَالْهَمُّ أَوَّلُ ٱلْإِرَادَةِ، فَالْإِنْسَانُ لَهُ إِرَادَةٌ دَائِمًا، وَكُلُّ إِرَادَةٍ فَلَا بُدَّ لَهَا

= وله طُرُقٌ أخرى في «تاريخ جُرجان» (٤١٤)، و«الكنى والأسماء» (١٣٧/٢) للدولابي، و«الدعاء» (١٠٠١)، و«الكامل» (١٧٦٧/٥)، و«المطالب العالية» (٣٤٢٤)، و«المقاصد الحسنة». فلعلّي أفرغُ ـ إن شاء اللّه ـ لتقييدها في موضعٍ آخَرَ.

(١) كما رواه البخاري، (٦٩/٢ ـ ٧٠)، ومسلم (٣٨٩)، ومالك (٦٩/١ ـ ٧٠)، وأبو داود (٥١٦)، والنسائي (٢١/٢ ـ ٢٢)، عن أبي هُريرة.

(٢) رواه مسلمٌ (رقم: ٢١٣٢)، ولكنْ لفظُه: «أحب الأسماء إلى الله عبدُالله وعبدُالرحمن»، عن ابن عُمر.
ورواه الترمذي (٢٨٣٥)، وأبو داود (٥٨٤/٢).
وأمّا حديثُ: «أصدق الأسماء الحارث وهمّام». فقد رواه ابنُ وَهْبٍ في «جامعه» (ص: ٧)، عن عبد الله بن عامر اليَحْصِبي مرسلًا، بإسنادٍ صحيحٍ.
وله شاهدٌ موصولٌ أخرجه أحمد (٣٤٥/٤)، وأبو داود (٤٩٥٠)، والنَّسائي (٢١٨/٦)، عن أبي وَهْب الجُشَمي، بسندٍ فيه ضعفٌ، فيقوى به ـ إن شاء الله ـ.
وانظر: «موارد الأمان...» (ص: ٦٥، ٦٦).

مِنْ مُرَادٍ تَنْتَهِي إِلَيْهِ.

فَلَا بُدَّ لِكُلِّ عَبْدٍ مِنْ مُرَادٍ مَحْبُوبٍ هُوَ مُنْتَهَى حُبِّهِ وَإِرَادَتِهِ، فَمَنْ لَمْ يَكُنِ ٱللَّهُ مَعْبُودَهُ وَمُنْتَهَى حُبِّهِ وَإِرَادَتِهِ، بَلِ ٱسْتَكْبَرَ عَنْ ذَلِكَ، فَلَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ لَهُ مُرَادٌ مَحْبُوبٌ يَسْتَعْبِدُهُ غَيْرُ ٱللَّهِ، فَيَكُونُ عَبْدًا لِذَلِكَ ٱلْمُرَادِ ٱلْمَحْبُوبِ؛ إِمَّا ٱلْمَالُ، وَإِمَّا ٱلْجَاهُ، وَإِمَّا ٱلصُّوَرُ، وَإِمَّا مَا يَتَّخِذُهُ إِلَهًا مِنْ دُونِ ٱللَّهِ؛ كَالشَّمْسِ، وَالْقَمَرِ، وَالْكَوَاكِبِ، وَالْأَوْثَانِ، وَقُبُورِ ٱلْأَنْبِيَاءِ وَالصَّالِحِينَ، أَوْ مِنَ ٱلْمَلَائِكَةِ وَالْأَنْبِيَاءِ ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُهُمْ أَرْبَابًا، أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا عُبِدَ مِنْ دُونِ ٱللَّهِ.

وَإِذَا كَانَ عَبْدًا لِغَيْرِ ٱللَّهِ يَكُونُ مُشْرِكًا، وَكُلُّ مُسْتَكْبِرٍ فَهُوَ مُشْرِكٌ؛ وَلِهَذَا كَانَ فِرْعَوْنُ مِنْ أَعْظَمِ ٱلْخَلْقِ ٱسْتِكْبَارًا عَنْ عِبَادَةِ ٱللَّهِ، وَكَانَ مُشْرِكًا، قَالَ ـ تَعَالَى ـ: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَـٰتِنَا وَسُلْطَـٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢٣﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَـٰمَـٰنَ وَقَـٰرُونَ فَقَالُوا۟ سَـٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٢٤﴾﴾ ـ إِلَى قَوْلِهِ ـ: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِنِّى عُذْتُ بِرَبِّى وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٧﴾﴾ ـ إِلَى قَوْلِهِ ـ: ﴿كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾ [غافر: ٢٣ ـ ٣٥].

وَقَالَ ـ تَعَالَى ـ: ﴿وَقَـٰرُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَـٰمَـٰنَ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَـٰتِ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كَانُوا۟ سَـٰبِقِينَ ﴿٣٩﴾﴾ [العنكبوت: ٣٩].

وَقَالَ ـ تَعَالَى ـ: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ ۚ﴾ ـ إلى قوله ـ:

﴿فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [القصص: ٤٠].

وَقَالَ: ﴿وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ۚ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٤﴾﴾، [النمل: ١٤].

وَمِثْلُ هَذَا فِي ٱلْقُرْآنِ كَثِيرٌ.

وَقَدْ وَصَفَ فِرْعَوْنَ بِالشِّرْكِ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُۥ لِيُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ﴾ [الأعراف: ١٢٦].

بَلْ ٱلِاسْتِقْرَاءُ يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ كُلَّمَا كَانَ ٱلرَّجُلُ أَعْظَمَ ٱسْتِكْبَارًا عَنْ عِبَادَةِ ٱللَّهِ، كَانَ أَعْظَمَ إِشْرَاكًا بِاللَّهِ؛ لِأَنَّهُ كُلَّمَا ٱسْتَكْبَرَ عَنْ عِبَادَةِ ٱللَّهِ ٱزْدَادَ فَقْرُهُ، وَحَاجَتُهُ إِلَى ٱلْمُرَادِ ٱلْمَحْبُوبِ، ٱلَّذِي هُوَ ٱلْمَقْصُودُ - مَقْصُودُ ٱلْقَلْبِ بِالْقَصْدِ ٱلْأَوَّلِ - فَيَكُونُ مُشْرِكًا بِمَا ٱسْتَعْبَدَهُ مِنْ ذَلِكَ.

وَلَنْ يَسْتَغْنِيَ ٱلْقَلْبُ عَنْ جَمِيعِ ٱلْمَخْلُوقَاتِ إِلَّا بِأَنْ يَكُونَ ٱللَّهُ هُوَ مَوْلَاهُ ٱلَّذِي لَا يَعْبُدُ إِلَّا إِيَّاهُ، وَلَا يَسْتَعِينُ إِلَّا بِهِ، وَلَا يَتَوَكَّلُ إِلَّا عَلَيْهِ، وَلَا يَفْرَحُ إِلَّا بِمَا يُحِبُّهُ وَيَرْضَاهُ، وَلَا يَكْرَهُ إِلَّا مَا يَبْغَضُهُ ٱلرَّبُّ وَيَكْرَهُهُ، وَلَا يُوَالِي إِلَّا مَنْ وَالَاهُ ٱللَّهُ، وَلَا يُعَادِي إِلَّا مَنْ عَادَاهُ ٱللَّهُ، وَلَا يُحِبُّ إِلَّا لِلَّهِ، وَلَا يَبْغَضُ شَيْئًا إِلَّا لِلَّهِ، وَلَا يُعْطِي إِلَّا لِلَّهِ، وَلَا يَمْنَعُ إِلَّا لِلَّهِ.

فَكُلَّمَا قَوِيَ إِخْلَاصُ دِينِهِ لِلَّهِ، كَمُلَتْ عُبُودِيَّتُهُ وَاسْتِغْنَاؤُهُ عَنِ ٱلْمَخْلُوقَاتِ، وَبِكَمَالِ عُبُودِيَّتِهِ لِلَّهِ تَكْمُلُ تَبْرِئَتُهُ مِنَ ٱلْكِبْرِ وَالشِّرْكِ.

وَالشِّرْكُ غَالِبٌ عَلَى ٱلنَّصَارَى، وَالْكِبْرُ غَالِبٌ عَلَى ٱلْيَهُودِ.

قَالَ - تَعَالَى - فِي ٱلنَّصَارَى: ﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا

مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَٰهًا وَاحِدًا لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٣١)﴾ [التوبة: ٣١].

وَقَالَ فِي الْيَهُودِ: ﴿أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ [البقرة: ٨٧].

وَقَالَ - تَعَالَى -: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِن يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا﴾ [الأعراف: ١٤٦].

وَلَمَّا كَانَ الْكِبْرُ مُسْتَلْزِمًا لِلشِّرْكِ، وَالشِّرْكُ ضِدُّ الْإِسْلَامِ، وَهُوَ الذَّنْبُ الَّذِي لَا يَغْفِرُهُ اللَّهُ، قَالَ - تَعَالَى:

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا (٤٨)﴾ [النساء: ٤٨].

وَقَالَ: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا (١١٦)﴾ [النساء: ١١٦].

كَانَ الْأَنْبِيَاءُ جَمِيعُهُمْ مَبْعُوثِينَ بِدِينِ الْإِسْلَامِ، فَهُوَ الدِّينُ الَّذِي لَا يَقْبَلُ اللَّهُ غَيْرَهُ، لَا مِنَ الْأَوَّلِينَ، وَلَا مِنَ الْآخِرِينَ.

قَالَ نُوحٌ: ﴿فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ (٧٢)﴾[(١)].

وَقَالَ فِي حَقِّ إِبْرَاهِيمَ عليه السلام: ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَن

(١) كما في سورة يُونس: (٧٢)، حكايةً عنه.

سَفِهَ نَفْسَهُۥ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ فِي ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِي ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٣٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٣١﴾﴾، إلى قوله: ﴿فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٠ - ١٣٢].

وَقَالَ يُوسُفُ عليه السلام: ﴿تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾[١].

وَقَالَ مُوسَى عليه السلام: ﴿يَٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ ﴿٨٤﴾ فَقَالُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا﴾[٢].

وَقَالَ - تَعَالَى -: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟﴾ [المائدة: ٤٤].

وَقَالَتْ بِلْقِيسُ: ﴿رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[٣].

وَقَالَ - تعالى -: ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّۦنَ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِى وَبِرَسُولِى قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَٱشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ ﴿١١١﴾﴾ [المائدة: ١١١].

وَقَالَ: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ۗ﴾ [آل عمران: ١٩].

وَقَالَ: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [آل عمران: ٨٥].

وَقَالَ - تَعَالَى -: ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى

---

(١) في سورة يوسف (آية: ١٠١)، حكايةً عنه.

(٢) في سورة يُونس، آية: (٨٤ - ٨٥)، حكايةً عنه.

(٣) كما في سورة النمل (آية: ٤٤)، حكايةً عنها.

ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا﴾ [آل عمران: ٨٣].

فَذَكَرَ إِسْلَامَ ٱلْكَائِنَاتِ طَوْعًا وَكَرْهًا؛ لِأَنَّ ٱلْمَخْلُوقَاتِ جَمِيعَهَا مُتَعَبِّدَةٌ لَهُ ٱلتَّعَبُّدَ ٱلْعَامَّ؛ سَوَاءٌ أَقَرَّ ٱلْمُقِرُّ بِذَلِكَ، أَوْ أَنْكَرَهُ، وَهُمْ مَدِينُونَ لَهُ، مُدَبَّرُونَ، فَهُمْ مُسْلِمُونَ لَهُ طَوْعًا وَكَرْهًا، لَيْسَ لِأَحَدٍ مِنَ ٱلْمَخْلُوقَاتِ خُرُوجٌ عَمَّا شَاءَهُ، وَقَدَّرَهُ، وَقَضَاهُ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِهِ، وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَالَمِينَ وَمَلِيكُهُمْ، يُصَرِّفُهُمْ كَيْفَ يَشَاءُ، وَهُوَ خَالِقُهُمْ كُلِّهِمْ، وَبَارِئُهُمْ وَمُصَوِّرُهُمْ.

كُلُّ مَا سِوَاهُ فَهُوَ مَرْبُوبٌ، مَصْنُوعٌ، مَفْطُورٌ، فَقِيرٌ، مُحْتَاجٌ، مُعَبَّدٌ، مَقْهُورٌ، وَهُوَ ـ سُبْحَانَهُ ـ ٱلْوَاحِدُ، ٱلْقَهَّارُ، ٱلْخَالِقُ، ٱلْبَارِئُ، ٱلْمُصَوِّرُ.

وَهُوَ وَإِنْ كَانَ قَدْ خَلَقَ مَا خَلَقَهُ بِأَسْبَابٍ؛ فَهُوَ خَالِقُ ٱلسَّبَبِ، وَٱلْمُقَدِّرُ لَهُ، وَهُوَ مُفْتَقِرٌ إِلَيْهِ كَافْتِقَارِ هَذَا، وَلَيْسَ فِي ٱلْمَخْلُوقَاتِ سَبَبٌ مُسْتَقِلٌّ بِفِعْلِ خَيْرٍ، وَلَا دَفْعِ ضَرَرٍ، بَلْ كُلُّ مَا هُوَ سَبَبٌ فَهُوَ مُحْتَاجٌ إِلَى سَبَبٍ آخَرَ يُعَاوِنُهُ، وَإِلَى مَا يَدْفَعُ عَنْهُ ٱلضِّدَّ ٱلَّذِي يُعَارِضُهُ وَيُمَانِعُهُ.

وَهُوَ ـ سُبْحَانَهُ ـ وَحْدَهُ ٱلْغَنِيُّ عَنْ كُلِّ مَا سِوَاهُ، لَيْسَ لَهُ شَرِيكٌ يُعَاوِنُهُ، وَلَا ضِدٌّ يُنَاوِئُهُ وَيُعَارِضُهُ.

قَالَ ـ تَعَالَى ـ: ﴿قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ ۚ قُلْ حَسْبِيَ ٱللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ﴾ [الزمر: ٣٨].

وَقَالَ ـ تَعَالَى ـ: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾﴾ [الأنعام: ١٧].

وَقَالَ ـ تَعَالَى ـ عَنِ ٱلْخَلِيلِ عليه السلام: ﴿ يَٰقَوْمِ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ۝٧٨ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۝٧٩ وَحَآجَّهُۥ قَوْمُهُۥ ۚ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّي فِي ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنِ ۚ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّي شَيْـًٔا ۗ وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا ۗ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ۝٨٠ وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا ۚ فَأَيُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝٨١ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ۝٨٢﴾ [الأنعام: ٧٨ ـ ٨٢].

وَفِي «**الصَّحِيحَيْنِ**»[1] عَنْ عَبْدِاللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه: أَنَّ هَذِهِ ٱلْآيَةَ لَمَّا نَزَلَتْ شَقَّ ذَلِكَ عَلَى أَصْحَابِ ٱلنَّبِيِّ ﷺ، وَقَالُوا: يَا رَسُولَ ٱللَّهِ! أَيُّنَا لَمْ يَلْبِسْ إِيمَانَهُ بِظُلْمٍ؟! فَقَالَ: «**إِنَّمَا هُوَ الشِّرْكُ، أَلَمْ تَسْمَعُوا إِلَى قَوْلِ ٱلْعَبْدِ ٱلصَّالِحِ:** ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣].

وَإِبْرَاهِيمُ ٱلْخَلِيلُ إِمَامُ ٱلْحُنَفَاءِ ٱلْمُخْلِصِينَ؛ حَيْثُ بُعِثَ وَقَدْ طَبَّقَ ٱلْأَرْضَ دِينُ ٱلْمُشْرِكِينَ.

قَالَ ٱللَّهُ ـ تَعَالَى ـ: ﴿۞ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي ٱلظَّٰلِمِينَ ۝١٢٤﴾ [البقرة: ١٢٤].

فَبَيَّنَ أَنَّ عَهْدَهُ بِالْإِمَامَةِ لَا يَتَنَاوَلُ ٱلظَّالِمَ، فَلَمْ يَأْمُرِ ٱللَّهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ أَنْ

---

(١) رواه البخاري، (١/٨١)، ومسلم (١٢٤)، وأحمد (٣٥٨٩)، والترمذي (٣٠٦٩)، وابن جرير (١٤٧٦)، عن ابن مسعود.

يَكُونَ ٱلظَّالِمُ إِمَامًا، وَأَعْظَمُ ٱلظُّلْمِ ٱلشِّرْكُ.

وَقَالَ - تَعَالَى -: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾﴾ [النحل: ١٢٠].

وَالأُمَّةُ هُوَ: مُعَلِّمُ ٱلْخَيْرِ، ٱلَّذِي يُؤْتَمُّ بِهِ[١]؛ كَمَا أَنَّهُ ٱلْقُدْوَةُ ٱلَّذِي يُقْتَدَى بِهِ.

وَاللَّهُ - تَعَالَى - جَعَلَ فِي ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ، وَالْكِتَابَ، وَإِنَّمَا بَعَثَ ٱلْأَنْبِيَاءَ بَعْدَهُ بِمِلَّتِهِ.

قَالَ - تَعَالَى -: ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٣﴾﴾ [النحل: ١٢٣].

وَقَالَ - تَعَالَى -: ﴿إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٨﴾﴾ [آل عمران: ٦٨].

وَقَالَ - تَعَالَى -: ﴿مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾﴾ [آل عمران: ٦٧].

وَقَالَ - تَعَالَى -: ﴿وَقَالُوا۟ كُونُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ تَهْتَدُوا۟ ۗ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِۦمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٣٥﴾ قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِۦمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٥ ، ١٣٦].

---

(١) انظر: «التذكرة والاعتبار والانتصار للأبرار» (ص: ٢٣)، لابن شيخ الحزَّامين، وتعليقي عليه.

وَقَدْ ثَبَتَ فِي «الصَّحِيحِ»[١]، عَنِ ٱلنَّبِيِّ ﷺ: أَنَّ إِبْرَاهِيمَ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ.

فَهُوَ أَفْضَلُ ٱلْأَنْبِيَاءِ بَعْدَ ٱلنَّبِيِّ ﷺ، وَهُوَ خَلِيلُ ٱللَّهِ ـ تَعَالَى.

وَقَدْ ثَبَتَ فِي «**الصَّحِيحِ**»[٢]، عَنِ ٱلنَّبِيِّ ﷺ مِنْ غَيْرِ وَجْهٍ أَنَّهُ قَالَ: «**إِنَّ ٱللَّهَ ٱتَّخَذَنِي خَلِيلًا؛ كَمَا ٱتَّخَذَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا**».

وَقَالَ: «**لَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا مِنْ أَهْلِ ٱلْأَرْضِ خَلِيلًا لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلًا، وَلَكِنَّ صَاحِبَكُمْ خَلِيلُ ٱللَّهِ**»[٣] يَعْنِي: نَفْسَهُ ﷺ.

وَقَالَ: «**لَا يَبْقَيَنَّ فِي ٱلْمَسْجِدِ خَوْخَةٌ إِلَّا سُدَّتْ، إِلَّا خَوْخَةَ أَبِي بَكْرٍ**»[٤].

وَقَالَ: «**إِنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ كَانُوا يَتَّخِذُونَ ٱلْقُبُورَ مَسَاجِدَ، أَلَا فَلَا تَتَّخِذُوا ٱلْقُبُورَ مَسَاجِدَ؛ فَإِنِّي أَنْهَاكُمْ عَنْ ذَلِكَ**»[٥].

وَكُلُّ هَذَا فِي «**الصَّحِيحِ**».

---

(١) رواه مسلم (٢٣٦٩)، وأبو داود (٤٦٧٢)، والترمذي (٣٣٥٢)، والنسائي في «الكبرى»؛ كما في «تحفة الأشراف» (١/٤٠٣).

(٢) رواه مسلم (٥٣٢)، عن جُندب.

وفي الباب عن عدَّة من الصحابة، فانظر: «جامع الأصول» (٨/٥٨٤ ـ ٥٩٠).

(٣) رواه البخاري (١٠/١٠)، ومسلم (٢٣٨٢)، والترمذي (٣٦٦١)، عن أبي سعيد الخُدريِّ.

(٤) قطعة من الحديث السابق نفسِه.

والخوخة: مَنْفَذٌ يكون بين منزلين يُجعل عليه بابٌ.

(٥) رواه مسلم (٥٣٢)، وأبو عَوَانة (١/٤٠١)، والطبراني في «الكبير» (١٦٨٦)، وابن سعد (٢/٢٤٠)، عن جندب بن عبد الله.

وَفِيهِ[١]: أَنَّهُ قَالَ ذَلِكَ قَبْلَ مَوْتِهِ بِأَيَّامٍ.

وَذَلِكَ مِنْ تَمَامِ رِسَالَتِهِ؛ فَإِنَّ فِي ذَلِكَ تَمَامَ تَحْقِيقِ مُخَالَّتِهِ لِلَّهِ، ٱلَّتِي أَصْلُهَا مَحَبَّةُ ٱللَّهِ ـ تَعَالَى ـ لِلْعَبْدِ، وَمَحَبَّةُ ٱلْعَبْدِ لِلَّهِ؛ خِلَافًا لِلْجَهْمِيَّةِ[٢].

وَفِي ذَلِكَ تَحْقِيقُ تَوْحِيدِ ٱللَّهِ، وَأَنْ لَا يَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ، وَرَدٌّ عَلَى أَشْبَاهِ ٱلْمُشْرِكِينَ.

وَفِيهِ رَدٌّ عَلَى ٱلرَّافِضَةِ، ٱلَّذِينَ يَبْخَسُونَ ٱلصِّدِّيقَ ﷺ حَقَّهُ، وَهُوَ أَعْظَمُ ٱلْمُنْتَسِبِينَ إِلَى ٱلْقِبْلَةِ؛ إِشْرَاكًا بِعِبَادَةِ عَلِيٍّ، وَغَيْرِهِ مِنَ ٱلْبَشَرِ[٣].

وَ«ٱلْخُلَّةُ»: وَهِيَ كَمَالُ ٱلْمَحَبَّةِ، ٱلْمُسْتَلْزِمَةِ مِنَ ٱلْعَبْدِ كَمَالَ ٱلْعُبُودِيَّةِ لِلَّهِ، وَمِنَ ٱلرَّبِّ ـ سُبْحَانَهُ ـ كَمَالَ ٱلرُّبُوبِيَّةِ لِعِبَادِهِ ٱلَّذِينَ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ.

وَلَفْظُ «ٱلْعُبُودِيَّةِ» يَتَضَمَّنُ كَمَالَ ٱلذُّلِّ، وَكَمَالَ ٱلْحُبِّ؛ فَإِنَّهُمْ يَقُولُونَ: «قَلْبٌ مُتَيَّمٌ» إِذَا كَانَ مُتَعَبِّدًا لِلْمَحْبُوبِ.

وَ«ٱلْمُتَيَّمُ»: ٱلْمُتَعَبَّدُ.

وَ«تَيْمُ ٱللَّهِ»: عَبْدُهُ.

وَهَذَا عَلَى ٱلْكَمَالِ حَصَلَ لِإِبْرَاهِيمَ عليه السلام، وَمُحَمَّدٍ ﷺ.

وَلِهَذَا لَمْ يَكُنْ لَهُ ﷺ مِنْ أَهْلِ ٱلْأَرْضِ خَلِيلٌ؛ إِذِ ٱلْخُلَّةُ لَا تَحْتَمِلُ

---

(١) أي في الحديث نفسِه: «قبل أن يموتَ بخمسٍ...».

(٢) انظر: «درء تعارض العقل والنقل»، (٦/٥٩ ـ ٦٣) للمصنِّف رحمه الله.

(٣) وقد فصَّل المُصَنِّفُ رحمه الله في نقضِ آرائهم، وتكذيب اعتقاداتهم، في كتابه العُجاب «منهاج السنة النبويَّة»، وقد طُبع ـ قبل سَنواتٍ ـ طبعةً محققةً في تسع مجلَّداتٍ.

ٱلشَّرِكَةَ؛ فَإِنَّهُ كَمَا قِيلَ فِي ٱلْمَعْنَى:

قَدْ تَخَلَّلْتِ مَسْلَكَ ٱلرُّوحِ مِنِّي ... وَبِذَا سُمِّيَ ٱلْخَلِيلُ خَلِيلَا

بِخِلَافِ أَصْلِ ٱلْحُبِّ؛ فَإِنَّهُ ﷺ قَدْ قَالَ فِي ٱلْحَدِيثِ ٱلصَّحِيحِ[1] فِي

---

(١) رواه البخاري (٣٧٣٥، ٣٧٤٧)، وأحمد في «المسند» (٥/٢١٠)، وفي «فضائل الصحابة» (١٣٥٢).

والنسائي في «فضائل الصحابة» (رقم: ٨٠)، وابن سعد (٤/٦٢)، والبَغَوي في «شرح السنة» (١٤/١٤٣)، وأبو القاسم البَغَوي في «مسند زيد» (رقم: ٨)، عن أسامة بن زَيْد.

وليس في الرواية: «وَأَحِبَّ مَن يُحِبُّهما».

وهي روايةٌ في الحَسَن والحُسَيْن، عند الترمذي في «سننه» (٣٧٦٩)، والنَّسائي في «الخصائص» (١٣٦)، وابن حبان (٢٢٣٤)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (١٢/٩٧)، والبخاري في «التاريخ الكبير» (٢/٢٨٦)، والمِزيّ في «تهذيب الكمال» (٦/٥٥)، مِن طريق موسى بن يعقوبَ الزَّمعي، عن عبد الله بن أبي بكر بن زيد، عن مسلم بن أبي سهل، عن حسن بن أُسامة، عن أبيه.

قال ابنُ المديني في هذا الحديث: «حديثُ الحَسَن بن أُسَامة حديثٌ مدينيٌّ، رواه شيخٌ ضَعيفٌ، مُنْكَرُ الحديث، يُقال له: موسى بن يعقوب، من وَلَد عبد الله بن زَمْعَة، عن رجل مجهولٍ، عن آخر مجهول».

نَقَلَه ابنُ عساكر في «تاريخه» (٤/١٥٥ ـ تهذيبه).

وضعَّفه الذهبي في «السِّيَر» (٣/٢٥٢)، ثمَّ قال: «فهذا مِمَّا يُنْتَقَدُ تحسِينهُ على الترمذي».

وعزاه أَخونا الحُويني في «الحُلِيّ...» (ص: ١٢٣)، للحاكم! ولم أَره في «مستدركه»، ولقوله: «اللَّهُمَّ! إِنِّي أُحِبُّهُمَا فَأَحِبَّهُمَا» شاهدٌ.

أخرجه أحمد في «المسند» (٢/٤٤٦)، وفي «الفضائل» (١٣٧١)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (١٢/٩٥)، والبزَّار (٣/٢٢٦)، مِن طريقين، عن أبي هريرة، وسنده حَسَنٌ.

ٱلْحَسَنِ وَأُسَامَةَ: «**اللَّهُمَّ، إِنِّي أُحِبُّهُمَا فَأَحِبَّهُمَا، وَأَحِبَّ مَنْ يُحِبُّهُمَا**».

وَسَأَلَهُ عَمْرُو بْنُ ٱلْعَاصِ: أَيُّ ٱلنَّاسِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟

قَالَ: «**عَائِشَةُ**»، قَالَ: فَمِنَ ٱلرِّجَالِ؟

قَالَ: «**أَبُوهَا**»(١).

وَقَالَ لِعَلِيٍّ(٢) ﷺ: «**لَأُعْطِيَنَّ ٱلرَّايَةَ غَدًا رَجُلًا يُحِبُّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُ، وَيُحِبُّهُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُ**»(٣).

وَأَمْثَالُ ذَلِكَ كَثِيرٌ.

وقَدْ أَخْبَرَ ـ تَعَالَى ـ أَنَّهُ: ﴿يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ٧٦].

وَ﴿يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: ١٩٥]. وَ﴿يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾ [الحجرات: ٩]، وَ﴿يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾، [البقرة: ٢٢٢]، وَ﴿يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ﴾ [الصف: ٤].

وَقَالَ: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المائدة: ٥٤].

فَقَدْ أَخْبَرَ بِمَحَبَّتِهِ لِعِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ، وَمَحَبَّةِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لَهُ، حَتَّى قَالَ: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥].

---

(١) رواه البخاري، (٣٦٦٢)، ومسلم (٢٣٨٤)، والترمذي (٣٨٧٩)، والنَّسائي في «فضائل الصحابة» (رقم: ٥)، وأحمد (٤/٢٠٤)، من طُرُق، عن عَمْرو بن العاص.

(٢) كذا، فعلَّه أراد: «في عليٍّ». فكتبها «لعليٍّ».

(٣) أخرجه البخاري (٣٠٠٩، ٣٧٠١، ٤٢١٠، ٢٤٠٦)، وأحمد في «مسنده» (٥/٣٣٣)، وفي «الفضائل» (١٠٣٧)، والنَّسائي في «الكبرى» (٤٦ ـ فضائل الصحابة»، والبغوي (٣٩٠٦)، والطبراني في «الكبير» (٥٨٧٦، ٥٩٥٠، ٥٩٩١)، عن سَهْل بن سَعْد، وفي الباب عن عدَّة من الصحابة.

أَمَّا ٱلْخُلَّةُ فَخَاصَّةٌ، وَقَوْلُ بَعْضِ ٱلنَّاسِ: إِنَّ مُحَمَّدًا حَبِيبُ ٱللَّهِ، وَإِبْرَاهِيمَ خَلِيلُ ٱللَّهِ. وَظَنُّهُ أَنَّ ٱلْمَحَبَّةَ فَوْقَ ٱلْخُلَّةِ: قَوْلٌ ضَعِيفٌ؛ فَإِنَّ مُحَمَّدًا ـ أَيْضًا ـ خَلِيلُ ٱللَّهِ؛ كَمَا ثَبَتَ ذَلِكَ فِي ٱلْأَحَادِيثِ ٱلصَّحِيحَةِ ٱلْمُسْتَفِيضَةِ[(١)].

وَمَا يُرْوَى: أَنَّ ٱلْعَبَّاسَ يُحْشَرُ بَيْنَ حَبِيبٍ وَخَلِيلٍ[(٢)]. وَأَمْثَالُ ذَلِكَ، فَأَحَادِيثُ مَوْضُوعَةٌ لَا تَصْلُحُ أَنْ يُعْتَمَدَ عَلَيْهَا.

وَقَدْ قَدَّمْنَا أَنَّ مَحَبَّةَ ٱللَّهِ ـ تَعَالَى ـ هِيَ: مَحَبَّتُهُ، وَمَحَبَّةُ مَا أَحَبَّ.

كَمَا فِي «ٱلصَّحِيحَيْنِ»[(٣)]، عَنِ ٱلنَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «**ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ ٱلْإِيمَانِ: مَنْ كَانَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَمَنْ كَانَ يُحِبُّ ٱلْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ، وَمَنْ كَانَ يَكْرَهُ أَنْ يَرْجِعَ فِي ٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱللَّهُ مِنْهُ، كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُلْقَى فِي ٱلنَّارِ**».

أَخْبَرَ ٱلنَّبِيُّ ﷺ أَنَّ مَنْ كَانَ فِيهِ هَذِهِ ٱلثَّلَاثُ، وَجَدَ حَلَاوَةَ ٱلْإِيمَانِ؛

---

(١) سبق بعضُها.

(٢) لعلَّهُ يُشير إلى ما يُروى مرفوعًا: «... والعبَّاس بيننا مؤمنٌ بين خليلَيْن».
رواه ابن ماجه (١٤١)، والعقيلي (٣/٧٨)، وابن الجوزي في «الموضوعات» (٢/٣٢) عن ابن عَمْرو.
وقال البوصيري في «مصباح الزجاجة» (رقم: ٥١): «هذا إسنادٌ ضعيفٌ؛ لاتِّفاقهم على ضَعف عبد الوهاب [بن الضحاك]، بل قال فيه أبو داود: يضعُ الحديثَ، وقال الحاكم: روى أحاديثَ موضوعة، وشيخهُ إسماعيلُ يدلِّسُ».
قلتُ: فمثلُه موضـوعٌ؛ كما جـزم ابنُ الجوزي.
أمَّا تعقُّـب السـيوطيِّ له في «اللآلئ» (١/٤٣٠) بأنَّه: «أخرجه ابن ماجه»! فيمَّا يكفي في ردِّه حكايتُه!!

(٣) تقدَّم تخريجه .

لِأَنَّ وُجُودَ ٱلْحَلَاوَةِ بِالشَّيْءِ يَتْبَعُ ٱلْمَحَبَّةَ لَهُ، فَمَنْ أَحَبَّ شَيْئًا أَوِ ٱشْتَهَاهُ، إِذَا حَصَلَ لَهُ مُرَادُهُ، فَإِنَّهُ يَجِدُ ٱلْحَلَاوَةَ وَاللَّذَّةَ وَالسُّرُورَ بِذَلِكَ.

وَاللَّذَّةُ أَمْرٌ يَحْصُلُ عُقَيْبَ إِدْرَاكِ ٱلْمُلَائِمِ ٱلَّذِي هُوَ ٱلْمَحْبُوبُ أَوِ ٱلْمُشْتَهَى.

وَمَنْ قَالَ: إِنَّ ٱللَّذَّةَ إِدْرَاكُ ٱلْمُلَائِمِ؛ كَمَا يَقُولُهُ مَنْ يَقُولُهُ مِنَ ٱلْمُتَفَلْسِفَةِ وَالْأَطِبَّاءِ[1]، فَقَدْ غَلِطَ فِي ذَلِكَ غَلَطًا بَيِّنًا؛ فَإِنَّ ٱلْإِدْرَاكَ يَتَوَسَّطُ بَيْنَ ٱلْمَحَبَّةِ وَاللَّذَّةِ؛ فَإِنَّ ٱلْإِنْسَانَ - مَثَلًا - يَشْتَهِي ٱلطَّعَامَ؛ فَإِذَا أَكَلَهُ حَصَلَ لَهُ عُقَيْبَ ذَلِكَ ٱللَّذَّةُ؛ فَاللَّذَّةُ تَتْبَعُ ٱلنَّظَرَ إِلَى ٱلشَّيْءِ؛ فَإِذَا نَظَرَ إِلَيْهِ ٱلْتَذَّ بِهِ، فَاللَّذَّةُ تَتْبَعُ ٱلنَّظَرَ لَيْسَتْ نَفْسَ ٱلنَّظَرِ، وَلَيْسَتْ هِيَ رُؤْيَةَ ٱلشَّيْءِ، بَلْ تَحْصُلُ عُقَيْبَ رُؤْيَتِهِ.

وَقَالَ - تَعَالَىٰ -: ﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ﴾ [الزخرف: ٧١].

وَهَكَذَا جَمِيعُ مَا يَحْصُلُ لِلنَّفْسِ مِنَ ٱللَّذَّاتِ وَالْآلَامِ؛ مِنْ فَرَحٍ، وَحزنٍ، وَنَحْوِ ذَلِكَ يَحْصُلُ بِالشُّعُورِ بِالْمَحْبُوبِ، أَوِ ٱلشُّعُورِ بِالْمَكْرُوهِ، وَلَيْسَ نَفْسُ ٱلشُّعُورِ هُوَ ٱلْفَرَحَ، وَلَا ٱلْحُزْنَ.

فَحَلَاوَةُ ٱلْإِيمَانِ ٱلْمُتَضَمِّنَةُ مِنَ ٱللَّذَّةِ بِهِ، وَالْفَرَحُ مَا يَجِدُهُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْوَاجِدُ مِنْ حَلَاوَةِ ٱلْإِيمَانِ تَتْبَعُ كَمَالَ مَحَبَّةِ ٱلْعَبْدِ لِلَّهِ؛ وَذَلِكَ بِثَلَاثَةِ أُمُورٍ:

تَكْمِيلِ هَذِهِ ٱلْمَحَبَّةِ، وَتَفْرِيعِهَا، وَدَفْعِ ضِدِّهَا.

---

(١) انظر: «درء تعارض العقل والنقل» (٦/٦٩ - ٧٥)، للمصنِّف؛ ففيه زيادة تفصيل.

فَتَكْمِيلُهَا:

أَنْ يَكُونَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا؛ فَإِنَّ مَحَبَّةَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِ لَا يُكْتَفَى فِيهَا بِأَصْلِ ٱلْحُبِّ، بَلْ لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا؛ كَمَا تَقَدَّمَ.

وَتَفْرِيعُهَا:

أَنْ يُحِبَّ ٱلْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ.

وَدَفْعُ ضِدِّهَا:

أَنْ يَكْرَهَ ضِدَّ ٱلْإِيمَانِ أَعْظَمَ مِنْ كَرَاهَتِهِ ٱلْإِلْقَاءَ فِي ٱلنَّارِ.

فَإِذَا كَانَتْ مَحَبَّةُ ٱلرَّسُولِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ مَحَبَّةِ ٱللَّهِ، وَكَانَ رَسُولُ ٱللَّهِ ﷺ يُحِبُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يُحِبُّهُمُ ٱللَّهُ؛ لِأَنَّهُ أَكْمَلُ ٱلنَّاسِ مَحَبَّةً لِلَّهِ، وَأَحَقُّهُمْ بِأَنْ يُحِبَّ مَا يُحِبُّ ٱللَّهُ، وَيَبْغَضَ مَا يَبْغَضُهُ ٱللَّهُ.

وَٱلْخُلَّةُ: لَيْسَ لِغَيْرِ ٱللَّهِ فِيهَا نَصِيبٌ، بَلْ قَالَ ﷺ: «**لَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا مِنْ أَهْلِ ٱلْأَرْضِ خَلِيلًا لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلًا**»[1]. عُلِمَ [مِنْهُ] مَزِيدُ مَرْتَبَةِ ٱلْخُلَّةِ عَلَى مُطْلَقِ ٱلْمَحَبَّةِ. وَٱلْمَقْصُودُ هُوَ: أَنَّ ٱلْخُلَّةَ وَٱلْمَحَبَّةَ لِلَّهِ تَحْقِيقُ عُبُودِيَّتِهِ.

وَإِنَّمَا يَغْلَطُ مَنْ فِي هَذِهِ مِنْ حَيْثُ يَتَوَهَّمُونَ أَنَّ ٱلْعُبُودِيَّةَ مُجَرَّدُ ذُلٍّ وَخُضُوعٍ فَقَطْ، لَا مَحَبَّةَ مَعَهُ، أَوْ أَنَّ ٱلْمَحَبَّةَ فِيهَا ٱنْبِسَاطٌ فِي ٱلْأَهْوَاءِ، أَوْ إِدْلَالٌ لَا تَحْتَمِلُهُ ٱلرُّبُوبِيَّةُ؛ وَلِهَذَا يُذْكَرُ عَنْ ذِي ٱلنُّونِ[2]: أَنَّهُمْ تَكَلَّمُوا

(١) تقدَّم تخريجُهُ.

(٢) هو ثوبان بن إبراهيم، مشهورٌ بالزُّهد، توفي سنة (٢٤٥ هـ)، ترجمته في «تاريخ بغداد» (٣٩٣/٨).

عِنْدَهُ فِي مَسْأَلَةِ ٱلْمَحَبَّةِ، فَقَالَ: أَمْسِكُوا عَنْ هَذِهِ ٱلْمَسْأَلَةِ، لَا تَسْمَعُهَا ٱلنُّفُوسُ فَتَدَّعِيهَا[١].

وَكَرِهَ مَنْ كَرِهَ مِنْ أَهْلِ ٱلْمَعْرِفَةِ وَالْعِلْمِ: مُجَالَسَةَ أَقْوَامٍ يُكْثِرُونَ ٱلْكَلَامَ فِي ٱلْمَحَبَّةِ بِلَا خَشْيَةٍ[٢].

وَقَالَ مَنْ قَالَ مِنَ ٱلسَّلَفِ: «مَنْ عَبَدَ ٱللَّهَ بِالْحُبِّ وَحْدَهُ فَهُوَ زِنْدِيقٌ، وَمَنْ عَبَدَهُ بِالرَّجَاءِ وَحْدَهُ فَهُوَ مُرْجِئٌ[٣]، وَمَنْ عَبَدَهُ بِالْخَوْفِ وَحْدَهُ فَهُوَ حَرُورِيٌّ[٤]، وَمَنْ عَبَدَهُ بِالْحُبِّ وَالْخَوْفِ وَالرَّجَاءِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ مُوَحِّدٌ»[٥].

وَلِهَذَا وُجِدَ فِي ٱلْمُسْتَأْخِرِينَ مَنِ ٱنْبَسَطَ فِي دَعْوَى ٱلْمَحَبَّةِ؛ حَتَّى أَخْرَجَهُ ذَلِكَ إِلَى نَوْعٍ مِنَ ٱلرُّعُونَةِ وَالدَّعْوَى ٱلَّتِي تُنَافِي ٱلْعُبُودِيَّةَ، وَتُدْخِلُ ٱلْعَبْدَ فِي نَوْعٍ مِنَ ٱلرُّبُوبِيَّةِ ٱلَّتِي لَا تَصْلُحُ إِلَّا لِلَّهِ، وَيَدَّعِي أَحَدُهُمْ دَعَاوَى تَتَجَاوَزُ حُدُودَ ٱلْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ، أَوْ يَطْلُبُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَصْلُحُ بِكُلِّ وَجْهٍ إِلَّا لِلَّهِ، وَلَا يَصْلُحُ لِلأَنْبِيَاءِ.

---

(١) انظر ترجمته: في «حلية الأولياء» (٩/٣٣١ ـ فيما بعد»، فقد ساق جملة وافرة من أقوالِه وأخبارِه.

(٢) وفي هذا الكلام تنبيهٌ على ما يقعُ فيه كثيرٌ من الشباب المسلم، اغترارًا ببعضِ أهل البدع لحُسن أَساليبهم، وطلاوة عباراتهم، ولين جانبهم؛ مِمَّا يُوقعهم في الافتتان بهم، والوقوع في شَرَكهم؛ فالحَذَرَ! الحَذَرَ!، وليكن المِقياس: العقيدة والمنهج.

(٣) المُرْجِئة: هم الذين يعتقدون أنَّه لا يضرُّ مع الإيمانِ ذنبٌ.

(٤) الحروريَّة: فرقةٌ من الخوارج ـ تُنْسَبُ إلى «حَرُوراء» ـ لها اعتقادات باطلة؛ منها تحكيم العقل على الشرع! والخروج على جماعة المسلمين.

(٥) انظر: «التخويف من النار» (ص: ١٥)، للحافظ ابن رجب.

وَهَذَا بَابٌ وَقَعَ فِيهِ كَثِيرٌ مِنَ ٱلشُّيُوخِ؛ وَسَبَبُهُ ضَعْفُ تَحْقِيقِ ٱلْعُبُودِيَّةِ ٱلَّتِي بَيَّنَهَا ٱلرُّسُلُ، وَحَرَّرَهَا ٱلْأَمْرُ وَالنَّهْيُ ٱلَّذِي جَاؤُوا بِهِ، بَلْ ضَعْفُ ٱلْعَقْلِ ٱلَّذِي بِهِ يَعْرِفُ ٱلْعَبْدُ حَقِيقَتَهُ.

وَإِذَا ضَعُفَ ٱلْعَقْلُ، وَقَلَّ ٱلْعِلْمُ بِالدِّينِ، وَفِي ٱلنَّفْسِ مَحَبَّةٌ طَائِشَةٌ جَاهِلَةٌ، ٱنْبَسَطَتِ ٱلنَّفْسُ بِحُمْقِهَا فِي ذَلِكَ؛ كَمَا يَنْبَسِطُ ٱلْإِنْسَانُ فِي مَحَبَّةِ ٱلْإِنْسَانِ مَعَ حُمْقِهِ وَجَهْلِهِ، وَيَقُولُ: [أَنَا مُحِبٌّ، فَلَا أُؤَاخَذُ بِمَا أَفْعَلُهُ مِنْ أَنْوَاعٍ يَكُونُ فِيهَا عُدْوَانٌ وَجَهْلٌ]!.

فَهَذَا عَيْنُ ٱلضَّلَالِ، وَهُوَ شَبِيهٌ بِقَوْلِ ٱلْيَهُودِ وَالنَّصَارَى: ﴿نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ﴾ [المائدة: ١٨].

قَالَ ٱللَّهُ ـ تَعَالَى ـ: ﴿قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُمۖ بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُۚ﴾ [المائدة: ١٨].

فَإِنَّ تَعْذِيبَهُ لَهُمْ بِذُنُوبِهِمْ يَقْتَضِي أَنَّهُمْ غَيْرُ مَحْبُوبِينَ وَلَا مَنْسُوبِينَ إِلَيْهِ بِنِسْبَةِ ٱلْبُنُوَّةِ، بَلْ يَقْتَضِي أَنَّهُمْ مَرْبُوبُونَ مَخْلُوقُونَ.

فَمَنْ كَانَ ٱللَّهُ يُحِبُّهُ ٱسْتَعْمَلَهُ فِيمَا يُحِبُّهُ مَحْبُوبُهُ، لَا يَفْعَلُ مَا يَبْغَضُهُ ٱلْحَقُّ وَيَسْخَطُهُ؛ مِنَ ٱلْكُفْرِ، وَالْفُسُوقِ، وَالْعِصْيَانِ.

وَمَنْ فَعَلَ ٱلْكَبَائِرَ، وَأَصَرَّ عَلَيْهَا، وَلَمْ يَتُبْ مِنْهَا، فَإِنَّ ٱللَّهَ يَبْغَضُ مِنْهُ ذَلِكَ؛ كَمَا يُحِبُّ مِنْهُ مَا يَفْعَلُهُ مِنَ ٱلْخَيْرِ؛ إِذْ حُبُّهُ لِلْعَبْدِ بِحَسَبِ إِيمَانِهِ وَتَقْوَاهُ.

وَمَنْ ظَنَّ أَنَّ ٱلذُّنُوبَ لَا تَضُرُّهُ؛ لِكَوْنِ ٱللَّهِ يُحِبُّهُ ـ مَعَ إِصْرَارِهِ عَلَيْهَا ـ

كَانَ بِمَنْزِلَةِ مَنْ زَعَمَ أَنَّ تَنَاوُلَ ٱلسُّمِّ لَا يَضُرُّهُ مَعَ مُدَاوَمَتِهِ عَلَيْهِ، وَعَدَمِ تَدَاوِيهِ مِنْهُ بِصِحَّةِ مِزَاجِهِ.

وَلَوْ تَدَبَّرَ ٱلْأَحْمَقُ مَا قَصَّ ٱللَّهُ فِي كِتَابِهِ مِنْ قَصَصِ أَنْبِيَائِهِ، وَمَا جَرَى لَهُمْ مِنَ ٱلتَّوْبَةِ وَالِاسْتِغْفَارِ، وَمَا أُصِيبُوا بِهِ مِنْ أَنْوَاعِ ٱلْبَلَاءِ ٱلَّذِي فِيهِ تَمْحِيصٌ لَهُمْ وَتَطْهِيرٌ، بِحَسَبِ أَحْوَالِهِمْ، عَلِمَ بَعْضَ ضَرَرِ ٱلذُّنُوبِ بِأَصْحَابِهَا، وَلَوْ كَانَ أَرْفَعَ ٱلنَّاسِ مَقَامًا؛ فَإِنَّ ٱلْمُحِبَّ لِلْمَخْلُوقِ إِذَا لَمْ يَكُنْ عَارِفًا بِمَصْلَحَتِهِ، وَلَا مُرِيدًا لَهَا، بَلْ يَعْمَلُ بِمُقْتَضَى ٱلْحُبِّ ـ وَإِنْ كَانَ جَهْلًا وَظُلْمًا ـ كَانَ ذَلِكَ][1] سَبَبًا لِبُغْضِ ٱلْمَحْبُوبِ لَهُ، وَنُفُورِهِ عَنْهُ، بَلْ سَبَبًا لِعُقُوبَتِهِ.

وَكَثِيرٌ مِنَ ٱلسَّالِكِينَ سَلَكُوا فِي دَعْوَى حُبِّ ٱللَّهِ أَنْوَاعًا مِنْ أُمُورِ ٱلْجَهْلِ بِالدِّينِ:

ـ إِمَّا مِنْ تَعَدِّي حُدُودِ ٱللَّهِ.

ـ وَإِمَّا مِنْ تَضْيِيعِ حُقُوقِ ٱللَّهِ.

ـ وَإِمَّا مِنِ ٱدِّعَاءِ ٱلدَّعَاوَى ٱلْبَاطِلَةِ ٱلَّتِي لَا حَقِيقَةَ لَهَا؛ كَقَوْلِ بَعْضِهِمْ: أَيُّ مُرِيدٍ لِي تَرَكَ فِي ٱلنَّارِ أَحَدًا فَأَنَا بَرِيءٌ مِنْهُ. فَقَالَ ٱلْآخَرُ: أَيُّ مُرِيدٍ لِي تَرَكَ أَحَدًا مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ يَدْخُلُ ٱلنَّارَ، فَأَنَا مِنْهُ بَرِيءٌ.

فَالْأَوَّلُ: جَعَلَ مُرِيدَهُ يُخْرِجُ كُلَّ مَنْ فِي ٱلنَّارِ.

وَالثَّانِي: جَعَلَ مُرِيدَهُ يَمْنَعُ أَهْلَ ٱلْكَبَائِرِ مِنْ دُخُولِ ٱلنَّارِ.

---

(١) ما بين المعكوفين ـ ابتداءً من الصفحة السابقة ـ كلُّه ساقطٌ من مطبوعةِ المكتب الإسلاميّ.

وَيَقُولُ بَعْضُهُمْ: إِذَا كَانَ يَوْمُ ٱلْقِيَامَةِ، نَصَبْتُ خَيْمَتِي عَلَى جَهَنَّمَ حَتَّى لَا يَدْخُلَهَا أَحَدٌ.

وَأَمْثَالُ ذَلِكَ مِنَ ٱلْأَقْوَالِ ٱلَّتِي تُؤْثَرُ عَنْ بَعْضِ ٱلْمَشَايِخِ ٱلْمَشْهُورِينَ؛ وَهِيَ إِمَّا كَذِبٌ عَلَيْهِمْ، وَإِمَّا غَلَطٌ مِنْهُمْ[1].

وَمِثْلُ هَذَا قَدْ يَصْدُرُ فِي حَالِ سُكْرٍ، وَغَلَبَةٍ وَفَنَاءٍ[2]، يَسْقُطُ فِيهَا تَمْيِيزُ ٱلْإِنْسَانِ، أَوْ يَضْعُفُ، حَتَّى لَا يَدْرِيَ مَا قَالَ.

وَالسُّكْرُ: هُوَ لَذَّةٌ مَعَ عَدَمِ تَمْيِيزٍ.

وَلِهَذَا كَانَ مِنْ هَؤُلَاءِ مَنْ إِذَا صَحَا ٱسْتَغْفَرَ مِنْ ذَلِكَ ٱلْكَلَامِ.

وَالَّذِينَ تَوَسَّعُوا مِنَ ٱلشُّيُوخِ فِي سَمَاعِ ٱلْقَصَائِدِ، ٱلْمُتَضَمِّنَةِ لِلْحُبِّ وَالشَّوْقِ، وَاللَّوْمِ، وَالْعَذْلِ، وَالْغَرَامِ، كَانَ هَذَا أَصْلُ مَقْصِدِهِمْ، فَإِنَّ هَذَا ٱلْجِنْسَ يُحَرِّكُ مَا فِي ٱلْقَلْبِ مِنَ ٱلْحُبِّ، كَائِنًا مَا كَانَ؛ وَلِهَذَا أَنْزَلَ ٱللَّهُ مِحْنَةً يَمْتَحِنُ بِهَا، فَقَالَ: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١]. فَلَا يَكُونُ مُحِبًّا لِلَّهِ، إِلَّا مَنْ يَتَّبِعُ رَسُولَهُ.

وَطَاعَةُ ٱلرَّسُولِ وَمُتَابَعَتُهُ لَا تَكُونُ إِلَّا بِتَحْقِيقِ ٱلْعُبُودِيَّةِ، وَكَثِيرٌ مِمَّنْ يَدَّعِي ٱلْمَحَبَّةَ يَخْرُجُ عَنْ شَرِيعَتِهِ، وَسُنَّتِهِ ﷺ، وَيَدَّعِي مِنَ ٱلْحَالَاتِ مَا لَا

---

(١) رَحِمَ اللَّهُ شيخ الإسلام ابنَ تيميَّة، ما أعدله! وما أشدَّ إنصافه!
ولو أنَّ خصومَه ومخالفيه ـ هداهم الله ـ فعلوا معه مثلَ ما فعله هو مَعَهُم لعَرَفُوا قَدْرَهُ، وأَعْطَوه حقَّه، ولكنْ...

(٢) وهذا كلُّه من تلبيس إبليس، ومصايد الشيطان الرجيم!

يَتَّسِعُ هَذَا ٱلْمَوْضِعُ لِذِكْرِهِ[١]، حَتَّى قَدْ يَظُنُّ أَحَدُهُمْ سُقُوطَ ٱلْأَمْرِ، وَتَحْلِيلَ ٱلْحَرَامِ لَهُ، وَغَيْرَ ذَلِكَ مِمَّا فِيهِ مُخَالَفَةُ شَرِيعَةِ ٱلرَّسُولِ ﷺ وَسُنَّتِهِ، وَطَاعَتِهِ.

بَلْ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ أَسَاسَ مَحَبَّتِهِ وَمَحَبَّةِ رَسُولِهِ ٱلْجِهَادَ فِي سَبِيلِهِ، وَالْجِهَادُ يَتَضَمَّنُ كَمَالَ مَحَبَّةِ مَا أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِ، وَكَمَالَ بُغْضِ مَا نَهَى ٱللَّهُ عَنْهُ؛ وَلِهَذَا قَالَ فِي صِفَةِ مَنْ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ: ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ﴾ [المائدة: ٥٤].

وَلِهَذَا كَانَتْ مَحَبَّةُ هَذِهِ ٱلْأُمَّةِ لِلَّهِ أَكْمَلَ مِنْ مَحَبَّةِ مَنْ قَبْلَهَا، وَعُبُودِيَّتُهُمْ لِلَّهِ أَكْمَلَ مِنْ عُبُودِيَّةِ مَنْ قَبْلَهُمْ.

وَأَكْمَلُ هَذِهِ ٱلْأُمَّةِ فِي ذَلِكَ: هُمْ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَمَنْ كَانَ بِهِمْ أَشْبَهَ كَانَ ذَلِكَ فِيهِ أَكْمَلَ[٢]، فَأَيْنَ هَذَا مِنْ قَوْمٍ يَدَّعُونَ ٱلْمَحَبَّةَ؟!

وَفِي كَلَامِ بَعْضِ ٱلشُّيُوخِ: (ٱلْمَحَبَّةُ نَارٌ تَحْرِقُ فِي ٱلْقَلْبِ مَا سِوَى مُرَادِ ٱلْمَحْبُوبِ).

وَأَرَادُوا أَنَّ ٱلْكَوْنَ كُلَّهُ قَدْ أَرَادَ ٱللَّهُ وُجُودَهُ، فَظَنُّوا أَنَّ كَمَالَ ٱلْمَحَبَّةِ أَنْ يُحِبَّ ٱلْعَبْدُ كُلَّ شَيْءٍ، حَتَّى ٱلْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ، وَلَا يُمْكِنُ أَحَدًا أَنْ يُحِبَّ كُلَّ مَوْجُودٍ، بَلْ يُحِبُّ مَا يُلَائِمُهُ وَيَنْفَعُهُ، وَيَبْغَضُ مَا يُنَافِيهِ وَيَضُرُّهُ، وَلَكِنِ ٱسْتَفَادُوا بِهَذَا ٱلضَّلَالِ ٱتِّبَاعَ أَهْوَائِهِمْ، ثُمَّ زَادَهُمُ ٱنْغِمَاسًا فِي أَهْوَائِهِمْ وَشَهَوَاتِهِمْ، فَهُمْ يُحِبُّونَ مَا يَهْوَوْنَهُ؛ كَالصُّوَرِ، وَالرِّئَاسَةِ،

---

(١) ككثيرٍ من دُعاة التصوُّف، وأدعياءِ الكرامة في كُلِّ العصور.

(٢) لذلك نحن ننتسبُ إليهم، ونقتدي بهم، ونهتدي بهديهم ﷺ، وألحقَنا بهم على خير.

وَفُضُولِ ٱلْمَالِ، وَالْبِدَعِ ٱلْمُضِلَّةِ، زَاعِمِينَ أَنَّ هَذَا مِنْ مَحَبَّةِ ٱللَّهِ.

وَمِنْ مَحَبَّةِ ٱللَّهِ: بُغْضُ مَا يَبْغَضُهُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُ، وَجِهَادُ أَهْلِهِ بِالنَّفْسِ وَالْمَالِ.

وَأَصْلُ ضَلَالِهِمْ: أَنَّ هَذَا ٱلْقَائِلَ ٱلَّذِي قَالَ: (إِنَّ ٱلْمَحَبَّةَ نَارٌ تَحْرِقُ مَا سِوَى مُرَادِ ٱلْمَحْبُوبِ)، قَصَدَ بِمُرَادِ ٱللَّهِ ـ تَعَالَى ـ: ٱلْإِرَادَةَ ٱلْكَوْنِيَّةَ فِي كُلِّ ٱلْمَوْجُودَاتِ.

أَمَّا لَوْ قَالَ مُؤْمِنٌ بِاللَّهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ هَذِهِ ٱلْمَقَالَةَ؛ فَإِنَّهُ يَقْصِدُ ٱلْإِرَادَةَ ٱلدِّينِيَّةَ ٱلشَّرْعِيَّةَ، ٱلَّتِي هِيَ بِمَعْنَى مَحَبَّتِهِ وَرِضَاهُ، فَكَأَنَّهُ قَالَ: تَحْرِقُ مِنَ ٱلْقَلْبِ مَا سِوَى ٱلْمَحْبُوبِ لِلَّهِ.

وَهَذَا مَعْنًى صَحِيحٌ؛ فَإِنَّ مِنْ تَمَامِ ٱلْحُبِّ لِلَّهِ أَنْ لَا تُحِبَّ إِلَّا مَا يُحِبُّهُ ٱللَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتَ مَا لَا يُحِبُّ؛ كَانَتِ ٱلْمَحَبَّةُ نَاقِصَةً.

وَأَمَّا قَضَاؤُهُ، وَقَدَرُهُ، فَهُوَ يَبْغَضُهُ، وَيَكْرَهُهُ، وَيَسْخَطُهُ، وَيَنْهَى عَنْهُ؛ فَإِنْ لَمْ أُوَافِقْهُ فِي بُغْضِهِ، وَكَرَاهَتِهِ، وَسُخْطِهِ، لَمْ أَكُنْ مُحِبًّا لَهُ، بَلْ مُحِبًّا لِمَا يَبْغَضُهُ.

فَاتِّبَاعُ هَذِهِ ٱلشَّرِيعَةِ، وَالْقِيَامُ بِالْجِهَادِ بِهَا، مِنْ أَعْظَمِ ٱلْفُرُوقِ بَيْنَ أَهْلِ مَحَبَّةِ ٱللَّهِ، وَأَوْلِيَائِهِ ٱلَّذِينَ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ، وَبَيْنَ مَنْ يَدَّعِي مَحَبَّةَ ٱللَّهِ نَاظِرًا إِلَى عُمُومِ رُبُوبِيَّتِهِ، أَوْ مُتَّبِعًا لِبَعْضِ ٱلْبِدَعِ ٱلْمُخَالِفَةِ لِشَرِيعَتِهِ.

فَإِنَّ دَعْوَى هَذِهِ ٱلْمَحَبَّةِ لِلَّهِ مِنْ جِنْسِ دَعْوَى ٱلْيَهُودِ وَالنَّصَارَى ٱلْمَحَبَّةَ لِلَّهِ، بَلْ قَدْ تَكُونُ دَعْوَى هَؤُلَاءِ شَرًّا مِنْ دَعْوَى ٱلْيَهُودِ وَالنَّصَارَى؛ لِمَا فِيهِمْ مِنَ

ٱلنِّفَاقِ، ٱلَّذِينَ هُمْ بِهِ فِي ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ، كَمَا قَدْ تَكُونُ دَعْوَى ٱلْيَهُودِ وَالنَّصَارَى شَرًّا مِنْ دَعْوَاهُمْ؛ إِذَا لَمْ يَصِلُوا إِلَى مِثْلِ كُفْرِهِمْ.

وَفِي ٱلتَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ مِنَ ٱلتَّرْغِيبِ فِي مَحَبَّةِ ٱللَّهِ مَا هُمْ مُتَّفِقُونَ عَلَيْهِ، حَتَّى إِنَّ ذَلِكَ عِنْدَهُمْ أَعْظَمُ وَصَايَا ٱلنَّامُوسِ.

فَفِي ٱلْإِنْجِيلِ أَنَّ ٱلْمَسِيحَ قَالَ: «أَعْظَمُ وَصَايَا ٱلْمَسِيحِ أَنْ تُحِبَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ قَلْبِكَ وَعَقْلِكَ وَنَفْسِكَ».

وَالنَّصَارَى يَدَّعُونَ قِيَامَهُمْ بِهَذِهِ ٱلْمَحَبَّةِ، وَأَنَّ مَا هُمْ فِيهِ مِنَ ٱلزُّهْدِ وَالْعِبَادَةِ هُوَ مِنْ ذَلِكَ، وَهُمْ بَرَاءٌ مِنْ مَحَبَّةِ ٱللَّهِ؛ إِذْ لَمْ يَتَّبِعُوا مَا أَحَبَّهُ، بَلْ: ﴿ٱتَّبَعُوا۟ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُوا۟ رِضْوَٰنَهُۥ فَأَحْبَطَ أَعْمَـٰلَهُمْ﴾ [محمد: ٢٨].

وَاللَّهُ يَبْغَضُ ٱلْكَافِرِينَ، وَيَمْقُتُهُمْ، وَيَلْعَنُهُمْ، وَهُوَ - سُبْحَانَهُ - يُحِبُّ مَنْ يُحِبُّهُ، لَا يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ ٱلْعَبْدُ مُحِبًّا لِلَّهِ، وَاللَّهُ - تَعَالَى - غَيْرُ مُحِبٍّ لَهُ، بَلْ بِقَدْرِ مَحَبَّةِ ٱلْعَبْدِ لِرَبِّهِ يَكُونُ حُبُّ ٱللَّهِ لَهُ، وَإِنْ كَانَ جَزَاءُ ٱللَّهِ لِعَبْدِهِ أَعْظَمَ؛ كَمَا فِي ٱلْحَدِيثِ ٱلصَّحِيحِ[1] ٱلْإِلَـٰهِيِّ، عَنِ ٱللَّهِ - تَعَالَى - **أَنَّهُ قَالَ: «مَنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ شِبْرًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا، وَمَنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بَاعًا، وَمَنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً»**.

وَقَدْ أَخْبَرَ ٱللَّهُ - سُبْحَانَهُ - أَنَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ، وَالْمُحْسِنِينَ، وَالصَّابِرِينَ،

(١) رواه البخاري (٣٢٥/١٣) ، ومسلم (٢٦٧٥)، عن أبي هريرة، ورواه البخاري (٤٢٧/١٣)، عن أنس، ورواه مسلم (٢٦٨٧)، عن أبي ذرٍّ.

وَيُحِبُّ ٱلتَّوَّابِينَ، وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ[١]، بَلْ هُوَ يُحِبُّ مَنْ فَعَلَ مَا أَمَرَ بِهِ مِنْ وَاجِبٍ وَمُسْتَحَبٍّ؛ كَمَا فِي ٱلْحَدِيثِ [ٱلْإِلَٰهِيِّ] ٱلصَّحِيحِ[٢]:

«لَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ ٱلَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ ٱلَّذِي يُبْصِرُ بِهِ...». ٱلْحَدِيثَ.

وَكَثِيرٌ مِنَ ٱلْمُخْطِئِينَ ٱلَّذِينَ ٱبْتَدَعُوا أَشْيَاءَ فِي ٱلزُّهْدِ وَالْعِبَادَةِ، وَقَعُوا فِي بَعْضِ مَا وَقَعَ فِيهِ ٱلنَّصَارَى؛ مِنْ دَعْوَى ٱلْمَحَبَّةِ لِلَّهِ مَعَ مُخَالَفَتِهِ شَرِيعَتَهُ، وَتَرْكِ ٱلْمُجَاهَدَةِ فِي سَبِيلِهِ، وَنَحْوِ ذَٰلِكَ، وَيَتَمَسَّكُونَ فِي ٱلدِّينِ ٱلَّذِي يَتَقَرَّبُونَ بِهِ إِلَى ٱللَّهِ بِنَحْوِ مَا تَمَسَّكَ بِهِ ٱلنَّصَارَى مِنَ ٱلْكَلَامِ ٱلْمُتَشَابِهِ، وَالْحِكَايَاتِ ٱلَّتِي لَا يُعْرَفُ صِدْقُ قَائِلِهَا، وَلَوْ صَدَقَ لَمْ يَكُنْ قَائِلُهَا مَعْصُومًا[٣]، فَيَجْعَلُونَ مَتْبُوعِيهِمْ شَارِعِينَ لَهُمْ دِينًا؛ كَمَا جَعَلَ ٱلنَّصَارَى قِسِّيسِيهِمْ وَرُهْبَانَهُمْ شَارِعِينَ لَهُمْ دِينًا.

ثُمَّ إِنَّهُمْ يَنْتَقِصُونَ ٱلْعُبُودِيَّةَ، وَيَدَّعُونَ أَنَّ ٱلْخَاصَّةَ يَتَعَدَّوْنَهَا؛ كَمَا يَدَّعِي ٱلنَّصَارَى فِي ٱلْمَسِيحِ وَالْقَسَاوِسَةِ، وَيُثْبِتُونَ لِخَاصَّتِهِمْ مِنَ ٱلْمُشَارَكَةِ فِي ٱللَّهِ مِنْ جِنْسِ مَا تُثْبِتُهُ ٱلنَّصَارَى فِي ٱلْمَسِيحِ وَأُمِّهِ... إِلَى أَنْوَاعٍ أُخَرَ، يَطُولُ

---

(١) تقدَّم نَحْوٌ مِن ذلك (ص: ٨٩، ٩٠).

(٢) حديثٌ صحيحٌ، له طرقٌ عدةٌ، لا تخلو مُفرداتُهُ مِن ضَعْفٍ.
وقد فَصَّلَ القولَ في هذا الحديثِ تفصيلًا رائعًا شيخُنَا الألباني في «السلسلة الصحيحة» (٤/١٨٣ - ١٩٣)، فلْيُراجَع.

(٣) كَمِثْلِ ما تفعلُه اليومَ بعضُ الجماعاتِ الإسلامية والدَّعويَّة - وللأَسفِ - مع قادتِها وأمرائِها!

شَرْحُهَا فِي هَذَا ٱلْمَوْضِعِ.

وَإِنَّمَا ٱلدِّينُ ٱلْحَقُّ هُوَ: تَحْقِيقُ ٱلْعُبُودِيَّةِ لِلَّهِ بِكُلِّ وَجْهٍ، وَهُوَ تَحْقِيقُ مَحَبَّةِ ٱللَّهِ بِكُلِّ دَرَجَةٍ، وَبِقَدْرِ تَكْمِيلِ ٱلْعُبُودِيَّةِ تَكْمُلُ مَحَبَّةُ ٱلْعَبْدِ لِرَبِّهِ، وَتَكْمُلُ مَحَبَّةُ ٱلرَّبِّ لِعَبْدِهِ، وَبِقَدْرِ نَقْصِ هَذَا يَكُونُ نَقْصُ هَذَا، وَكُلَّمَا كَانَ فِي ٱلْقَلْبِ حُبٌّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ، كَانَتْ فِيهِ عُبُودِيَّةٌ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِحَسَبِ ذَلِكَ، وَكُلَّمَا كَانَ فِيهِ عُبُودِيَّةٌ لِغَيْرِ ٱللَّهِ، كَانَ فِيهِ حُبٌّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِحَسَبِ ذَلِكَ.

وَكُلُّ مَحَبَّةٍ لَا تَكُونُ لِلَّهِ فَهِيَ بَاطِلَةٌ، وَكُلُّ عَمَلٍ لَا يُرَادُ بِهِ وَجْهُ ٱللَّهِ فَهُوَ بَاطِلٌ، فَالدُّنْيَا مَلْعُونَةٌ، مَلْعُونٌ مَا فِيهَا إِلَّا مَا كَانَ لِلَّهِ[1]، وَلَا يَكُونُ لِلَّهِ إِلَّا مَا أَحَبَّهُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُ، وَهُوَ ٱلْمَشْرُوعُ.

فَكُلُّ عَمَلٍ أُرِيدَ بِهِ غَيْرُ ٱللَّهِ لَمْ يَكُنْ لِلَّهِ، وَكُلُّ عَمَلٍ لَا يُوَافِقُ شَرْعَ ٱللَّهِ لَمْ يَكُنْ لِلَّهِ، بَلْ لَا يَكُونُ لِلَّهِ إِلَّا مَا جَمَعَ ٱلْوَصْفَيْنِ:

أَنْ يَكُونَ لِلَّهِ.

وَأَنْ يَكُونَ مُوَافِقًا لِمَحَبَّةِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِ.

---

(١) وقد صحَّ هذا المعنى مرفوعًا عن النبيِّ ﷺ:

رواه الترمذي (٢٣٢٣)، وابن ماجه (٤١١٢)، وابن الجوزي في «العلل المتناهية» (١٣٣٠)، والبغوي (٤٠٢٨)، والعقيلي في «الضعفاء»، عن أبي هريرة.

وسندُه حَسَنٌ، ابن ضمرة روى عنه جماعةٌ، ووثَّقه العجلي وابن حِبَّان.

ونَقَل الدكتور بشَّار عوَّاد في تعليقِهِ على «تهذيبِ الكمال» (١٥/١٣٠)، عن ابنِ حَجَرٍ قوله عنه في «التقريب»: «ثِقَةٌ»!

ولا أصل لذلك، إنما قال: «وثَّقه العجلي، وفرَّق بينهما كما لا يخفى».

وانظر كتابنا: «الرد العلمي» (٢/١٥٦ - ١٥٩)؛ ففيه زيادةُ بيانٍ.

وَهُوَ ٱلْوَاجِبُ وَٱلْمُسْتَحَبُّ؛ كَمَا قَالَ ـ تَعَالَى ـ :

﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف: ١١٠].

فَلَا بُدَّ مِنَ ٱلْعَمَلِ ٱلصَّالِحِ، وَهُوَ ٱلْوَاجِبُ وَٱلْمُسْتَحَبُّ، وَلَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ خَالِصًا لِوَجْهِ ٱللَّهِ ـ تَعَالَى ـ؛ كَمَا قَالَ ـ تَعَالَى ـ:

﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١١٢﴾﴾ [البقرة: ١١٢].

وَقَالَ ٱلنَّبِيُّ ﷺ: «**مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ**»[١].

وَقَالَ ٱلنَّبِيُّ ﷺ: «**إِنَّمَا ٱلْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مَا نَوَى؛ فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِ، فَهِجْرَتُهُ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ لِدُنْيَا يُصِيبُهَا، أَوِ ٱمْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا؛ فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ**»[٢].

وَهَذَا ٱلْأَصْلُ هُوَ أَصْلُ ٱلدِّينِ، وَبِحَسَبِ تَحْقِيقِهِ يَكُونُ تَحْقِيقُ ٱلدِّينِ، وَبِهِ أَرْسَلَ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ، وَأَنْزَلَ ٱلْكُتُبَ، وَإِلَيْهِ دَعَا ٱلرَّسُولُ ﷺ، وَعَلَيْهِ جَاهَدَ، وَبِهِ أَمَرَ، وَفِيهِ رَغَّبَ، وَهُوَ قُطْبُ ٱلدِّينِ ٱلَّذِي تَدُورُ عَلَيْهِ رَحَاهُ.

---

(١) رواه البخاري (٢٦٩٧)، ومسلم (١٧١٨)، وأبو داود (٤٦٠٦)، وابن ماجه (١٤)، وأحمد (٦/١٤٦، ١٨٠، ٢٤٠، ٢٥٦، ٢٧٠)، والقُضاعي في «مسند الشهاب» (٣٥٩، ٣٦٠)، وغيرهم.
وانظر: «جزء اتباع السنن» (ص: ٣٣ ـ ٣٤)؛ للضِّياء المقدسي، وتعليقي عليه.

(٢) أخرجه البخاري (١، ٥٤، ٢٥٢٩)، ومسلم (١٩٠٧)، عن عُمر ﷺ.
وانظر كتاب: «الحِطَّة في ذكر الصحاح الستة» (ص: ١٤١، ٢٨٩، ٣٠٩)؛ لصدِّيق حسن خان، وتعليقي عليه؛ ففيه ذِكْرُ عدَّة فوائد متعلِّقة في هذا الحديث.

وَالشِّرْكُ غَالِبٌ عَلَى ٱلنُّفُوسِ؛ وَهُوَ كَمَا جَاءَ فِي ٱلْحَدِيثِ: «... **هُوَ فِي هَذِهِ ٱلْأُمَّةِ أَخْفَى مِنْ دَبِيبِ ٱلنَّمْلِ**»[1].

وَفِي حَدِيثٍ آخَرَ: قَالَ أَبُو بَكْرٍ: يَا رَسُولَ ٱللَّهِ! كَيْفَ نَنْجُو مِنْهُ، وَهُوَ أَخْفَى مِنْ دَبِيبِ ٱلنَّمْلِ؟! فَقَالَ ٱلنَّبِيُّ ﷺ لِأَبِي بَكْرٍ: «**أَلَا أُعَلِّمُكَ كَلِمَةً إِذَا قُلْتَهَا نَجَوْتَ مِنْ دِقِّهِ وجِلِّهِ؟! قُلِ: ٱللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أُشْرِكَ بِكَ وَأَنَا أَعْلَمُ، وَأَسْتَغْفِرُكَ لِمَا لَا أَعْلَمُ**»[2].

وَكَانَ عُمَرُ يَقُولُ فِي دُعَائِهِ: «اللَّهُمَّ ٱجْعَلْ عَمَلِي كُلَّهُ صَالِحًا، وَاجْعَلْهُ لِوَجْهِكَ خَالِصًا، وَلَا تَجْعَلْ لِأَحَدٍ فِيهِ شَيْئًا».

وَكَثِيرًا مَا يُخَالِطُ ٱلنُّفُوسَ مِنَ ٱلشَّهَوَاتِ ٱلْخَفِيَّةِ مَا يُفْسِدُ عَلَيْهَا تَحْقِيقَ مَحَبَّتِهَا لِلَّهِ، وَعُبُودِيَّتِهَا لَهُ، وَإِخْلَاصِ دِينِهَا لَهُ، كَمَا قَالَ شَدَّادُ بْنُ أَوْسٍ: «يَا نَعَايَا[3] ٱلْعَرَبِ! يَا نَعَايَا ٱلْعَرَبِ! إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمُ ٱلرِّيَاءُ، وَالشَّهْوَةُ ٱلْخَفِيَّةُ»[4].

---

(١) تقدم تخريجه (ص: ٥٩).

(٢) تقدم تخريجه، تحت تخريج السابق.

(٣) تصحّف في عدّة نسخ إلى: «يا بقايا...».

(٤) وقد صحّ هذا مرفوعًا:

رواه البيهقي في «الزهد» (ص: ٣١٩)، وبَحْشَلٌ في «تاريخ واسط» (ص: ٢٢٠)، وابن عدي في «الكامل» (١٥٢٩/٤)، وأبو نُعيم في «الحلية» (١٢٢/٧)، وفي أخبار أصبهان» (٦٦/٢)، من طريق عبداللّهِ بن بُديل، عن الزُّهري، عن عَبّاد بن تميم، عن عمِّه، مرفوعًا، وفي ابن بُديل كلامٌ يسيرٌ.

لكنَّه توبع: =

وَقِيلَ لِأَبِي دَاوُدَ ٱلسِّجِسْتَانِيِّ[١]: وَمَا ٱلشَّهْوَةُ ٱلْخَفِيَّةُ؟ قَالَ: حُبُّ ٱلرِّئَاسَةِ.

وَعَنْ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ، عَنِ ٱلنَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «**مَا ذِئْبَانِ جَائِعَانِ أُرْسِلَا فِي زَرِيبَةِ غَنَمٍ بِأَفْسَدَ لَهَا مِنْ حِرْصِ ٱلْمَرْءِ عَلَى ٱلْمَالِ وَالشَّرَفِ لِدِينِهِ**»[٢].

قَالَ ٱلتِّرْمِذِيُّ: حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ[٣].

فَبَيَّنَ ﷺ أَنَّ ٱلْحِرْصَ عَلَى ٱلْمَالِ وَالشَّرَفِ فِي إِفْسَادِ ٱلدِّينِ، لَا يَنْقُصُ عَنْ إِفْسَادِ ٱلذِّئْبَيْنِ ٱلْجَائِعِينَ لِزَرِيبَةِ ٱلْغَنَمِ.

وَذَلِكَ بَيِّنٌ؛ فَإِنَّ ٱلدِّينَ ٱلسَّلِيمَ لَا يَكُونُ فِيهِ هَذَا ٱلْحِرْصُ؛ وَذَلِكَ أَنَّ

= فأخرجه الشَّجَري في «الأمالي» (٢/٢٢٠)، من طريق عُبيدِاللّهِ بن عُمر، عن الزُّهري، به. فالسندُ صحيحٌ إن شاء اللّه.

وقوله: «يا نعايا»! ذكر الزَّمَخْشَرِيُّ في «الفائق» (٣/١٠٩) له ثلاثةَ أوجهٍ، ثم قال: «والمعنى: يا نعايا العَرَب! جئن، فهذا وقتكُنَّ وزمانُكُنَّ، يُريد أن العرب قد هَلَكَت».

وانظر: «غريب الحديث» (٤/١٦٩، ١٧٠)، للهروي.

وقد تصحَّفت في «تاريخ واسط» إلى: «بغايا»! وهو تحريفٌ شنيعٌ!

(١) وهو الإمام الحافظُ سُليمان بن الأشعث، صاحب «السُّنن»، توفي سنة (٢٧٥ هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ترجمَتُهُ في «السِّيَر» (١٣/٢٠٣).

(٢) رواه أحمد (٣/٤٥٦، ٤٦٠)، وابن حِبَّان في «صحيحه» (٢٤٧٢)، وابن المبارك في «الزهد» (١٨١ ـ زيادات نُعيم)، والدارمي (٢٧٣٣)، والطبراني في «الكبير» (١٩/٨٨/١٨٩).

(٣) وهو كما قال.

ٱلْقَلْبَ إِذَا ذَاقَ حَلَاوَةَ عُبُودِيَّتِهِ لِلَّهِ، وَمَحَبَّتِهِ لَهُ، لَمْ يَكُنْ شَيْءٌ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ ذَلِكَ حَتَّى يُقَدِّمَهُ عَلَيْهِ، وَبِذَلِكَ يَصْرِفُ - عَنْ أَهْلِ ٱلْإِخْلَاصِ لِلَّهِ - ٱلسُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ؛ كَمَا قَالَ - تَعَالَى -: ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ [يوسف: ٢٤].

فَإِنَّ ٱلْمُخْلَصَ لِلَّهِ ذَاقَ مِنْ حَلَاوَةِ عُبُودِيَّتِهِ لِلَّهِ مَا يَمْنَعُهُ مِنْ عُبُودِيَّتِهِ لِغَيْرِهِ، وَمِنْ حَلَاوَةِ مَحَبَّتِهِ لِلَّهِ مَا يَمْنَعُهُ مِنْ مَحَبَّةِ غَيْرِهِ؛ إِذْ لَيْسَ عِنْدَ ٱلْقَلْبِ ٱلسَّلِيمِ أَحْلَى، وَلَا أَلَذُّ، وَلَا أَطْيَبُ، وَلَا أَلْيَنُ، وَلَا أَنْعَمُ، مِنْ: حَلَاوَةِ ٱلْإِيمَانِ، ٱلْمُتَضَمِّنِ عُبُودِيَّتَهُ لِلَّهِ، وَمَحَبَّتَهُ لَهُ، وَإِخْلَاصَهُ ٱلدِّينَ لَهُ.

وَذَلِكَ يَقْتَضِي ٱنْجِذَابَ ٱلْقَلْبِ إِلَى ٱللَّهِ، فَيَصِيرُ ٱلْقَلْبُ مُنِيبًا إِلَى ٱللَّهِ، خَائِفًا مِنْهُ، رَاغِبًا رَاهِبًا؛ كَمَا قَالَ - تَعَالَى -: ﴿مَّنْ خَشِيَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ﴿٣٣﴾﴾ [ق: ٣٣].

إِذِ ٱلْمُحِبُّ يَخَافُ مِنْ زَوَالِ مَطْلُوبِهِ، أَوْ عَدَمِ حُصُولِ مَرْغُوبِهِ، فَلَا يَكُونُ عَبْدُ ٱللَّهِ وَمُحِبُّهُ إِلَّا بَيْنَ خَوْفٍ وَرَجَاءٍ؛ كَمَا قَالَ - تَعَالَى -: ﴿أُولَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴿٥٧﴾﴾ [الإسراء: ٥٧].

وَإِذَا كَانَ ٱلْعَبْدُ مُخْلِصًا لِلَّهِ ٱجْتَبَاهُ رَبُّهُ، فَأَحْيَا قَلْبَهُ، وَاجْتَذَبَهُ إِلَيْهِ، فَيَنْصَرِفُ عَنْهُ مَا يُضَادُّ ذَلِكَ مِنَ ٱلسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ، وَيَخَافُ مِنْ حُصُولِ ضِدِّ ذَلِكَ، بِخِلَافِ ٱلْقَلْبِ ٱلَّذِي لَمْ يُخْلِصْ لِلَّهِ، فَإِنَّ فِيهِ طَلَبًا وَإِرَادَةً وَحُبًّا مُطْلَقًا، فَيَهْوَى مَا يَسْنَحُ لَهُ، وَيَتَشَبَّثُ بِمَا يَهْوَاهُ، كَالْغُصْنِ؛ أَيُّ نَسِيمٍ مَرَّ بِهِ عَطَفَهُ وَأَمَالَهُ، فَتَارَةً تَجْتَذِبُهُ ٱلصُّوَرُ ٱلْمُحَرَّمَةُ، وَغَيْرُ ٱلْمُحَرَّمَةِ،

فَيَبْقَى أَسِيرًا عَبْدًا لِمَنْ لَوِ ٱتَّخَذَهُ هُوَ عَبْدًا لَهُ لَكَانَ ذَلِكَ عَيْبًا وَنَقْصًا وَذَمًّا.

وَتَارَةً يَجْتَذِبُهُ ٱلشَّرَفُ وَالرِّئَاسَةُ، فَتُرْضِيهِ ٱلْكَلِمَةُ، وَتُغْضِبُهُ ٱلْكَلِمَةُ، وَيَسْتَعْبِدُهُ مَنْ يُثْنِي عَلَيْهِ، وَلَوْ بِالْبَاطِلِ، وَيُعَادِي مَنْ يَذُمُّهُ، وَلَوْ بِالْحَقِّ.

وَتَارَةً يَسْتَعْبِدُهُ ٱلدِّرْهَمُ وَالدِّينَارُ، وَأَمْثَالُ ذَلِكَ مِنَ ٱلْأُمُورِ ٱلَّتِي تَسْتَعْبِدُ ٱلْقُلُوبَ، وَالْقُلُوبُ تَهْوَاهَا، فَيَتَّخِذُ إِلَهَهُ هَوَاهُ، وَيَتَّبِعُ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ ٱللَّهِ.

وَمَنْ لَمْ يَكُنْ خَالِصًا لِلَّهِ، عَبْدًا لَهُ، قَدْ صَارَ قَلْبُهُ مُعَبَّدًا لِرَبِّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ؛ بِحَيْثُ يَكُونُ ٱللَّهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ كُلِّ مَا سِوَاهُ، وَيَكُونُ ذَلِيلًا لَهُ خَاضِعًا، وَإِلَّا ٱسْتَعْبَدَتْهُ ٱلْكَائِنَاتُ، وَاسْتَوْلَتْ عَلَى قَلْبِهِ ٱلشَّيَاطِينُ، وَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ، إِخْوَانِ ٱلشَّيَاطِينِ، وَصَارَ فِيهِ مِنَ ٱلسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ مَا لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا ٱللَّهُ.

وَهَذَا أَمْرٌ ضَرُورِيٌّ لَا حِيلَةَ فِيهِ.

فَالْقَلْبُ إِنْ لَمْ يَكُنْ حَنِيفًا مُقْبِلًا عَلَى ٱللَّهِ، مُعْرِضًا عَمَّا سِوَاهُ، كَانَ مُشْرِكًا، قَالَ ـ تَعَالَى ـ: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ۞ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَٱتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا ۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [الروم: ٣٠ ـ ٣٢].

وَقَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ إِبْرَاهِيمَ، وَآلَ إِبْرَاهِيمَ، أَئِمَّةً لِهَؤُلَاءِ ٱلْحُنَفَاءِ ٱلْمُخْلَصِينَ، أَهْلِ مَحَبَّةِ ٱللَّهِ، وَعِبَادَتِهِ، وَإِخْلَاصِ ٱلدِّينِ لَهُ؛ كَمَا جَعَلَ فِرْعَوْنَ وَآلَ فِرْعَوْنَ أَئِمَّةَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱلْمُتَّبِعِينَ أَهْوَاءَهُمْ.

قَالَ - تَعَالَى - فِي إِبْرَاهِيمَ: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا صَٰلِحِينَ ﴿٧٢﴾ وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا عَٰبِدِينَ ﴿٧٣﴾﴾، [الأنبياء: ٧١ - ٧٢].

وَقَالَ فِي فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ: ﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ وَأَتْبَعْنَٰهُمْ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ هُم مِّنَ ٱلْمَقْبُوحِينَ ﴿٤٢﴾﴾ [القصص: ٤١ - ٤٢].

وَلِهَذَا يَصِيرُ أَتْبَاعُ فِرْعَوْنَ أَوَّلًا إِلَى أَنْ لَا يُمَيِّزُوا بَيْنَ مَا يُحِبُّهُ ٱللَّهُ وَيَرْضَاهُ، وَبَيْنَ مَا قَدَّرَ ٱللَّهُ وَقَضَاهُ، بَلْ يَنْظُرُونَ إِلَى ٱلْمَشِيئَةِ ٱلْمُطْلَقَةِ ٱلشَّامِلَةِ، ثُمَّ فِي آخِرِ ٱلْأَمْرِ لَا يُمَيِّزُونَ بَيْنَ ٱلْخَالِقِ وَٱلْمَخْلُوقِ، بَلْ يَجْعَلُونَ وُجُودَ هَذَا وُجُودَ هَذَا!!

وَيَقُولُ مُحَقِّقُوهُمْ[1]: ٱلشَّرِيعَةُ فِيهَا طَاعَةٌ وَمَعْصِيَةٌ، وَٱلْحَقِيقَةُ فِيهَا مَعْصِيَةٌ بِلَا طَاعَةٍ، وَالتَّحْقِيقُ لَيْسَ فِيهِ طَاعَةٌ، وَلَا مَعْصِيَةٌ!!

وَهَذَا تَحْقِيقٌ مَذْهَبِ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ ٱلَّذِينَ أَنْكَرُوا تَكْلِيمَهُ لِعَبْدِهِ مُوسَى، وَمَا أَرْسَلَهُ بِهِ مِنَ ٱلْأَمْرِ وَالنَّهْيِ.

---

(١) هم مُحَقِّقُو انحرافاتِهم وضلالاتِهم.

والیومَ رَأَيْنا من انْتَكَسَ على أُمِّ رأسِهِ، لاهِثًا وراءَ خُزَعْبَلاتِ المتصوِّفةِ، وتُرُّهاتِ أهلِ «الكَشْفِ»، وضلالاتِ علم «الحقيقةِ»، وقد كان قَبْلُ على الجادَّةِ، وما ذاكَ إلَّا بِسَبَبِ صُحْبَةِ أهل البِدَعِ والخُرافِيِّين!

نعوذُ باللَّهِ مِنَ الحَوْرِ بعدَ الكَوْرِ.

٣ ـ فَصْلٌ

فِي ٱلْفَرْقِ بَيْنَ ٱلْخَالِقِ وَالْمَخْلُوقِ

وَأَمَّا إِبْرَاهِيمُ، وَآلُ إِبْرَاهِيمَ ٱلْحُنَفَاءُ؛ مِنَ ٱلْأَنْبِيَاءِ وَالْمُؤْمِنِينَ بِهِمْ، فَهُمْ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ لَا بُدَّ مِنَ ٱلْفَرْقِ بَيْنَ ٱلْخَالِقِ وَالْمَخْلُوقِ، وَلَا بُدَّ مِنَ ٱلْفَرْقِ بَيْنَ ٱلطَّاعَةِ وَالْمَعْصِيَةِ، وَأَنَّ ٱلْعَبْدَ كُلَّمَا ٱزْدَادَ تَحْقِيقًا لِهَذَا ٱلْفَرْقِ، ٱزْدَادَتْ مَحَبَّتُهُ لِلَّهِ، وَعُبُودِيَّتُهُ لَهُ، وَطَاعَتُهُ لَهُ، وَإِعْرَاضُهُ عَنْ عِبَادَةِ غَيْرِهِ، وَمَحَبَّةِ غَيْرِهِ، وَطَاعَةِ غَيْرِهِ.

وَهَؤُلَاءِ ٱلْمُشْرِكُونَ ٱلضَّالُّونَ يُسَوُّونَ بَيْنَ ٱللَّهِ وَبَيْنَ خَلْقِهِ، وَالْخَلِيلُ يَقُولُ[1]: ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّيٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٧﴾﴾.

وَيَتَمَسَّكُونَ بِالْمُتَشَابِهِ مِنْ كَلَامِ ٱلْمَشَايِخِ؛ كَمَا فَعَلَتِ ٱلنَّصَارَى.

مِثَالُ ذَلِكَ: ٱسْمُ «الْفَنَاءِ»؛ فَإِنَّ ٱلْفَنَاءَ ثَلَاثَةُ أَنْوَاعٍ:

- نَوْعٌ **لِلْكَامِلِينَ** مِنَ ٱلْأَنْبِيَاءِ وَالْأَوْلِيَاءِ.
- وَنَوْعٌ **لِلْقَاصِدِينَ** مِنَ ٱلْأَوْلِيَاءِ وَالصَّالِحِينَ.
- وَنَوْعٌ **لِلْمُنَافِقِينَ** ٱلْمُلْحِدِينَ ٱلْمُشَبِّهِينَ.

---

(١) كما في سورة الشُّعَراء: (آية ٧٥ ـ ٧٧) حكايةً عنه.

فَأَمَّا ٱلْأَوَّلُ: فَهُوَ ٱلْفَنَاءُ عَنْ إِرَادَةِ مَا سِوَى ٱللَّهِ:

بِحَيْثُ لَا يُحِبُّ إِلَّا ٱللَّهَ، وَلَا يَعْبُدُ إِلَّا إِيَّاهُ، وَلَا يَتَوَكَّلُ إِلَّا عَلَيْهِ، وَلَا يَطْلُبُ مِنْ غَيْرِهِ؛ وَهُوَ ٱلْمَعْنَى ٱلَّذِي يَجِبُ أَنْ يُقْصَدَ بِقَوْلِ ٱلشَّيْخِ أَبِي يَزِيدَ[1]؛ حَيْثُ قَالَ: «أُرِيدُ أَنْ لَا أُرِيدَ إِلَّا مَا يُرِيدُ». أَيْ: ٱلْمُرَادُ ٱلْمَحْبُوبُ ٱلْمَرْضِيُّ، وَهُوَ ٱلْمُرَادُ بِالْإِرَادَةِ ٱلدِّينِيَّةِ.

وَكَمَالُ ٱلْعَبْدِ أَنْ لَا يُرِيدَ وَلَا يُحِبَّ وَلَا يَرْضَى إِلَّا مَا أَرَادَهُ ٱللَّهُ، وَرَضِيَهُ وَأَحَبَّهُ، وَهُوَ مَا أَمَرَ بِهِ أَمْرَ إِيجَابٍ أَوِ ٱسْتِحْبَابٍ، وَلَا يُحِبُّ إِلَّا مَا يُحِبُّهُ ٱللَّهُ؛ كَالْمَلَائِكَةِ وَالْأَنْبِيَاءِ وَالصَّالِحِينَ، وَهَذَا مَعْنَى قَوْلِهِمْ فِي قَوْلِهِ: ﴿إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾ [الشعراء: ٨٩]. قَالُوا: هُوَ ٱلسَّلِيمُ مِمَّا سِوَى ٱللَّهِ، أَوْ مِمَّا سِوَى عِبَادَةِ ٱللَّهِ، أَوْ مِمَّا سِوَى إِرَادَةِ ٱللَّهِ، أَوْ مِمَّا سِوَى مَحَبَّةِ ٱللَّهِ، فَالْمَعْنَى وَاحِدٌ.

وَهَذَا ٱلْمَعْنَى - إِنْ سُمِّيَ فَنَاءً، أَوْ لَمْ يُسَمَّ[2] - هُوَ أَوَّلُ ٱلْإِسْلَامِ، وَآخِرُهُ، وَبَاطِنُ ٱلدِّينِ وَظَاهِرُهُ.

---

(١) هو البِسْطامي، المتوفى سنة (٢٦١)، ترجمه الذهبيُّ في عدَّةٍ من كُتبه؛ منها «ميزان الاعتدال» (٢/٣٤٦)، ثم قال: «وأبو يزيدَ مِن أهلِ الفرق، فَمُسَلَّمٌ حالُه له، واللَّهُ يتولَّى السرائر، ونتبرَّأ إلى اللَّه مِنْ كُلِّ مَن تَعمَّد مخالفةَ الكتاب والسنة».
وفي هامش مخطوطة «الميزان» تعليقٌ:
«أخطأ الذهبيُّ في قولِهِ: «يُسَلَّم له حالُه». ما يُسَلَّمُ حالُه، وحال غيرِه إلا إلى كتابِ اللهِ، وسُنَّةِ نبيِّه».

(٢) فالعبرة بالمسمَّيات والحقائق، لا بالأسماء والمظاهر، ولكنْ يُجْتَنَبُ مِن الأسماء ما فيه شَوْبُ مخالفةٍ، أو شُبْهَةٍ.

وَأَمَّا ٱلنَّوْعُ ٱلثَّانِي: فَهُوَ ٱلْفَنَاءُ عَنْ شُهُودِ ٱلسِّوَى.

وَهَذَا يَحْصُلُ لِكَثِيرٍ مِنَ ٱلسَّالِكِينَ؛ فَإِنَّهُمْ لِفَرْطِ ٱنْجِذَابِ قُلُوبِهِمْ إِلَى ذِكْرِ ٱللَّهِ، وَعِبَادَتِهِ، وَمَحَبَّتِهِ، وَضَعْفِ قُلُوبِهِمْ عَنْ أَنْ تَشْهَدَ غَيْرَ مَا تَعْبُدُ، وَتَرَى غَيْرَ مَا تَقْصِدُ، لَا يَخْطُرُ بِقُلُوبِهِمْ غَيْرُ ٱللَّهِ، بَلْ لَا يَشْعُرُونَ إِلَّا بِهِ؛ كَمَا قِيلَ فِي قَوْلِهِ ـ تَعَالَى ـ: ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَارِغًا إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِۦ لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا﴾ [القصص: ١٠]. قَالُوا: فَارِغًا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِلَّا مِنْ ذِكْرِ مُوسَى.

وَهَذَا كَثِيرًا مَا يَعْرِضُ لِمَنْ دَهَمَهُ أَمْرٌ مِنَ ٱلْأُمُورِ، إِمَّا حُبٌّ، وَإِمَّا خَوْفٌ، وَإِمَّا رَجَاءٌ، يَبْقَى قَلْبُهُ مُنْصَرِفًا عَنْ كُلِّ شَيْءٍ إِلَّا عَمَّا قَدْ أَحَبَّهُ، أَوْ خَافَهُ، أَوْ طَلَبَهُ؛ بِحَيْثُ يَكُونُ عِنْدَ ٱسْتِغْرَاقِهِ فِي ذَلِكَ لَا يَشْعُرُ بِغَيْرِهِ.

فَإِذَا قَوِيَ عَلَى صَاحِبِ ٱلْفَنَاءِ هَذَا؛ فَإِنَّهُ يَغِيبُ بِمَوْجُودِهِ عَنْ وُجُودِهِ، وَبِمَشْهُودِهِ عَنْ شُهُودِهِ، وَبِمَذْكُورِهِ عَنْ ذِكْرِهِ، وَبِمَعْرُوفِهِ عَنْ مَعْرِفَتِهِ، حَتَّى يَفْنَى مَنْ لَمْ يَكُنْ ـ وَهِيَ ٱلْمَخْلُوقَاتُ: ٱلْعَبْدُ فَمَنْ سِوَاهُ ـ وَيَبْقَى مَنْ لَمْ يَزَلْ ـ وَهُوَ ٱلرَّبُّ ـ تَعَالَى ـ.

وَٱلْمُرَادُ: فَنَاؤُهَا فِي شُهُودِ ٱلْعَبْدِ وَذِكْرِهِ، وَفَنَاؤُهُ عَنْ أَنْ يُدْرِكَهَا، أَوْ يَشْهَدَهَا.

وَإِذَا قَوِيَ هَذَا ضَعُفَ ٱلْمُحِبُّ حَتَّى يَضْطَرِبَ فِي تَمْيِيزِهِ، فَقَدْ يَظُنُّ أَنَّهُ هُوَ مَحْبُوبُهُ؛ كَمَا يُذْكَرُ: أَنَّ رَجُلًا أَلْقَى نَفْسَهُ فِي ٱلْيَمِّ، فَأَلْقَى مُحِبُّهُ نَفْسَهُ خَلْفَهُ، فَقَالَ: أَنَا وَقَعْتُ، فَمَا أَوْقَعَكَ خَلْفِي؟! قَالَ: غِبْتُ بِكَ عَنِّي، فَظَنَنْتُ أَنَّكَ أَنِّي!!

وَهَذَا الْمَوْضِعُ زَلَّتْ فِيهِ أَقْوَامٌ، وَظَنُّوا أَنَّهُ اتِّحَادٌ، وَأَنَّ الْمُحِبَّ يَتَّحِدُ بِٱلْمَحْبُوبِ، حَتَّىٰ لَا يَكُونَ بَيْنَهُمَا فَرْقٌ فِي نَفْسِ وُجُودِهِمَا!

وَهَذَا غَلَطٌ؛ فَإِنَّ ٱلْخَالِقَ لَا يَتَّحِدُ بِهِ شَيْءٌ أَصْلًا، بَلْ لَا يُمْكِنُ أَنْ يَتَّحِدَ شَيْءٌ بِشَيْءٍ، إِلَّا إِذَا ٱسْتَحَالَا، وَفَسَدَتْ حَقِيقَةُ كُلٍّ مِنْهُمَا، وَحَصَلَ مِن ٱتِّحَادِهِمَا أَمْرٌ ثَالِثٌ، لَا هُوَ هَذَا، وَلَا هَذَا؛ كَمَا إِذَا ٱتَّحَدَ ٱلْمَاءُ وَاللَّبَنُ، وَالْمَاءُ وَالْخَمْرُ، وَنَحْوُ ذَلِكَ.

وَلَكِنْ يَتَّحِدُ ٱلْمُرَادُ وَالْمَحْبُوبُ، وَالْمُرَادُ وَالْمَكْرُوهُ، وَيَتَّفِقَانِ فِي نَوْعِ ٱلْإِرَادَةِ وَالْكَرَاهَةِ، فَيُحِبُّ هَذَا مَا يُحِبُّ هَذَا، وَيَبْغَضُ هَذَا مَا يَبْغَضُ هَذَا، وَيَرْضَىٰ مَا يَرْضَىٰ، وَيَسْخَطُ مَا يَسْخَطُ، وَيَكْرَهُ مَا يَكْرَهُ، وَيُوَالِي مَنْ يُوَالِي، وَيُعَادِي مَنْ يُعَادِي.

وَهَذَا ٱلْفَنَاءُ كُلُّهُ فِيهِ نَقْصٌ.

وَأَكَابِرُ ٱلْأَوْلِيَاءِ؛ كَأَبِي بَكْرٍ، وَعُمَرَ، وَالسَّابِقِينَ ٱلْأَوَّلِينَ؛ مِنَ ٱلْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ، لَمْ يَقَعُوا فِي هَذَا ٱلْفَنَاءِ، فَضْلًا عَمَّنْ هُوَ فَوْقَهُمْ مِنَ ٱلْأَنْبِيَاءِ، وَإِنَّمَا وَقَعَ شَيْءٌ مِنْ هَذَا بَعْدَ ٱلصَّحَابَةِ[١].

وَكَذَلِكَ كُلُّ مَا كَانَ مِنْ هَذَا ٱلنَّمَطِ مِمَّا فِيهِ غَيْبَةُ ٱلْعَقْلِ، وَعَدَمُ ٱلتَّمْيِيزِ لِمَا يَرِدُ عَلَى ٱلْقَلْبِ مِنْ أَحْوَالِ ٱلْإِيمَانِ.

فَإِنَّ ٱلصَّحَابَةَ ـ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ ـ كَانُوا أَكْمَلَ، وَأَقْوَى، وَأَثْبَتَ فِي ٱلْأَحْوَالِ ٱلْإِيمَانِيَّةِ مِنْ أَنْ تَغِيبَ عُقُولُهُمْ، أَوْ يَحْصُلَ لَهُمْ غَشْيٌ، أَوْ ضَعْفٌ

---

(١) فهو مردودٌ عليهم ولا كرامة.

أَوْ سُكْرٌ، أَوْ فَنَاءٌ، أَوْ وَلَهٌ، أَوْ جُنُونٌ.

وَإِنَّمَا كَانَ مَبَادِئُ هَذِهِ ٱلْأُمُورِ فِي ٱلتَّابِعِينَ؛ مِنْ عُبَّادِ ٱلْبَصْرَةِ؛ فَإِنَّهُ كَانَ فِيهِمْ مَنْ يُغْشَىٰ عَلَيْهِ إِذَا سَمِعَ ٱلْقُرْآنَ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمُوتُ؛ كَأَبِي جَهِيرٍ ٱلضَّرِيرِ[١]، وَزُرَارَةَ بْنِ أَوْفَى[٢] قَاضِي ٱلْبَصْرَةِ.

وَكَذَلِكَ صَارَ فِي شُيُوخِ ٱلصُّوفِيَّةِ مَنْ يَعْرِضُ لَهُ مِنَ ٱلْفَنَاءِ وَالسُّكْرِ مَا يَضْعُفُ مَعَهُ تَمْيِيزُهُ، حَتَّىٰ يَقُولَ فِي تِلْكَ ٱلْحَالِ مِنَ ٱلْأَقْوَالِ مَا إِذَا صَحَا عَرَفَ أَنَّهُ غَالِطٌ فِيهِ، كَمَا يُحْكَىٰ نَحْوُ ذَلِكَ عَنْ مِثْلِ أَبِي يَزِيدَ، وَأَبِي ٱلْحُسَيْنِ ٱلنَّوْرِيِّ[٣]، وَأَبِي بَكْرٍ ٱلشِّبْلِيِّ، وَأَمْثَالِهِمْ، بِخِلَافِ أَبِي سُلَيْمَانَ ٱلدَّارَانِيِّ، وَمَعْرُوفٍ ٱلْكَرْخِيِّ، وَالْفُضَيْلِ بْنِ عِيَاضٍ، بَلْ وَبِخِلَافِ ٱلْجُنَيْدِ وَأَمْثَالِهِ، مِمَّنْ كَانَتْ عُقُولُهُمْ وَتَمْيِيزُهُمْ يَصْحَبُهُمْ فِي أَحْوَالِهِمْ، فَلَا يَقَعُونَ فِي مِثْلِ هَذَا ٱلْفَنَاءِ وَالسُّكْرِ، وَنَحْوِهِ.

بَلِ ٱلْكُمَّلُ تَكُونُ قُلُوبُهُمْ لَيْسَ فِيهَا سِوَىٰ مَحَبَّةِ ٱللَّهِ، وَإِرَادَتِهِ، وَعِبَادَتِهِ، وَعِنْدَهُمْ مِنْ سَعَةِ ٱلْعِلْمِ وَالتَّمْيِيزِ مَا يَشْهَدُونَ [بِهِ] ٱلْأُمُورَ عَلَىٰ مَا هِيَ عَلَيْهِ، بَلْ يَشْهَدُونَ ٱلْمَخْلُوقَاتِ قَائِمَةً بِأَمْرِ ٱللَّهِ، مُدَبَّرَةً بِمَشِيئَتِهِ، بَلْ مُسْتَجِيبَةً لَهُ، قَانِتَةً لَهُ، فَيَكُونُ لَهُمْ فِيهَا تَبْصِرَةٌ وَذِكْرَى، وَيَكُونُ مَا يَشْهَدُونَهُ مِنْ ذَلِكَ مُؤَيِّدًا وَمُمِدًّا لِمَا فِي قُلُوبِهِمْ مِنْ إِخْلَاصِ ٱلدِّينِ، وَتَجْرِيدِ ٱلتَّوْحِيدِ لَهُ،

---

(١) لم أقِف على ترجمتِهِ، فلعلَّ فيه تَحْرِيفًا.

(٢) ترجمته في «حلية الأولياء» (٢/٢٥٨)، والخبَرُ فيهِ.

وانظر: «المنتقى النفيس...» (ص: ٣٢٩ - ٣٣٥) - بقَلَمي -.

(٣) هو أحمد بن محمد، توفي سنة (٢٩٥ هـ)، ترجمته في (السِّيَر) (١٤/٧٠).

وَالْعِبَادَةِ لَهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ.

وَهَذِهِ هِيَ ٱلْحَقِيقَةُ ٱلَّتِي دَعَا إِلَيْهَا ٱلْقُرْآنُ، وَقَامَ بِهَا أَهْلُ تَحْقِيقِ ٱلْإِيمَانِ، وَالْكُمَّلُ مِنْ أَهْلِ ٱلْعِرْفَانِ، وَنَبِيُّنَا ﷺ إِمَامُ هَؤُلَاءِ وَأَكْمَلُهُمْ؛ وَلِهَذَا لَمَّا عُرِجَ بِهِ إِلَى ٱلسَّمَاوَاتِ، وَعَايَنَ مَا هُنَالِكَ مِنَ ٱلْآيَاتِ، وَأُوحِيَ إِلَيْهِ مَا أُوحِيَ مِنْ أَنْوَاعِ ٱلْمُنَاجَاةِ، أَصْبَحَ فِيهِمْ، وَهُوَ لَمْ يَتَغَيَّرْ حَالُهُ، وَلَا ظَهَرَ عَلَيْهِ ذَلِكَ، بِخِلَافِ مَا كَانَ يَظْهَرُ عَلَىٰ مُوسَىٰ مِنَ ٱلتَّغَشِّي[١] ـ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَسَلَّمَ أَجْمَعِينَ ـ.

وَأَمَّا ٱلنَّوْعُ ٱلثَّالِثُ: ـ مِمَّا قَدْ يُسَمَّىٰ فَنَاءً ـ: فَهُوَ أَنْ يَشْهَدَ أَنْ لَا مَوْجُودَ إِلَّا ٱللَّهُ، وَأَنَّ وُجُودَ ٱلْخَالِقِ هُوَ وُجُودُ ٱلْمَخْلُوقِ، فَلَا فَرْقَ بَيْنَ ٱلرَّبِّ وَالْعَبْدِ!

فَهَذَا فَنَاءُ أَهْلِ ٱلضَّلَالِ وَالْإِلْحَادِ، ٱلْوَاقِعِينَ فِي ٱلْحُلُولِ وَالِاتِّحَادِ، وَهَذَا يَبْرَأُ مِنْهُ ٱلْمَشَايِخُ ٱلْمُسْتَقِيمُونَ، فَإِذَا قَالَ أَحَدُهُمْ: مَا أَرَىٰ غَيْرَ ٱللَّهِ. أَوْ: لَا أَنْظُرُ إِلَىٰ غَيْرِ ٱللَّهِ. وَنَحْوَ ذَلِكَ، فَمُرَادُهُمْ بِذَلِكَ: مَا أَرَىٰ رَبًّا غَيْرَهُ، وَلَا خَالِقًا، وَلَا مُدَبِّرًا غَيْرَهُ، وَلَا إِلَهًا غَيْرَهُ، وَلَا أَنْظُرُ إِلَىٰ غَيْرِهِ مَحَبَّةً لَهُ، أَوْ خَوْفًا مِنْهُ، أَوْ رَجَاءً لَهُ؛ فَإِنَّ ٱلْعَيْنَ تَنْظُرُ إِلَىٰ مَا يَتَعَلَّقُ بِهِ ٱلْقَلْبُ.

فَمَنْ أَحَبَّ شَيْئًا، أَوْ رَجَاهُ، أَوْ خَافَهُ، ٱلْتَفَتَ إِلَيْهِ، وَإِذَا لَمْ يَكُنْ فِي ٱلْقَلْبِ مَحَبَّةٌ لَهُ، وَلَا رَجَاءٌ لَهُ، وَلَا خَوْفٌ مِنْهُ، وَلَا بُغْضٌ لَهُ، وَلَا غَيْرُ ذَلِكَ مِنْ تَعَلُّقِ ٱلْقَلْبِ بِهِ، لَمْ يَقْصِدِ ٱلْقَلْبُ أَنْ يَلْتَفِتَ إِلَيْهِ، وَلَا أَنْ يَنْظُرَ

---

(١) وفي ذلك نَظَرٌ.

إِلَيْهِ، وَلَا أَنْ يَرَاهُ، وَإِنْ رَآهُ ٱتِّفَاقًا رُؤْيَةً مُجَرَّدَةً، كَانَ كَمَا لَوْ رَأَىٰ حَائِطًا وَنَحْوَهُ، مِمَّا لَيْسَ فِي قَلْبِهِ تَعَلُّقٌ بِهِ.

وَالْمَشَايِخُ ٱلصَّالِحُونَ ـ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ ـ يَذْكُرُونَ شَيْئًا مِنْ تَجْرِيدِ ٱلتَّوْحِيدِ وَتَحْقِيقِ إِخْلَاصِ ٱلدِّينِ كُلِّهِ؛ بِحَيْثُ لَا يَكُونُ ٱلْعَبْدُ مُلْتَفِتًا إِلَىٰ غَيْرِ ٱللَّهِ، وَلَا نَاظِرًا إِلَىٰ مَا سِوَاهُ، لَا حُبًّا لَهُ، وَلَا خَوْفًا مِنْهُ، وَلَا رَجَاءً لَهُ، بَلْ يَكُونُ ٱلْقَلْبُ فَارِغًا مِنَ ٱلْمَخْلُوقَاتِ، خَالِيًا مِنْهَا، لَا يَنْظُرُ إِلَيْهَا إِلَّا بِنُورِ ٱللَّهِ.

فَبِالْحَقِّ يَسْمَعُ، وَبِالْحَقِّ يُبْصِرُ، وَبِالْحَقِّ يَبْطِشُ، وَبِالْحَقِّ يَمْشِي، فَيُحِبُّ مِنْهَا مَا يُحِبُّهُ ٱللَّهُ، وَيَبْغَضُ مِنْهَا مَا يَبْغَضُهُ ٱللَّهُ، وَيُوَالِي مِنْهَا مَا وَالَاهُ ٱللَّهُ، وَيُعَادِي مِنْهَا مَا عَادَاهُ ٱللَّهُ، وَيَخَافُ ٱللَّهَ فِيهَا، وَلَا يَخَافُهَا فِي ٱللَّهِ، وَيَرْجُو ٱللَّهَ فِيهَا، وَلَا يَرْجُوهَا فِي ٱللَّهِ.

فَهَذَا هُوَ ٱلْقَلْبُ ٱلسَّلِيمُ، ٱلْحَنِيفُ ٱلْمُوَحِّدُ، ٱلْمُسْلِمُ ٱلْمُؤْمِنُ، ٱلْمُحَقِّقُ، ٱلْعَارِفُ بِمَعْرِفَةِ ٱلْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ، وَبِحَقِيقَتِهِمْ وَتَوْحِيدِهِمْ.

فَهَذَا ٱلنَّوْعُ ٱلثَّالِثُ ـ ٱلَّذِي هُوَ ٱلْفَنَاءُ فِي ٱلْوُجُودِ ـ هُوَ تَحْقِيقُ آلِ فِرْعَوْنَ وَمَعْرِفَتُهُمْ وَتَوْحِيدُهُمْ؛ كَالْقَرَامِطَةِ(١)، وَأَمْثَالِهِمْ.

---

(١) هم فرقةٌ من الباطنية، تُنسبُ إلى حمدان بن الأشعث، الذي كان يُلَقَّبُ بـ«قُرْمُط»، «وقد كانوا يسلكون عن طريق التأويل في الخبَر، والأمر جميعًا، لمعارضة العقل عندهم، وهؤلاءِ من أعظم الناس كفرًا وإلحادًا». كما قال المصنِّفُ في «درء تعارض العقل والنقل» (١٧٦/١).

وانظر: «الفرق بين الفرق» (٢٨١ ـ ٢٩١)، و«مقالات الإسلاميين» (٩٨/١)، و«المنتظم» (١١٠/٥ ـ ١١٩).

وَأَمَّا ٱلنَّوْعُ ٱلَّذِي عَلَيْهِ أَتْبَاعُ ٱلْأَنْبِيَاءِ فَهُوَ ٱلْفَنَاءُ ٱلْمَحْمُودُ، ٱلَّذِي يَكُونُ صَاحِبُهُ مِمَّنْ أَثْنَى ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ أَوْلِيَائِهِ ٱلْمُتَّقِينَ، وَحِزْبِهِ ٱلْمُفْلِحِينَ، وَجُنْدِهِ ٱلْغَالِبِينَ.

وَلَيْسَ مُرَادُ ٱلْمَشَايِخِ وَالصَّالِحِينَ بِهَذَا ٱلْقَوْلِ: أَنَّ ٱلَّذِي أَرَاهُ بِعَيْنِي مِنَ ٱلْمَخْلُوقَاتِ هُوَ رَبُّ ٱلْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتِ!

فَإِنَّ هَذَا لَا يَقُولُهُ إِلَّا مَنْ هُوَ فِي غَايَةِ ٱلضَّلَالِ وَالْفَسَادِ، إِمَّا فَسَادِ ٱلْعَقْلِ، وَإِمَّا فَسَادِ ٱلِاعْتِقَادِ، فَهُوَ مُتَرَدِّدٌ بَيْنَ ٱلْجُنُونِ وَالْإِلْحَادِ.

وَكُلُّ ٱلْمَشَايِخِ ٱلَّذِينَ يُقْتَدَىٰ بِهِمْ فِي ٱلدِّينِ، مُتَّفِقُونَ عَلَىٰ مَا ٱتَّفَقَ عَلَيْهِ سَلَفُ ٱلْأُمَّةِ وَأَئِمَّتُهَا، مِنْ أَنَّ ٱلْخَالِقَ ـ سُبْحَانَهُ ـ مُبَايِنٌ لِلْمَخْلُوقَاتِ، وَلَيْسَ فِي مَخْلُوقَاتِهِ شَيْءٌ مِنْ ذَاتِهِ، وَلَا فِي ذَاتِهِ شَيْءٌ مِنْ مَخْلُوقَاتِهِ، وَأَنَّهُ يَجِبُ إِفْرَادُ ٱلْقَدِيمِ عَنِ ٱلْحَدِيثِ، وَتَمْيِيزُ ٱلْخَالِقِ عَنِ ٱلْمَخْلُوقِ، وَهَذَا فِي كَلَامِهِمْ أَكْثَرُ مِنْ أَنْ يُمْكِنَ ذِكْرُهُ هُنَا.

وَهُمْ قَدْ تَكَلَّمُوا عَلَىٰ مَا يَعْرِضُ لِلْقُلُوبِ مِنَ ٱلْأَمْرَاضِ وَالشُّبُهَاتِ؛ فَإِنَّ بَعْضَ ٱلنَّاسِ قَدْ يَشْهَدُ وُجُودَ ٱلْمَخْلُوقَاتِ، فَيَظُنُّهُ خَالِقَ ٱلْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتِ؛ لِعَدَمِ ٱلتَّمْيِيزِ وَالْفُرْقَانِ فِي قَلْبِهِ، بِمَنْزِلَةِ مَنْ رَأَىٰ شُعَاعَ ٱلشَّمْسِ فَظَنَّ أَنَّ ذَلِكَ هُوَ ٱلشَّمْسُ فِي ٱلسَّمَاءِ!

وَهُمْ قَدْ يَتَكَلَّمُونَ فِي ٱلْفَرْقِ وَالْجَمْعِ[1]، وَيَدْخُلُ فِي ذَلِكَ مِنَ

---

(١) قالوا: «الفرقُ: ما نُسِبَ إليك، والجمعُ: ما سُلِبَ عنك»! «التعريفات» (ص: ٨٠)، للجُرجاني.

ٱلْعِبَارَاتِ ٱلْمُخْتَلِفَةِ نَظِيرُ مَا دَخَلَ فِي ٱلْفَنَاءِ.

فَإِنَّ ٱلْعَبْدَ إِذَا شَهِدَ ٱلتَّفْرِقَةَ وَالْكَثْرَةَ فِي ٱلْمَخْلُوقَاتِ، يَبْقَىٰ قَلْبُهُ مُتَعَلِّقًا بِهَا مُشَتَّتًا، نَاظِرًا إِلَيْهَا، مُتَعَلِّقًا بِهَا، إِمَّا مَحَبَّةً، وَإِمَّا خَوْفًا، وَإِمَّا رَجَاءً.

فَإِذَا ٱنْتَقَلَ إِلَى ٱلْجَمْعِ ٱجْتَمَعَ قَلْبُهُ عَلَىٰ تَوْحِيدِ ٱللَّهِ، وَعِبَادَتِهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، فَالْتَفَتَ قَلْبُهُ إِلَى ٱللَّهِ بَعْدَ ٱلْتِفَاتِهِ إِلَى ٱلْمَخْلُوقِينَ، فَصَارَتْ مَحَبَّتُهُ لِرَبِّهِ، وَخَوْفُهُ مِنْ رَبِّهِ، وَرَجَاؤُهُ لِرَبِّهِ، وَاسْتِعَانَتُهُ بِرَبِّهِ، وَهُوَ فِي هَذَا ٱلْحَالِ قَدْ لَا يَسَعُ قَلْبُهُ ٱلنَّظَرَ إِلَى ٱلْمَخْلُوقِ؛ لِيُفَرِّقَ بَيْنَ ٱلْخَالِقِ وَالْمَخْلُوقِ، فَقَدْ يَكُونُ مُجْتَمِعًا عَلَى ٱلْحَقِّ، مُعْرِضًا عَنِ ٱلْخَلْقِ، نَظَرًا وَقَصْدًا، وَهُوَ نَظِيرُ ٱلنَّوْعِ ٱلثَّانِي مِنَ ٱلْفَنَاءِ.

وَلَكِنْ بَعْدَ ذَلِكَ ٱلْفَرْقِ ٱلثَّانِي؛ وَهُوَ أَنْ يَشْهَدَ أَنَّ ٱلْمَخْلُوقَاتِ قَائِمَةٌ بِاللَّهِ، وَمُدَبَّرَةٌ بِأَمْرِهِ، وَيَشْهَدَ كَثْرَتَهَا مَعْدُومَةً بِوَحْدَانِيَّةِ ٱللَّهِ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ -، وَأَنَّهُ - سُبْحَانَهُ - رَبُّ ٱلْمَصْنُوعَاتِ، وَإِلَهُهَا، وَخَالِقُهَا، وَمَالِكُهَا، فَيَكُونُ - مَعَ ٱجْتِمَاعِ قَلْبِهِ عَلَى ٱللَّهِ إِخْلَاصًا، وَمَحَبَّةً، وَخَوْفًا، وَرَجَاءً، وَاسْتِعَانَةً، وَتَوَكُّلًا عَلَى ٱللَّهِ، وَمُوَالَاةً فِيهِ، وَمُعَادَةً فِيهِ، وَأَمْثَالَ ذَلِكَ - نَاظِرًا إِلَى ٱلْفَرْقِ بَيْنَ ٱلْخَالِقِ وَالْمَخْلُوقِ، مُمَيِّزًا بَيْنَ هَذَا وَهَذَا، وَيَشْهَدُ تَفَرُّقَ ٱلْمَخْلُوقَاتِ وَكَثْرَتَهَا، مَعَ شَهَادَتِهِ أَنَّ ٱللَّهَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَمَلِيكُهُ، وَخَالِقُهُ، وَأَنَّهُ هُوَ ٱللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ.

وَهَذَا هُوَ ٱلشُّهُودُ ٱلصَّحِيحُ ٱلْمُسْتَقِيمُ، وَذَلِكَ وَاجِبٌ فِي عِلْمِ ٱلْقَلْبِ وَشَهَادَتِهِ، وَذِكْرِهِ، وَمَعْرِفَتِهِ، وَفِي حَالِ ٱلْقَلْبِ، وَعِبَادَتِهِ، وَقَصْدِهِ، وَإِرَادَتِهِ، وَمَحَبَّتِهِ، وَمُوَالَاتِهِ، وَطَاعَتِهِ.

وَذَلِكَ تَحْقِيقُ شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا ٱللَّهُ، فَإِنَّهَا تَنْفِي عَنْ قَلْبِهِ أُلُوهِيَّةَ مَا سِوَى ٱلْحَقِّ، وَتُثْبِتُ فِي قَلْبِهِ أُلُوهِيَّةَ ٱلْحَقِّ.

فَيَكُونُ نَافِيًا لِأُلُوهِيَّةِ كُلِّ شَيْءٍ مِنَ ٱلْمَخْلُوقَاتِ، وَمُثْبِتًا لِأُلُوهِيَّةِ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ، رَبِّ ٱلْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتِ، وَذَلِكَ يَتَضَمَّنُ ٱجْتِمَاعَ ٱلْقَلْبِ عَلَى ٱللَّهِ، وَعَلَىٰ مُفَارَقَةِ مَا سِوَاهُ، فَيَكُونُ مُفَرِّقًا ـ فِي عِلْمِهِ وَقَصْدِهِ، فِي شَهَادَتِهِ وَإِرَادَتِهِ، فِي مَعْرِفَتِهِ وَمَحَبَّتِهِ ـ بَيْنَ ٱلْخَالِقِ وَالْمَخْلُوقِ، بِحَيْثُ يَكُونُ عَالِمًا بِاللَّهِ ـ تَعَالَىٰ ـ ذَاكِرًا لَهُ، عَارِفًا بِهِ.

وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ عَالِمٌ بِمُبَايَنَتِهِ لِخَلْقِهِ، وَانْفِرَادِهِ عَنْهُمْ، وَتَوَحُّدِهِ دُونَهُمْ.

وَيَكُونُ مُحِبًّا لِلَّهِ، مُعَظِّمًا لَهُ، عَابِدًا لَهُ، رَاجِيًا لَهُ، خَائِفًا مِنْهُ، مُحِبًّا فِيهِ، مُوَالِيًا فِيهِ، مُعَادِيًا فِيهِ، مُسْتَعِينًا بِهِ، مُتَوَكِّلًا عَلَيْهِ، مُمْتَنِعًا عَنْ عِبَادَةِ غَيْرِهِ.

وَالتَّوَكُّلِ عَلَيْهِ، وَالِاسْتِعَانَةِ بِهِ، وَالْخَوْفِ مِنْهُ، وَالرَّجَاءِ لَهُ، وَالْمُوَالَاةِ فِيهِ، وَالْمُعَادَاةِ فِيهِ، وَالطَّاعَةِ لِأَمْرِهِ، وَأَمْثَالِ ذَلِكَ مِمَّا هُوَ مِنْ خَصَائِصِ إِلَهِيَّةِ ٱللَّهِ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ.

وَإِقْرَارُهُ بِأُلُوهِيَّةِ ٱللَّهِ ـ تَعَالَىٰ ـ دُونَ مَا سِوَاهُ، يَتَضَمَّنُ إِقْرَارَهُ بِرُبُوبِيَّتِهِ؛ وَهُوَ أَنَّهُ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ، وَمَلِيكُهُ، وَخَالِقُهُ، وَمُدَبِّرُهُ، فَحِينَئِذٍ يَكُونُ مُوَحِّدًا لِلَّهِ.

وَيُبَيِّنُ ذَلِكَ: أَنَّ أَفْضَلَ ٱلذِّكْرِ «لَا إِلَهَ إِلَّا ٱللَّهُ»؛ كَمَا رَوَاهُ ٱلتِّرْمِذِيُّ، وَابْنُ أَبِي ٱلدُّنْيَا، وَغَيْرُهُمَا مَرْفُوعًا إِلَى ٱلنَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «**أَفْضَلُ ٱلذِّكْرِ: لَا إِلَهَ إِلَّا ٱللَّهُ، وَأَفْضَلُ ٱلدُّعَاءِ: ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ**»[1].

---

(١) رواه الترمذي (٣٣٨٣)،وابنُ أَبي الدينا في «الشُّكر» (رقم: ١٠٣)، =

وَفِي «الْمُوَطَّإِ»، وَغَيْرِهِ(١)، عَنْ طَلْحَةَ بْنِ عُبَيْدِ ٱللَّهِ بْنِ كُرَيْزٍ: أَنَّ ٱلنَّبِيَّ ﷺ، قَالَ: «**أَفْضَلُ مَا قُلْتُ أَنَا وَالنَّبِيُّونَ مِنْ قَبْلِي: لَا إِلَهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ ٱلْمُلْكُ، وَلَهُ ٱلْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**».

= والنَّسائي في «عمل اليوم والليلة» (٨٣١)، وابن ماجه (٣٨٠٠)، والبيهقي في «الدعوات» (١١٧)، والحاكم (٤٩٨/١)، والبَغَوي (١٢٦٩)، وابن حِبَّان (٨٤٦)، وابن عبد البر في «التمهيد» (٤٣/٦)، مِن طريق موسى بن إبراهيم الأنصاري، بسندٍ حسنٍ.

(تنبيهٌ) خرَّج الحديثَ شيخُنا الألبانيُّ في «الصحيحة» (رقم: ١٤٩٧)، مُقْتَصِرًا في عزوه على ابن حبان، والخرائطي، والبَغَوي.

وانظر: «نتائج الأفكار» (٥٩/١)، للحافظ ابن حَجَر.

(١) رواه مالك (٢٤٦/٤٢٢/١)، والبيهقي (٢٨٤/٤، ١١٧/٥)، مرسلًا، وَوَصَلَهُ الطبراني في «مناسِكِهِ»، قال: «حدَّثنا الحسنُ بن مُثَنَّى بن مُعاذ العنبري، حدثنا عفَّان بن مسلم، حدثنا قيس بن الربيع، عن الأغرِّ بن الصبَّاح، عن خليفة، عن عليٍّ، عن النبيِّ ﷺ:...». فذكره...

كذا في «البداية والنهاية» (١٧٥/٥).

وهو في «صحيح ابن خزيمة» (٤١٨٢)، مِن طريق قيس، بِهِ - وفيه تَطْبِيعاتٌ.

قلتُ: وهو حَسَنٌ في الشواهد، لما قِيلَ في حالِ قيس بن الربيع من سوءِ الحفظِ.

وله شاهدٌ:

رواه أحمد (٦٩٦١)، والترمذي (٣٥٨٥)، وأبو نُعيم (١٠٤/٧)، من طريق محمد بن أبي حُميد، عن عمرو بن شُعَيب، عن أبيه، عن جَدِّه، ومحمد بن أبي حُميد ضعيفٌ.

فالحديث حَسَنٌ - إن شاء الله -، وله طرقٌ أخرى، فانظر: «الفتوحات الربانية» (٧٤٨/٤)، و«تخريج الإحياء» (٢٥٣/١)، و«إتحاف السادة المتقين» (٣٧٣/٤)، و«البداية والنهاية» (١٧٤/٥ - ١٧٦)، و«السلسلة الصحيحة» (١٥٠٣).

وَمَنْ زَعَمَ أَنَّ هَذَا ذِكْرُ ٱلْعَامَّةِ، وَأَنَّ ذِكْرَ ٱلْخَاصَّةِ هُوَ ٱلِاسْمُ ٱلْمُفْرَدُ! وَذِكْرُ خَاصَّةِ ٱلْخَاصَّةِ هُوَ ٱلِاسْمُ ٱلْمُضْمَرُ، فَهُمْ ضَالُّونَ غَالِطُونَ.

وَاحْتِجَاجُ بَعْضِهِمْ عَلَىٰ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ: ﴿قُلِ ٱللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾ [الأنعام: ٩٢].

مِنْ أَبْيَنِ غَلَطِ هَؤُلَاءِ؛ فَإِنَّ ٱلِاسْمَ ـ اللَّهَ ـ مَذْكُورٌ فِي ٱلْأَمْرِ بِجَوَابِ ٱلِاسْتِفْهَامِ، فِي ٱلْآيَةِ قَبْلَهُ، وَهُوَ قَوْلُهُ: ﴿قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَـٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓا۟ أَنتُمْ وَلَآ ءَابَآؤُكُمْ قُلِ ٱللَّهُ﴾؛ أَيِ: ٱللَّهُ ٱلَّذِي أَنْزَلَ ٱلْكِتَابَ ٱلَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى.

فَالِاسْمُ ـ اللَّهُ ـ مُبْتَدَأٌ، وَخَبَرُهُ قَدْ دَلَّ عَلَيْهِ ٱلِاسْتِفْهَامُ؛ كَمَا فِي نَظَائِرِ ذَلِكَ، تَقُولُ: مَنْ جَارُهُ؟ فَيَقُولُ: زَيْدٌ.

وَأَمَّا ٱلِاسْمُ ٱلْمُفْرَدُ[1] مُظْهَرًا أَوْ مُضْمَرًا، فَلَيْسَ بِكَلَامٍ تَامٍّ، وَلَا جُمْلَةٍ مُفِيدَةٍ، وَلَا يَتَعَلَّقُ بِهِ إِيمَانٌ، وَلَا كُفْرٌ، وَلَا أَمْرٌ، وَلَا نَهْيٌ.

وَلَمْ يَذْكُرْ ذَلِكَ أَحَدٌ مِنْ سَلَفِ ٱلْأُمَّةِ، وَلَا شَرَعَ ذَلِكَ رَسُولُ ٱللَّهِ ﷺ، وَلَا يُعْطِي ٱلْقَلْبَ بِنَفْسِهِ مَعْرِفَةً مُفِيدَةً، وَلَا حَالًا نَافِعًا، وَإِنَّمَا يُعْطِيهِ تَصَوُّرًا مُطْلَقًا، لَا يُحْكَمُ عَلَيْهِ بِنَفْيٍ وَلَا إِثْبَاتٍ.

فَإِنْ لَمْ يَقْتَرِنْ بِهِ مِنْ مَعْرِفَةِ ٱلْقَلْبِ وَحَالِهِ، مَا يُفِيدُ بِنَفْسِهِ، وَإِلَّا لَمْ يَكُنْ

(١) وفي كتاب «المِنْحة المحمَّدية في بيان العقائد السلفية» (ص: ٢٣٠)، للشقيري فَصْلٌ بعنوان «الذكر بالاسم المفرد بدعة». فَلْيُنْظَرْ.
وانظر كتابي: «المُنْتَقَى النفيس من تلبيس إبليس» (ص: ٤٣١).

فِيهِ فَائِدَةٌ، وَالشَّرِيعَةُ إِنَّمَا تَشْرَعُ مِنَ ٱلْأَذْكَارِ مَا يُفِيدُ بِنَفْسِهِ، لَا مَا تَكُونُ ٱلْفَائِدَةُ حَاصِلَةً بِغَيْرِهِ.

وَقَدْ وَقَعَ بَعْضُ مَنْ وَاظَبَ عَلَىٰ هَذَا ٱلذِّكْرِ فِي فُنُونٍ مِنَ ٱلْإِلْحَادِ، وَأَنْوَاعٍ مِنَ ٱلِاتِّحَادِ، كَمَا قَدْ بُسِطَ فِي غَيْرِ هَذَا ٱلْمَوْضِعِ.

وَمَا يُذْكَرُ عَنْ بَعْضِ ٱلشُّيُوخِ مِنْ أَنَّهُ قَالَ: أَخَافُ أَنْ أَمُوتَ بَيْنَ ٱلنَّفْيِ وَالْإِثْبَاتِ. حَالًا لَا يُقْتَدَىٰ فِيهَا بِصَاحِبِهَا؛ فَإِنَّ فِي ذَلِكَ مِنَ ٱلْغَلَطِ مَا لَا خَفَاءَ بِهِ؛ إِذْ لَوْ مَاتَ ٱلْعَبْدُ فِي هَذَا ٱلْحَالِ لَمْ يَمُتْ إِلَّا عَلَىٰ مَا قَصَدَهُ وَنَوَاهُ؛ إِذِ ٱلْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ.

وَقَدْ ثَبَتَ أَنَّ ٱلنَّبِيَّ ﷺ أَمَرَ بِتَلْقِينِ ٱلْمَيِّتِ: «**لَا إِلَهَ إِلَّا ٱللَّهُ**»(١).

وَقَالَ: «**مَنْ كَانَ آخِرُ كَلَامِهِ: لَا إِلَهَ إِلَّا ٱللَّهُ دَخَلَ ٱلْجَنَّةَ**»(٢).

---

(١) رواه مسلمٌ في «صحيحه» (رقم: ٩١٧).

وقد أُعِلَّ بما لا يقدحُ.

فانظر تخريجه والكلامَ عليه مطوَّلًا في كتاب: « علل أحاديث صحيح مسلم » (رقم: ١٩)، لابن عمَّار الشهيد ـ بتحقيقي وتعليقي ـ.

(٢) رواه أبو داود (٣١١٦)، والحاكم (٣٥١/١)، وأحمد (٢٣٣/٥، ٢٤٧)، والطبراني في «الكبير» (٢٢١/١١٢/٢٠)، وفي «الدعاء» (١٤٧١)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (٩٩)، «والفَسَوي في «تاريخه» (٣١٢/٢)، وابن منده في «التوحيد» (رقم: ١٨٧)، عن مُعاذ، بسندٍ حَسَنٍ.

وفي الباب عن غيره.

وقد وردت في هذا الحديثِ قصةٌ عظيمةٌ في تلقين الشهادة لأبي زُرعة الرازي عند موتِهِ، فانظرها في «تقدمة الجرح» (ص: ٣٤٥)، و«فضل التهليل» (ص: ٨١).

وَلَوْ كَانَ مَا ذَكَرَهُ مَحْذُورًا، لَمْ يُلَقِّنِ ٱلْمَيِّتَ كَلِمَةً يُخَافُ أَنْ يَمُوتَ فِي أَثْنَائِهَا مَوْتًا غَيْرَ مَحْمُودٍ، بَلْ كَانَ يُلَقِّنُ مَا ٱخْتَارَهُ مِنْ ذِكْرِ ٱلِاسْمِ ٱلْمُفْرَدِ.

وَالذِّكْرُ بِالِاسْمِ ٱلْمُضْمَرِ أَبْعَدُ عَنِ ٱلسُّنَّةِ، وَأَدْخَلُ فِي ٱلْبِدْعَةِ، وَأَقْرَبُ إِلَىٰ ضَلَالِ ٱلشَّيْطَانِ؛ فَإِنَّ مَنْ قَالَ: هُوَ! يَا هُوَ! أَوْ: هُوَ! هُوَ! وَنَحْوَ ذَلِكَ، لَمْ يَكُنِ ٱلضَّمِيرُ عَائِدًا إِلَّا إِلَىٰ مَا يُصَوِّرُهُ قَلْبُهُ، وَالْقَلْبُ قَدْ يَهْتَدِي، وَقَدْ يَضِلُّ.

وَقَدْ صَنَّفَ صَاحِبُ «**الْفُصُوصِ**»[1]، كِتَابًا سَمَّاهُ كِتَابَ «**الْهُو**»[2].

وَزَعَمَ بَعْضُهُمْ أَنَّ قَوْلَهُ: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٧] مَعْنَاهُ: وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَ هَذَا ٱلِاسْمِ، ٱلَّذِي هُوَ «الْهُو»!!

وَإِنْ كَانَ هَذَا مِمَّا ٱتَّفَقَ ٱلْمُسْلِمُونَ ـ بَلِ ٱلْعُقَلَاءُ ـ عَلَىٰ أَنَّهُ مِنَ أَبْيَنِ ٱلْبَاطِلِ، فَقَدْ يَظُنُّ ذَلِكَ مَنْ يَظُنُّهُ مِنْ هَؤُلَاءِ، حَتَّىٰ قُلْتُ مَرَّةً لِبَعْضِ مَنْ قَالَ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ: لَوْ كَانَ هَذَا كَمَا قُلْتَهُ لَكُتِبَتِ ٱلْآيَةُ: وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَ هُو. مُنْفَصِلَةً.

ثُمَّ كَثِيرًا مَا يَذْكُرُ بَعْضُ ٱلشُّيُوخِ أَنَّهُ يَحْتَجُّ عَلَىٰ قَوْلِ ٱلْقَائِلِ: «اللَّهُ» بِقَوْلِهِ: ﴿قُلِ ٱللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ﴾ [الأنعام: ٩١].

وَيَظُنُّ أَنَّ ٱللَّهَ أَمَرَ نَبِيَّهُ بِأَنْ يَقُولَ ٱلِاسْمَ ٱلْمُفْرَدَا!

وَهَذَا غَلَطٌ بِاتِّفَاقِ أَهْلِ ٱلْعِلْمِ؛ فَإِنَّ قَوْلَهُ: ﴿قُلِ ٱللَّهُ﴾ مَعْنَاهُ: ٱللَّهُ ٱلَّذِي أَنْزَلَ ٱلْكِتَابَ ٱلَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى. وَهُوَ جَوَابٌ لِقَوْلِهِ: ﴿قُلْ مَنْ أَنزَلَ

---

(١) هو ابنُ عَربي النَّكِرة، المتقدمة الإشارة إليه، (ص: ٤٢).

(٢) وكذا الحلَّاج! كما في «السِّيَر» (١٤/٣٥٣)!

ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ ۖ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا ۖ وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓا۟ أَنتُمْ وَلَآ ءَابَآؤُكُمْ ۖ قُلِ ٱللَّهُ﴾ أي: ٱللَّهُ ٱلَّذي أَنْزَلَ ٱلْكِتَابَ ٱلَّذي جاءَ بِهِ مُوسَى. وَرُدَّ بِذَلِكَ قَوْلُ مَنْ قَالَ: ﴿مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ﴾. فَقَالَ: ﴿مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ﴾. ثُمَّ قَالَ: ﴿قُلِ ٱللَّهُ﴾: أَنْزَلَهُ، ثُمَّ ذَرْ هَؤُلَاءِ ٱلْمُكَذِّبِينَ في خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ[1].

وَمِمَّا يُبَيِّنُ مَا تَقَدَّمَ: مَا ذَكَرَهُ سِيبَوَيْهِ وَغَيْرُهُ مِنْ أَئِمَّةِ ٱلنَّحْوِ: أَنَّ ٱلْعَرَبَ يَحْكُونَ بِالْقَوْلِ مَا كَانَ كَلَامًا، وَلَا يَحْكُونَ بِهِ مَا كَانَ قَوْلًا، فَالْقَوْلُ لَا يُحْكَىٰ بِهِ إِلَّا كَلَامٌ تَامٌّ، أَوْ جُمْلَةٌ ٱسْمِيَّةٌ، أَوْ جُمْلَةٌ فِعْلِيَّةٌ؛ وَلِهَذَا يَكْسِرُونَ «إِنَّ» إِذَا جَاءَتْ بَعْدَ ٱلْقَوْلِ[2].

فَالْقَوْلُ لَا يُحْكَىٰ بِهِ ٱسْمٌ، وَاللَّهُ - تَعَالَىٰ - لَا يَأْمُرُ أَحَدًا بِذِكْرِ ٱسْمٍ مُفْرَدٍ، وَلَا شَرَعَ لِلْمُسْلِمِينَ ٱسْمًا مُفْرَدًا.

وَالِاسْمُ ٱلْمُجَرَّدُ لَا يُفِيدُ شَيْئًا مِنَ ٱلْإِيمَانِ، بِاتِّفَاقِ أَهْلِ ٱلْإِسْلَامِ، وَلَا يُؤْمَرُ بِهِ فِي شَيْءٍ مِنَ ٱلْعِبَادَاتِ، وَلَا فِي شَيْءٍ مِنَ ٱلْمُخَاطَبَاتِ.

وَنَظِيرُ مَنِ ٱقْتَصَرَ عَلَى ٱلِاسْمِ ٱلْمُفْرَدِ: مَا يُذْكَرُ أَنَّ بَعْضَ ٱلْأَعْرَابِ مَرَّ بِمُؤَذِّنٍ يَقُولُ: «أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولَ ٱللَّهِ» - بِالنَّصْبِ - فَقَالَ: مَاذَا يَقُولُ هَذَا؟ هَذَا ٱلِاسْمُ، فَأَيْنَ ٱلْخَبَرُ عَنْهُ ٱلَّذي يَتِمُّ بِهِ ٱلْكَلَامُ؟

---

(١) تقدَّم قريبًا من هذا الجواب (ص: ١١٧).
وانظر: «بدائع التفسير عن ابن القيم» (١٦٣/٢ - ١٦٥).

(٢) انظر: «خزانة الأدب» (٢٦٨/١٠ - ٢٦٩)، للبغدادي.

وَمَا فِي ٱلْقُرْآنِ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ﴿٨﴾﴾ [المزمل: ٨].

وَقَوْلِهِ: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ﴿١﴾﴾ [الأعلى: ١]. وَقَوْلِهِ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ﴿١٥﴾﴾ [الأعلى: ١٤، ١٥].

وَقَوْلِهِ: ﴿فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾﴾ [الواقعة: ٧٤]. وَنَحْوِ ذَٰلِكَ لَا يَقْتَضِي ذِكْرَهُ مُفْرَدًا.

بَلْ فِي «**السُّنَنِ**»[1]: أَنَّهُ لَمَّا نَزَلَ قَوْلُهُ: ﴿فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾﴾ قَالَ: «**اجْعَلُوهَا فِي رُكُوعِكُمْ**». وَلَمَّا نَزَلَ قَوْلُهُ: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ﴿١﴾﴾ قَالَ: «**اجْعَلُوهَا فِي سُجُودِكُمْ**».

فَشَرَعَ لَهُمْ أَنْ يَقُولُوا فِي ٱلرُّكُوعِ: «سُبْحَانَ رَبِّيَ ٱلْعَظِيمِ». وَفِي ٱلسُّجُودِ: «سُبْحَانَ رَبِّيَ ٱلْأَعْلَى».

وَفِي «**الصَّحِيحِ**»[2]: أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ فِي رُكُوعِهِ: «**سُبْحَانَ رَبِّيَ ٱلْعَظِيمِ**». وَفِي سُجُودِهِ: «**سُبْحَانَ رَبِّيَ ٱلْأَعْلَى**». وَهَٰذَا هُوَ مَعْنَىٰ قَوْلِهِ:

---

(١) رواه أبو داود (٨٦٩)، وابن ماجه (٨٨٧)، وأحمد (٤/١٥٥)، والطحاوي (١/١٣٨)، والحاكم (١/٢٢٥، ٢/٤٧٧)، والبيهقي (٢/٨٦)، والطيالسي (١٠٠٠)، وابن حبّان (١٨٩٨)، والدارمي (١/٢٩٩)، والطبراني (١٧/٨٨٩)، وابن خُزيمة (٦٠٠، ٦٧٠)، والبيهقي (٢/٨٦)، عن عُقبة بن عامر.
وفيه راوٍ مجهولٌ، وهو إياس بن عامر، قال الذهبي: «ليس بالمعروف» ولم يرو عنه غير راوٍ، ومنهجه في مثله أن يقول: «مقبول»، أو «مجهول».

(٢) «صحيح مسلم» (٧٧٢)، عن حُذَيْفَة.
وفي الباب عن عدّةٍ مِن الصحابة خارجَ «الصحيح».

«**ٱجْعَلُوهَا فِي رُكُوعِكُمْ وَسُجُودِكُمْ**» بِٱتِّفَاقِ ٱلْمُسْلِمِينَ.

فَتَسْبِيحُ ٱسْمِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَى، وَذِكْرُ ٱسْمِ رَبِّهِ - وَنَحْوِ ذَلِكَ - هُوَ بِٱلْكَلَامِ ٱلتَّامِّ ٱلْمُفِيدِ؛ كَمَا فِي «**الصَّحِيحِ**»[1]، عَنْهُ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «**أَفْضَلُ ٱلْكَلَامِ بَعْدَ ٱلْقُرْآنِ أَرْبَعٌ - وَهُنَّ مِنَ ٱلْقُرْآنِ -: سُبْحَانَ ٱللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا ٱللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ**».

وَفِي «**الصَّحِيحِ**»[2] عَنْهُ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «**كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى ٱللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ فِي ٱلْمِيزَانِ، حَبِيبَتَانِ إِلَى ٱلرَّحْمَنِ: سُبْحَانَ ٱللَّهِ**

---

(١) هو في «صحيح مسلم» (٢١٣٧) بنحوه.
وعلَّقه البخاريُّ في «صحيحه» (٥٦٦/١١).
ورواه أحمد (٥/١٠، ٢١)، والنَّسائي في «عمل اليوم والليلة» (٨٤٥)، والبَغوي (١٢٧٦)، والطبراني (٦٧٩١)، وابن حبان (٨٣٥، ٨٣٩)، والطيالسي (٨٩٩)، وابن ماجه (٣٨١١)، عن سَمُرَة بن جُنْدُب.
وليس عندهم جميعًا: «وَهُنَّ في القرآن».

(٢) رواه البخاري (٦٤٠٦، ٦٦٨٢، ٧٥٦٣)، ومسلم (٢٦٩٤)، والترمذي (٣٤٦٧)، وابن ماجه (٣٨٠٦)، وابن أبي شيبة (٢٨٨/١٠)، وأحمد (٢٣٢/٢)، وابن حبان (٨٣١، ٨٤١)، والنَّسائي في «عمل اليوم» (٨٣٠)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (٤٩٩)، عن أبي هُريرة.
وللإمام ابن ناصر الدِّين الدمشقي جزءٌ مُفْردٌ عنوانه: «التنقيح» في شرح هذا الحديث، وقد طُبِعَ قريبًا بتحقيق الأخ الفاضل / محمد ناصر العَجْميّ.

فائدة لا يُعرف هذا الحديث إلا عن أبي هُريرة، فهو غريبٌ، وهو آخرُ أحاديث «صحيح البخاري»، وكذا أوَّلُ أحاديثِهِ «إنَّما الأعمال بالنِّيَّات».
- وقد سبق، لا يَثْبُتُ إلَّا عن عُمر، فهو غريبٌ أيضًا.

وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَ ٱللَّهِ ٱلْعَظِيمِ».

وَفِي «الصَّحِيحَيْنِ»[١] عَنْهُ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «مَنْ قَالَ فِي يَوْمِهِ مِئَةَ مَرَّةٍ: لَا إِلَهَ إِلاَّ ٱللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ ٱلْمُلْكُ، وَلَهُ ٱلْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ. كَتَبَ ٱللَّهُ لَهُ حِرْزًا مِنَ ٱلشَّيْطَانِ يَوْمَهُ ذَلِكَ حَتَّىٰ يُمْسِيَ، وَلَمْ يَأْتِ أَحَدٌ بِأَفْضَلَ مِمَّا جَاءَ بِهِ، إِلَّا رَجُلٌ قَالَ مِثْلَ مَا قَالَ، أَوْ زَادَ عَلَيْهِ، وَمَنْ قَالَ فِي يَوْمِهِ مِئَةَ مَرَّةٍ: سُبْحَانَ ٱللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَ ٱللَّهِ ٱلْعَظِيمِ. حُطَّتْ عَنْهُ خَطَايَاهُ، وَلَوْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ ٱلْبَحْرِ».

وَفِي «الْمُوَطَّإِ»[٢]، وَغَيْرِهِ عَنِ ٱلنَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «أَفْضَلُ مَا قُلْتُهُ أَنَا وَالنَّبِيُّونَ مِنْ قَبْلِي: لَا إِلَهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ ٱلْمُلْكُ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ».

وَفِي «سُنَنِ ٱبْنِ مَاجَهْ»[٣] وَغَيْرِهِ عَنْهُ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «أَفْضَلُ ٱلذِّكْرِ: لَا إِلَهَ إِلَّا ٱللَّهُ، وَأَفْضَلُ ٱلدُّعَاءِ: ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ».

وَمِثْلُ هَذِهِ ٱلْأَحَادِيثِ كَثِيرَةٌ فِي أَنْوَاعِ مَا يُقَالُ مِنَ ٱلذِّكْرِ وَالدُّعَاءِ.

وَكَذَلِكَ مَا فِي ٱلْقُرْآنِ مِنْ قَوْلِهِ ـ تَعَالَىٰ ـ: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ﴾ [الأنعام: ١٢١]. وَقَوْلِهِ: ﴿فَكُلُوا۟ مِمَّآ أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ﴾ [المائدة: ٥]. إِنَّمَا هُوَ قَوْلُ: بِاسْمِ ٱللَّهِ.

وَهَذِهِ جُمْلَةٌ تَامَّةٌ، إِمَّا ٱسْمِيَّةٌ عَلَىٰ أَظْهَرِ قَوْلَي ٱلنُّحَاةِ، أَوْ فِعْلِيَّةٌ،

---

(١) رواه البخاري (١١/١٦٨)، ومسلم (٢٦٩١)، ومالك (١/٢٠٩)، والترمذي (٣٤٦٤).

(٢) تقدّم تخريجهُ.

(٣) تقدّم تخريجه .

وَالتَّقْدِيرُ: ذَبْحِي بِاسْمِ ٱللَّهِ. أَوْ: أَذْبَحُ بِاسْمِ ٱللَّهِ.

وَكَذَلِكَ قَوْلُ ٱلْقَارِئِ: «بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَنِ ٱلرَّحِيمِ». فَتَقْدِيرُهُ: قِرَاءَتِي بِاسْمِ ٱللَّهِ. أَوْ: أَقْرَأُ بِاسْمِ ٱللَّهِ.

وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَنْ يُضْمِرُ فِي مِثْلِ هَذَا: ٱبْتِدَائِي بِاسْمِ ٱللَّهِ. أَوِ ٱبْتَدَأْتُ بِاسْمِ ٱللَّهِ.

وَالْأَوَّلُ أَحْسَنُ؛ لِأَنَّ ٱلْفِعْلَ كُلَّهُ مَفْعُولٌ بِاسْمِ ٱللَّهِ لَيْسَ مُجَرَّدَ ٱبْتِدَائِهِ، كَمَا أُظْهِرَ ٱلْمُضْمَرُ فِي قَوْلِهِ: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١﴾ [العلق: ١]. وَفِي قَوْلِهِ: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْرِىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ﴾ [هود: ٤١].

وَفِي قَوْلِ ٱلنَّبِيِّ ﷺ: **«مَنْ كَانَ ذَبَحَ قَبْلَ ٱلصَّلَاةِ، فَلْيَذْبَحْ مَكَانَهَا أُخْرَى، وَمَنْ لَمْ يَكُنْ ذَبَحَ، فَلْيَذْبَحْ بِاسْمِ ٱللَّهِ»**[١].

وَمِنْ هَذَا ٱلْبَابِ قَوْلُ ٱلنَّبِيِّ ﷺ فِي ٱلْحَدِيثِ ٱلصَّحِيحِ[٢]، لِرَبِيبِهِ عُمَرَ بْنِ أَبِي سَلَمَةَ: **«يَا غُلَامُ! سَمِّ ٱللَّهَ، وَكُلْ بِيَمِينِكَ، وَكُلْ مِمَّا يَلِيكَ»**.

فَالْمُرَادُ أَنْ يَقُولَ: بِاسْمِ ٱللَّهِ[٣]. لَيْسَ ٱلْمُرَادُ أَنْ يَذْكُرَ ٱلِاسْمَ مُجَرَّدًا.

---

(١) أخرجه البخاري (١٠/١٧)، ومسلم (١٩٦٠)، والنّسائي (٢٢٤/٧)، وابن ماجه (٣١٥٢)، والبيهقي (٢٧٦/٩)، والطيالسي (٩٣٦)، وأحمد (٣١٢/٤، ٣١٣)، عن جُندب.

(٢) رواه البخاري (٥٣٧٦)، ومسلم (٢٠٢٢)، والنّسائي في «الكبرى»؛ كما في «التحفة» (١٣٠/٨)، وابن ماجه (٣٢٦٧)، والدارمي (١٠٠/٢)، والبيهقي (٢٧٧/٧)، وأحمد (٢٦/٤، ٢٧)، وابن السُّنّي (٣٥٦)، والترمذي (٩١٨)، عن عُمَر ابن أبي سَلَمَة، عنه ﷺ: ...

(٣) وروى الطبرانيُّ الحديثَ في «الكبير» (٨٣٠٤)، بلفظ: «يا غُلام! إذا أكلتَ =

وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ فِي ٱلْحَدِيثِ ٱلصَّحِيحِ[١] لِعَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ: «**إِذَا أَرْسَلْتَ كَلْبَكَ ٱلْمُعَلَّمَ، وَذَكَرْتَ ٱسْمَ ٱللَّهِ فَكُلْ**».

وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ ﷺ: «**إِذَا دَخَلَ ٱلرَّجُلُ مَنْزِلَهُ فَذَكَرَ ٱسْمَ ٱللَّهِ عِنْدَ دُخُولِهِ، وَعِنْدَ خُرُوجِهِ، وَعِنْدَ طَعَامِهِ، قَالَ ٱلشَّيْطَانُ: لَا مَبِيتَ لَكُمْ، وَلَا عَشَاءَ**[٢]».

وَأَمْثَالُ ذَلِكَ كَثِيرٌ.

وَكَذَلِكَ مَا شُرِعَ لِلْمُسْلِمِينَ فِي صَلَاتِهِمْ، وَأَذَانِهِمْ، وَحَجِّهِمْ، وَأَعْيَادِهِمْ؛ مِنْ ذِكْرِ ٱللَّهِ ـ تَعَالَىٰ ـ، إِنَّمَا هُوَ بِالْجُمْلَةِ ٱلتَّامَّةِ.

كَقَوْلِ ٱلْمُؤَذِّنِ: ٱللَّهُ أَكْبَرُ، ٱللَّهُ أَكْبَرُ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ، أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ ٱللَّهِ.

وَقَوْلِ ٱلْمُصَلِّي: ٱللَّهُ أَكْبَرُ، سُبْحَانَ رَبِّيَ ٱلْعَظِيمِ، سُبْحَانَ رَبِّيَ ٱلْأَعْلَى،

= فقل: بسم الله ...». وسندُهُ صحيحٌ على شرط الشيخين.

قال شيخُنا في «الإرواء» (٧/٣١): «ففيه بيانُ ما أُطْلِقَ في الروايات الأخرى، وأنَّ التسمية على الطعام إنَّما السُّنَّة فيها أن يقولَ باختصار: «بسم اللَّه». فاحفظ هذا فإنَّهُ مهمٌّ عند مَنْ يُقَدِّرُون السُّنَّة، ولا يُجيزون الزيادة عليها». وانظر: «سلسلة الأحاديث الصحيحة» (رقم: ٣٤٤).

(١) رواه البخاري (٩/٦٠٩)، ومسلم (١٩٢٩)، وأبو داود (٢٨٤٨)، وابن ماجه (٣٢٠٨)، وأحمد (٤/٢٥٨)، والبيهقي (٩/٢٣٩ و٢٣٧)، والنَّسائي (٧/٨٣)، والطيالسي (١٠٣٠)، وابن ماجه (٣٢١٣)، من طرق، عن الشَّعْبي، عن عَديٍّ، به.

(٢) رواه مسلم (٢٠١٨)، وأبو داود (٣٧٦٥)، وابن ماجه (٣٨٨٧)، وأحمد (٣/٣٤٦)، والبخاري في «الأدب المفرد» (١٠٩٦)، والبيهقي (٧/٢٧٦)، عن جابر.

سَمِعَ ٱللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ، رَبَّنَا وَلَكَ ٱلْحَمْدُ، ٱلتَّحِيَّاتُ لِلَّهِ.

وَقَوْلِ ٱلْـمُلَبِّي: لَبَّيْكَ ٱللَّهُمَّ لَبَّيْكَ.

وَأَمْثَالِ ذَٰلِكَ.

فَجَمِيعُ مَا شَرَعَهُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلذِّكْرِ إِنَّمَا هُوَ كَلَامٌ تَامٌّ، لَا ٱسْمٌ مُفْرَدٌ، وَلَا مُظْهَرٌ، وَلَا مُضْمَرٌ.

وَهَٰذَا هُوَ ٱلَّذِي يُسَمَّىٰ فِي ٱللُّغَةِ كَلِمَةً؛ كَقَوْلِهِ: «**كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى ٱللِّسَانِ ثَقِيلَتَانِ فِي ٱلْمِيزَانِ، حَبِيبَتَانِ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ: سُبْحَانَ ٱللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَ ٱللَّهِ ٱلْعَظِيمِ**»(١).

وَقَوْلِهِ: «**أَفْضَلُ كَلِمَةٍ قَالَهَا ٱلشَّاعِرُ: كَلِمَةُ لَبِيدٍ**(٢)**: أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مَا خَلَا ٱللَّهَ بَاطِلُ**»(٣).

وَمِنْهُ قَوْلُهُ ـ تَعَالَىٰ ـ: ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ﴾ [الكهف: ٥].

وَقَوْلُهُ: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا﴾ [الأنعام: ١١٥].

---

(١) تقدَّم تخريجُه.

(٢) قال الإمام الذهبي في «تجريد أسماء الصحابة» (٢/٣٨): «لَبِيد بن ربيعة بن عامر العامِري، ثم الجعفري، أبو عَقيل، الشاعر المشهور، وَفَدَ في وَفْدِ بني جعفر بن كِلاب، فأسلم وَحَسُنَ إسلامُهُ، ولم يَقُلْ شِعْرًا منذ أسلم، توفِّي عام الجماعة بالكوفة، وله مئةٌ وخمسون سنة». وانظر: المقدمة (ص: ١١).

(٣) أخرجه البخاري (٣٨٤١)، ومسلمٌ (٢٢٥٦)، والترمذي في «سننه» (٢٨٥٣)، و«الشمائل» (٢٠٧ ـ مختصره)، وابن ماجه (٣٧٥٧)، وأحمد (٢/٢٤٨، ٣٩١، ٤٤٢)، عن أبي هريرة.

وَأَمْثَالُ ذَلِكَ مِمَّا ٱسْتُعْمِلَ فِيهِ لَفْظُ: «الْكَلِمَةِ» فِي ٱلْكِتَابِ، وَالسُّنَّةِ، بَلْ وَسَائِرِ كَلَامِ ٱلْعَرَبِ، فَإِنَّمَا يُرَادُ بِهِ ٱلْجُمْلَةُ ٱلتَّامَّةُ؛ كَمَا كَانُوا يَسْتَعْمِلُونَ ٱلْحَرْفَ فِي ٱلِاسْمِ، فَيَقُولُونَ: هَذَا حَرْفٌ غَرِيبٌ؛ أَيْ: لَفْظُ ٱلِاسْمِ غَرِيبٌ.

وَقَسَّمَ سِيبَوَيْهِ[١] ٱلْكَلَامَ إِلَى: ٱسْمٍ، وَفِعْلٍ، وَحَرْفٍ جَاءَ لِمَعْنًى، لَيْسَ بِاسْمٍ وَلَا فِعْلٍ، وَكُلٌّ مِنْ هَذِهِ ٱلْأَقْسَامِ يُسَمَّىٰ حَرْفًا، لَكِنْ خَاصَّةُ ٱلثَّالِثِ: أَنَّهُ حَرْفٌ جَاءَ لِمَعْنًى، لَيْسَ بِاسْمٍ وَلَا فِعْلٍ.

وَسَمَّىٰ حُرُوفَ ٱلْهِجَاءِ بِاسْمِ ٱلْحَرْفِ، وَهِيَ أَسْمَاءٌ.

وَلَفْظُ ٱلْحَرْفِ يَتَنَاوَلُ هَذِهِ ٱلْأَسْمَاءَ وَغَيْرَهَا؛ كَمَا قَالَ ٱلنَّبِيُّ ﷺ: **«مَنْ قَرَأَ ٱلْقُرْآنَ فَأَعْرَبَهُ، فَلَهُ بِكُلِّ حَرْفٍ عَشْرُ حَسَنَاتٍ، أَمَا إِنِّي لَا أَقُولُ: الم حَرْفٌ، وَلَكِنْ أَلِفٌ حَرْفٌ، وَلَامٌ حَرْفٌ، وَمِيمٌ حَرْفٌ»**[٢].

وَقَدْ سَأَلَ ٱلْخَلِيلُ[٣] أَصْحَابَهُ: عَنِ ٱلنُّطْقِ بِحَرْفِ ٱلزَّايِ مِنْ زَيْدٍ؟

فَقَالُوا: «زَايٌ». فَقَالَ: جِئْتُمْ بِالِاسْمِ، وَإِنَّمَا ٱلْحَرْفُ: «زَ».

ثُمَّ إِنَّ ٱلنُّحَاةَ ٱصْطَلَحُوا عَلَىٰ أَنَّ هَذَا ٱلْمُسَمَّىٰ فِي ٱللُّغَةِ بِالْحَرْفِ، يُسَمَّىٰ كَلِمَةً، وَأَنَّ لَفْظَ ٱلْحَرْفِ يَخُصُّ مَا جَاءَ لِمَعْنًى، لَيْسَ بِاسْمٍ، وَلَا فِعْلٍ؛ كَحُرُوفِ ٱلْجَرِّ، وَنَحْوِهَا.

---

(١) كما في «الكتاب» له.

(٢) صحَّ الحديثُ دون قولِهِ ﷺ: «فأعربه». فانظر تعليقي على «الوصيَّة الكبرى» (ص: ٥٨)، للمؤلِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ. وانظر: مقدمة هذا الكتاب (ص: ١٢).

(٣) هو الفراهيديُّ، واضعُ عِلْمِ العَروضِ، توفي سنة (١٧٢ هـ)، ترجمتهُ في «السِّيَر» (٧/٤٢٩).

وَأَمَّا أَلْفَاظُ حُرُوفِ ٱلْهِجَاءِ، فَيُعَبَّرُ تَارَةً بِالْحَرْفِ عَنْ نَفْسِ ٱلْحَرْفِ مِنَ ٱللَّفْظِ، وَتَارَةً بِاسْمِ ذَلِكَ ٱلْحَرْفِ.

وَلَمَّا غَلَبَ هَذَا ٱلِاصْطِلَاحُ صَارَ يَتَوَهَّمُ مَنِ ٱعْتَادَهُ أَنَّهُ هَكَذَا فِي لُغَةِ ٱلْعَرَبِ.

وَمِنْهُمْ مَنْ يَجْعَلُ لَفْظَ «الْكَلِمَةِ» فِي ٱللُّغَةِ لَفْظًا مُشْتَرَكًا بَيْنَ ٱلِاسْمِ مَثَلًا، وَبَيْنَ ٱلْجُمْلَةِ، وَلَا يُعْرَفُ فِي صَرِيحِ ٱللُّغَةِ مِنْ لَفْظِ: «الْكَلِمَةِ» إِلَّا ٱلْجُمْلَةُ ٱلتَّامَّةُ.

وَالْمَقْصُودُ هُنَا: أَنَّ ٱلْمَشْرُوعَ فِي ذِكْرِ ٱللَّهِ ـ سُبْحَانَهُ ـ، هُوَ ذِكْرُهُ بِجُمْلَةٍ تَامَّةٍ، وَهُوَ ٱلْمُسَمَّىٰ بِـ«الْكَلَامِ»، وَالْوَاحِدُ مِنْهُ بِـ«الْكَلِمَةِ».

وَهُوَ ٱلَّذِي يَنْفَعُ ٱلْقُلُوبَ، وَيَحْصُلُ بِهِ ٱلثَّوَابُ وَالْأَجْرُ، وَالْقُرْبُ إِلَى ٱللَّهِ، وَمَعْرِفَتُهُ، وَمَحَبَّتُهُ، وَخَشْيَتُهُ، وَغَيْرُ ذَلِكَ مِنَ ٱلْمَطَالِبِ ٱلْعَالِيَةِ، وَالْمَقَاصِدِ ٱلسَّامِيَةِ.

وَأَمَّا ٱلِاقْتِصَارُ عَلَى ٱلِاسْمِ ٱلْمُفْرَدِ، مُظْهَرًا أَوْ مُضْمَرًا، فَلَا أَصْلَ لَهُ، فَضْلًا عَنْ أَنْ يَكُونَ مِنْ ذِكْرِ ٱلْخَاصَّةِ وَالْعَارِفِينَ!

بَلْ هُوَ وَسِيلَةٌ إِلَىٰ أَنْوَاعٍ مِنَ ٱلْبِدَعِ، وَالضَّلَالَاتِ، وَذَرِيعَةٌ إِلَىٰ تَصَوُّرَاتٍ وَأَحْوَالٍ فَاسِدَةٍ، مِنْ أَحْوَالِ أَهْلِ ٱلْإِلْحَادِ، وَأَهْلِ ٱلِاتِّحَادِ، كَمَا قَدْ بُسِطَ ٱلْكَلَامُ عَلَيْهِ فِي غَيْرِ هَذَا ٱلْمَوْضِعِ.

٤ ـ فَصْلٌ

[جِمَاعُ ٱلدِّينِ]

وَجِمَاعُ ٱلدِّينِ أَصْلَانِ:

ـ أَنْ لَا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ.

ـ وَلَا نَعْبُدَهُ إِلَّا بِمَا شَرَعَ، لَا نَعْبُدُهُ بِالْبِدَعِ.

كَمَا قَالَ ـ تَعَالَىٰ ـ: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَـٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف: ١١٠].

وَذَلِكَ تَحْقِيقُ ٱلشَّهَادَتَيْنِ: شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا ٱللَّهُ، وَشَهَادَةِ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ ٱللَّهِ.

فَفِي ٱلْأُولَى: أَنْ لَا نَعْبُدَ إِلَّا إِيَّاهُ.

وَفِي ٱلثَّانِيَةِ: أَنَّ مُحَمَّدًا ﷺ هُوَ رَسُولُ ٱللَّهِ ٱلْمُبَلِّغُ عَنْهُ، فَعَلَيْنَا أَنْ نُصَدِّقَ خَبَرَهُ، وَنُطِيعَ أَمْرَهُ.

وَقَدْ بَيَّنَ لَنَا مَا نَعْبُدُ ٱللَّهَ بِهِ، وَنَهَانَا عَنْ مُحْدَثَاتِ ٱلْأُمُورِ، وَأَخْبَرَ أَنَّهَا ضَلَالَةٌ(١).

قَالَ ـ تَعَالَىٰ ـ: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١١٢﴾﴾ [البقرة: ١١٢].

---

(١) انظر: «جزء اتِّباع السُّنَن» (رقم: ١، ٢، ٣)، للضِّياء المقدسي، وتعليقي عليه، وما سبق.

كَمَا أَنَّنَا مَأْمُورُونَ أَنْ لَا نَخَافَ إِلَّا ٱللَّهَ، وَلَا نَتَوَكَّلَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ، وَلَا نَرْغَبَ إِلَّا إِلَى ٱللَّهِ، وَلَا نَسْتَعِينَ إِلَّا بِاللَّهِ، وَأَنْ لَا تَكُونَ عِبَادَتُنَا إِلَّا لِلَّهِ، فَكَذَلِكَ نَحْنُ مَأْمُورُونَ أَنْ نَتَّبِعَ ٱلرَّسُولَ وَنُطِيعَهُ، وَنَتَأَسَّىٰ بِهِ.

فَالْحَلَالُ مَا حَلَّلَهُ، وَالْحَرَامُ مَا حَرَّمَهُ، وَالدِّينُ مَا شَرَعَهُ.

قَالَ - تَعَالَىٰ -: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ سَيُؤْتِينَا ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَرَسُولُهُۥٓ إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ ﴿٥٩﴾﴾ [التوبة: ٥٩]. فَجَعَلَ ٱلْإِيتَاءَ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ؛ كَمَا قَالَ: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر: ٧].

وَجَعَلَ ٱلتَّوَكُّلَ عَلَى ٱللَّهِ وَحْدَهُ بِقَوْلِهِ: ﴿وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ﴾ [التوبة: ٥٩]. وَلَمْ يَقُلْ: وَرَسُولُهُ؛ كَمَا قَالَ فِي وَصْفِ ٱلصَّحَابَةِ - رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ - فِي ٱلْآيَةِ ٱلْأُخْرَى: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾﴾ [آل عمران: ١٧٤].

وَمِثْلُهُ قَوْلُهُ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٤﴾﴾ [الأنفال: ٦٤]؛ أَيْ: حَسْبُكَ وَحَسْبُ ٱلْمُؤْمِنِينَ. كَمَا قَالَ: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ﴾ [الزمر: ٣٦].

ثُمَّ قَالَ: ﴿سَيُؤْتِينَا ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَرَسُولُهُۥٓ﴾ [التوبة: ٥٩].

فَجَعَلَ ٱلْإِيتَاءَ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ، وَقَدَّمَ ذِكْرَ ٱلْفَضْلِ لِلَّهِ؛ لِأَنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ، يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ، وَاللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ، وَلَهُ ٱلْفَضْلُ عَلَىٰ رَسُولِهِ، وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ.

وَقَالَ: ﴿إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ﴾ [التوبة: ٥٩].

فَجَعَلَ ٱلرَّغْبَةَ إِلَى ٱللَّهِ وَحْدَهُ؛ كَمَا فِي قَوْلِهِ: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ ۞ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب ۞﴾ [الشرح: ٧، ٨].

وَقَالَ ٱلنَّبِيُّ ﷺ لِابْنِ عَبَّاسٍ: «**إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ ٱللَّهَ، وَإِذَا ٱسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ**»(١).

وَالْقُرْآنُ يَدُلُّ عَلَىٰ مِثْلِ هَذَا فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ.

فَجَعَلَ ٱلْعِبَادَةَ، وَالْخَشْيَةَ، وَالتَّقْوَىٰ لِلَّهِ، وَجَعَلَ ٱلطَّاعَةَ وَالْمَحَبَّةَ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ؛ كَمَا فِي قَوْلِ نُوحٍ ٱلطَّيِّلاً:

﴿أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ۞﴾ [نوح: ٣].

وَقَوْلِهِ: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ۞﴾ [النور: ٥٢]. وَأَمْثَالِ ذَلِكَ.

فَالرُّسُلُ أُمِرُوا بِعِبَادَتِهِ وَحْدَهُ، وَالرَّغْبَةِ إِلَيْهِ، وَالتَّوَكُّلِ عَلَيْهِ، وَالطَّاعَةِ لَهُمْ؛ فَأَضَلَّ ٱلشَّيْطَانُ ٱلنَّصَارَى وَأَشْبَاهَهُمْ، فَأَشْرَكُوا بِاللَّهِ، وَعَصَوُا ٱلرَّسُولَ، فَاتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ ٱللَّهِ، وَالْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ، فَجَعَلُوا يَرْغَبُونَ إِلَيْهِمْ، وَيَتَوَكَّلُونَ عَلَيْهِمْ، وَيَسْأَلُونَهُمْ مَعَ مَعْصِيَتِهِمْ لِأَمْرِهِمْ، وَمُخَالَفَتِهِمْ لِسُنَّتِهِمْ، وَهَدَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْمُخْلِصِينَ لِلَّهِ أَهْلَ ٱلصِّرَاطِ ٱلْمُسْتَقِيمِ، ٱلَّذِينَ عَرَفُوا ٱلْحَقَّ وَاتَّبَعُوهُ، فَلَمْ يَكُونُوا مِنَ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ، وَلَا ٱلضَّالِّينَ، فَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ، وَأَسْلَمُوا وُجُوهَهُمْ لِلَّهِ، وَأَنَابُوا

---

(١) تقدَّم تخريجه.

إِلَىٰ رَبِّهِمْ، وَأَحَبُّوهُ، وَرَجَوْهُ، وَخَافُوهُ، وَسَأَلُوهُ، وَرَغِبُوا إِلَيْهِ، وَفَوَّضُوا أُمُورَهُمْ إِلَيْهِ، وَتَوَكَّلُوا عَلَيْهِ، وَأَطَاعُوا رُسُلَهُ، وَعَزَّرُوهُمْ[١]، وَوَقَّرُوهُمْ، وَأَحَبُّوهُمْ، وَوَالَوْهُمْ، وَاتَّبَعُوهُمْ، وَاقْتَفَوْا آثَارَهُمْ، وَاهْتَدَوْا بِمَنَارِهِمْ.

وَذَلِكَ هُوَ دِينُ ٱلْإِسْلَامِ، ٱلَّذِي بَعَثَ ٱللَّهُ بِهِ ٱلْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ مِنَ ٱلرُّسُلِ، وَهُوَ ٱلدِّينُ ٱلَّذِي لَا يَقْبَلُ ٱللَّهُ مِنْ أَحَدٍ دِينًا إِلَّا إِيَّاهُ[٢].

وَهُوَ حَقِيقَةُ ٱلْعِبَادَةِ لِرَبِّ ٱلْعَالَمِينَ.

فَنَسْأَلُ ٱللَّهَ ٱلْعَظِيمَ أَنْ يُثَبِّتَنَا عَلَيْهِ، وَيُكَمِّلَهُ لَنَا[٣]، وَيُمِيتَنَا عَلَيْهِ، وَسَائِرَ إِخْوَانِنَا ٱلْمُسْلِمِينَ.

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَحْدَهُ. وَصَلَّى ٱللَّهُ عَلَىٰ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ، وَآلِهِ، وَصَحْبِهِ، وَسَلَّمَ[٤].

---

(١) عظّموهم.

(٢) فدندنةُ بعض (العصرانيّين) حولَ «وحدة الأديان»، و«التسامح الدينيّ»، و«الإخوّة الإنسانية»: مِنْ ضلالاتِ هؤلاءِ المُبطلين، وانحرافاتهم، بل كُفريَّاتهم، وإنّما يُريدون بذلك اجْتِثَاثَ أَصْلِ الإسلامِ، ومَحْوِ حقيقة دينِ اللهِ مِن النُّفوس، فالحذَرَ! الحذَرَ!

(٣) مِنْ حيثُ: الْتِزامُنا به، وطاعتُنا للّهِ فِيهِ.

(٤) كان الفراغُ من ضبط نصِّه، والتعليق عليه، وتخريجِ أحاديثِهِ: عَصْرَ يوم الجمعة، لثمانيةِ أيامٍ خَلَت من شهر ذي القَعدة سنة عشرٍ وأربع مئة وألف للهجرة.
كتبه العَبْدُ الفقيرُ لمولاهُ الغنيِّ: علي بن حسن بن علي بن عبد الحميد الحلبيُّ الأثريُّ، عفا اللّهُ عنه بمَنِّهِ وكَرَمِهِ.
ثم أَكّدْتُ النَّظَرَ فيه، وراجعْتُهُ، في مجالسَ، آخِرُها صبيحة يومِ الثلاثاءِ، الرَّابعَ عشرَ من شهر رمضان المبارك، سنة خمس عشرة بعد الأربع مئةِ والألف هجريَّة.

ٱلْفَهَارِسُ ٱلْعِلْمِيَّةُ

١ ـ فِهْرِسُ ٱلْأَحَادِيثِ.
٢ ـ فِهْرِسُ فَوَائِدِ ٱلتَّعْلِيقَاتِ.
٣ ـ ٱلْفِهْرِسُ ٱلْإِجْمَالِيُّ.

١ ـ فِهْرِسُ ٱلْأَحَادِيث

عَلَىٰ وِفْقِ ٱلتَّرْتِيبِ ٱلْهِجَائِيِّ

ٱلْحَدِيثُ	ٱلصَّفْحَة
أَبُوهَا (... قَالَهُ لَمَّا سُئِلَ عَنْ أَحَبِّ ٱلرِّجَالِ)	١٠٢
أَتَانِي جِبْرِيلُ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ	٢٨
ٱجْعَلُوهَا فِي رُكُوعِكُمْ	١١ ، ١٣٦
أَحَبُّ ٱلْأَسْمَاءِ إِلَى ٱللَّهِ عَبْدُ ٱللَّهِ وَعَبْدُ ٱلرَّحْمَنِ	٩١
ٱحْتَجَّ آدَمُ وَمُوسَىٰ	٣٧
إِذَا أَذَّنَ ٱلْمُؤَذِّنُ وَلَّى ٱلشَّيْطَانُ	٩١
إِذَا أَرْسَلْتَ كَلْبَكَ ٱلْمُعَلَّمَ	١٤٠
إِذَا دَخَلَ ٱلرَّجُلُ مَنْزِلَهُ فَذَكَرَ ٱسْمَ ٱللَّهِ	١٤٠
إِذَا ذُكِرَ ٱلْقَدَرُ فَأَمْسِكُوا	٣٣
إِذَا سَأَلْتَ فَٱسْأَلِ ٱللَّهَ	٧٣
ٱلْإِسْلَامُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا ٱللَّهُ	٢٤
أَصْدَقُ ٱلْأَسْمَاءِ حَارِثٌ وَهَمَّامٌ	٩١
ٱعْمَلُوا فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ	٥٣
أَفْضَلُ ٱلذِّكْرِ لَا إِلَهَ إِلَّا ٱللَّهُ	١٣٠، ١٣٨
أَفْضَلُ ٱلْكَلَامِ بَعْدَ ٱلْقُرْآنِ أَرْبَعٌ	١٣٧
أَفْضَلُ كَلِمَةٍ قَالَهَا ٱلشَّاعِرُ كَلِمَةُ لَبِيدَ	١١
أَفْضَلُ مَا قُلْتُ أَنَا وَٱلنَّبِيُّونَ مِنْ قَبْلِي	١١، ١٣١، ١٣٨

أَلَا أُعَلِّمُكَ كَلِمَةً ١١٦

الآنَ يَا عُمَرُ ٨٥

اللَّهُمَّ إِلَيْكَ أَشْكُو ضَعْفَ قُوَّتِي ٧٥

اللَّهُمَّ إِنِّي أُحِبُّهُمَا فَأَحِبَّهُمَا ١٠٢

أَنَّ إِبْرَاهِيمَ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ٩٩

إِنَّ بِالْمَدِينَةِ لَرِجَالاً مَا سِرْتُمْ ٨٥

إِنَّ الدُّعَاءَ وَالْبَلَاءَ لَيَلْتَقِيَانِ ٣٤

أَنْ لَا تَسْأَلُوا النَّاسَ شَيْئًا ٧٢

إِنَّ لِلَّهِ أَهْلَيْنِ مِنَ النَّاسِ ٤٢

إِنَّ اللَّهَ اتَّخَذَنِي خَلِيلاً ٩٩

إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ لِلْجَنَّةِ أَهْلاً ٥٣

إِنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ ٩٩

إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ ١١٥

إِنَّمَا أَنَا عَبْدٌ ٢٣

إِنَّمَا هُوَ الشِّرْكُ ٩٧

أَهْلُ الْقُرْآنِ هُمْ أَهْلُ اللَّهِ وَخَاصَّتُهُ ٤٢

أَوْثَقُ عُرَى الْإِيمَانِ ٨٢

بُعِثْتُ بِالسَّيْفِ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ ٦٢

تَعِسَ عَبْدُ الدِّرْهَمِ، تَعِسَ عَبْدُ الدِّينَارِ .... ٦٨، ٨١

ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ .... ٥٠، ٨٣ ، ١٠٣

ثَلَاثَةٌ يُؤْتَوْنَ أُجُورَهُمْ مَرَّتَيْنِ ٧٧

حَدِيثُ ٱلتَّكْبِيرِ إِذَا رَكِبَ دَابَّةً ٩٠
حَدِيثُ ٱلتَّكْبِيرِ إِذَا عَلَا ٱلْإِنْسَانُ شَرَفًا ٩٠
حَدِيثُ ٱلتَّكْبِيرِ عَلَى ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةِ ٩٠
حَدِيثُ ٱلتَّكْبِيرِ عِنْدَ ٱلْحَرِيقِ ٩٠
ٱلدُّنْيَا مَلْعُونَةٌ مَلْعُونٌ مَا فِيهَا ١١٤
ذَاقَ طَعْمَ ٱلْإِيمَانِ مَنْ رَضِيَ ٱللَّهَ رَبًّا ٥١
ٱلشِّرْكُ فِي هَذِهِ ٱلْأُمَّةِ أَخْفَىٰ مِنْ دَبِيبِ ٱلنَّمْلِ ٦٧
صَلَاةٌ فِي مَسْجِدِي هَذَا أَفْضَلُ مِنْ أَرْبَعِ صَلَوَاتٍ مِنْهُ ٦٤
ٱلْعَبَّاسُ مُؤْمِنٌ بَيْنَ خَلِيلَيْنِ ١٠٣
قَالَ ٱللَّهُ ـ تَعَالَىٰ ـ: «لَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِٱلنَّوَافِلِ ١١٣
قَالَ ٱللَّهُ ـ تَعَالَىٰ ـ: «مَنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ شِبْرًا ١١٢
كَانَ يَقُولُ فِي رُكُوعِهِ: سُبْحَانَ رَبِّيَ ٱلْعَظِيمِ ١٣٦
كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى ٱللِّسَانِ .... ١٣٧، ١٤١
لَأُعْطِيَنَّ ٱلرَّايَةَ غَدًا رَجُلًا يُحِبُّهُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُ ١٠٢
لَأَنْ يَأْخُذَ أَحَدُكُمْ حَبْلَهُ فَيَحْتَطِبَ ٧١
لَا، ٱعْمَلُوا، فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ ٥٣
لَا تَحِلُّ ٱلْمَسْأَلَةُ إِلَّا لِذِي غُرْمٍ مُفْظِعٍ ٧٠
لَا تَزَالُ ٱلْمَسْأَلَةُ بِأَحَدِكُمْ حَتَّىٰ يَأْتِيَ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ ٧٠
لَا تُطْرُونِي كَمَا أَطْرَتِ ٱلنَّصَارَىٰ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٢٢
لَا يَا عُمَرُ ٨٤
لَا يَبْقَيَنَّ فِي ٱلْمَسْجِدِ خَوْخَةٌ إِلَّا ٩٩

لَا يَدْخُلُ اَلْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ ٨٩
لَا يَرُدُّ اَلْقَضَاءَ إِلَّا اَلدُّعَاءُ ٣٤
لَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ ١١٣
لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ ٥
لَقِّنُوا مَوْتَاكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اَللَّهُ ١٣٣
لَوْ كُنتُ مُتَّخِذًا مِنْ أَهْلِ اَلْأَرْضِ خَلِيلًا ..... ٩٩، ١٠٥
لَيْسَ اَلْغِنَىٰ عَنْ كَثْرَةِ اَلْعَرَضِ ٧٨
مَا أَتَاكَ مِنْ هَذَا اَلْمَالِ وَأَنْتَ غَيْرُ سَائِلٍ ٧١
مَا ذِئْبَانِ جَائِعَانِ أُرْسِلَا فِي زَرِيبَةِ غَنَمٍ ١١٧
مَنْ أَحَبَّ لِلَّهِ وَأَبْغَضَ لِلَّهِ ٨٢
مَنْ دَعَا إِلَىٰ هُدًى كَانَ لَهُ مِنَ اَلْأَجْرِ ٨٥
مَنْ رَأَىٰ مِنكُمْ مُنكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ ٣٥
مَنْ سَأَلَ اَلنَّاسَ وَلَهُ مَا يُغْنِيهِ ٧٠
مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا ١١٥
مَنْ قَالَ فِي يَوْمِهِ مِئَةَ مَرَّةٍ: لَا إِلَهَ إِلَّا اَللَّهُ ١٣٨
مَنْ قَرَأَ اَلْقُرْآنَ فَأَعْرَبَهُ ١٤٢
مَنْ كَانَ آخِرُ كَلَامِهِ: لَا إِلَهَ إِلَّا اَللَّهُ ١٣٣
مَنْ كَانَ ذَبَحَ قَبْلَ اَلصَّلَاةِ فَلْيَذْبَحْ ١٣٩
مَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ اَللَّهُ ٧٢
هَذَا جِبْرِيلُ جَاءَكُمْ يُعَلِّمُكُمْ أُمُورَ دِينِكُمْ ٢٤
هُوَ فِي هَذِهِ اَلْأُمَّةِ أَخْفَى مِنْ دَبِيبِ اَلنَّمْلِ ١١٦

هِيَ مِنْ قَدَرِ ٱللَّهِ ٤٣
وَٱلَّذِي نَفسِي بِيَدِهِ لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّىٰ . . . . ٣٥، ٨٤
وَهُمْ بِٱلْمَدِينَةِ، حَبَسَهُمُ ٱلْعُذْرُ ٨٦
يَا غُلَامُ، سَمِّ ٱللَّهَ، وَكُلْ بِيَمِينِكَ ١٣٩
يَقُولُ ٱللَّهُ: ٱلْعَظَمَةُ إِزَارِي ٨٩

٢ ـ فِهْرِسُ فَوَائِدِ ٱلتَّعْلِيقَاتِ

ٱلْفَائِدَةُ ٱلصَّفْحَةُ

نَقْدُ طَبْعَةِ ٱلْمَكْتَبِ ٱلْإِسْلَامِيِّ ٩
قَوَاعِدُ ٱلْعِبَادَةِ عِنْدَ ٱلْمَقْرِيزِيِّ ١٩
فَائِدَةٌ حَوْلَ مَعْنَى (ٱلْإِطْرَاءِ) ٢٢
تَنْبِيهٌ حَوْلَ خَطَإٍ لَفْظِيٍّ شَائِعٍ ٢٥
ٱسْتِدْرَاكٌ عَلَىٰ صَاحِبِ «دَقَائِقِ ٱلتَّفَاسِيرِ» ٢٧
خَطَأُ قَوْلِهِمْ: «أَنَا مَحْسُوبُكَ» ٢٧
عَزْوٌ إِلَىٰ كَلَامِ ٱبْنِ تَيْمِيَّةَ حَوْلَ «ٱلْخَضِرِ» ٣١
كَلِمَةٌ لِلذَّهَبِيِّ فِي عَبْدِ ٱلْقَادِرِ ٱلْجِيلَانِيِّ ٣٣
شَرْحٌ مِنِ ٱبْنِ تَيْمِيَّةَ لِكَلِمَةٍ لِعَبْدِ ٱلْقَادِرِ ٣٣
تَوْجِيهُ حَدِيثِ: «ٱحْتَجَّ آدَمُ وَمُوسَىٰ» ٣٧
تَذَبْذُبُ كَثِيرٍ مِنَ «ٱلْمُتَفَقِّهَةِ» فِي ٱلْمَنَاهِجِ ٱلْعِلْمِيَّةِ ٤٥
مِنْ قَوَاعِدِ أَهْلِ ٱلسُّنَّةِ فِي ٱلتَّكْفِيرِ ٤٧
إِلْمَاعَةٌ فِي ٱلرَّدِّ عَلَىٰ مُحَمَّد الغَزَالِيِّ ٥٠
أَهَمُّ شُرُوطِ فَهْمِ ٱلْكِتَابِ وَٱلسُّنَّةِ ٥٢
تَحْقِيقُ مِقْدَارِ أَجْرِ ٱلصَّلَاةِ فِي بَيْتِ ٱلْمَقْدِسِ ٦٤
أَتْبَاعُ ٱلْمَصَالِحِ وَٱلْأَهْوَاءِ ٦٨
حُكْمُ رِوَايَةِ ٱلْإِسْرَائِيلِيَّاتِ ٧٤
حَوْلَ «ٱلْحِزْبِيِّينَ» وَصُدُودِهِمْ عَنِ ٱلْعِلْمِ ٨١

ٱسْتِدْرَاكٌ عَلَىٰ «مَوْسُوعَةِ أَطْرَافِ ٱلْحَدِيث» ٨٢
ٱلْعِلَّةُ ٱلْغَائِيَّةُ، وَٱلْعِلَّةُ ٱلْفَاعِلَة ٨٧
ٱسْتِدْرَاكٌ عَلَى ٱلْمُصَنِّفِ فِي عَزْوِ حَدِيثٍ لِمُسْلِم ٨٩
تَخْرِيجُ حَدِيثِ: «ٱللَّهُمَّ إِنِّي أُحِبُّهُمَا...» ١٠٢
مِنْ أَسْبَابِ ٱلِاغْتِرَارِ بِأَهْلِ ٱلْبِدَع ١٠٦
ٱلْمُرْجِئَةُ وَٱلْحَرُورِيَّةُ: مَنْ هُمَا؟ ١٠٦
مِنْ إِنْصَافِ شَيْخِ ٱلْإِسْلَامِ ٱبْنِ تَيْمِيَّة ١٠٩
تَعَقُّبُ ٱلدُّكْتُور/ بَشَّار عَوَّاد فِي تَعْلِيقِهِ عَلَىٰ «تَهْذِيبِ ٱلْكَمَال» . ١١٤
«يَا نَعَايَا ٱلْعَرَب» مَعْنَاهَا، وَذِكْرُ تَصْحِيفِهَا ١١٦
نَعُوذُ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلْحَوْرِ بَعْدَ ٱلْكَوْر ١٢٠
حَالُ أَبِي يَزِيدَ ٱلْبَسْطَامِيّ ١٢٢
ٱلْعِبْرَةُ بِٱلْمُسَمَّيَات وَٱلْحَقَائِق ١٢٢
ٱلْقَرَامِطَة ١٢٧
ٱلْفَرْقُ وَٱلْجَمْع ١٢٨
ٱسْتِدْرَاكٌ حَدِيثِيّ ١٣١
مِنْ لَطَائِفِ «صَحِيحِ ٱلْبُخَارِيّ» ١٣٧
فَائِدَةٌ مُهِمَّةٌ عِنْدَ مَنْ يُقَدِّرُونَ ٱلسُّنَّة ١٤٠
مِنْ كُفْرِيَّاتِ بَعْضِ ٱلْعَصْرَانِيِّينَ ١٤٨



٣ ـ الفهرس الإجمالي

الموضوع	الصفحة
مُقَدِّمَةُ ٱلطَّبْعَةِ الرابعة	٣
مُقَدِّمَةُ ٱلطَّبْعَةِ ٱلثَّانِيَةِ	٥
مُقَدِّمَةُ ٱلطَّبْعَةِ ٱلأُولَىٰ	٧
طَبَعَاتُ ٱلْكِتَابِ	٩
هَـٰذَا ٱلْكِتَابُ	١٥
مَدْخَلٌ	١٩
• فَصْـلٌ: [وُجُوبُ ٱلْأَمْرِ بِٱلْمَعْرُوفِ]	٣٩
• فَصْلٌ: [فِي ٱلتَّفَاضُلِ بِٱلْإِيمَانِ]	٦٧
• فَصْلٌ: فِي ٱلْفَرْقِ بَيْنَ ٱلْخَالِقِ وَٱلْمَخْلُوقِ	١٢١
• فَصْلٌ: [جِمَاعُ ٱلدِّينِ]	١٤٥
ٱلْفَهَارِسُ ٱلْعِلْمِيَّةُ	١٤٩
فِهْرِسُ ٱلْأَحَادِيثِ	١٥١
فِهْرِسُ فَوَائِدِ ٱلتَّعْلِيقَاتِ	١٥٦
الفهرس الإجمالي	١٥٩



تم الجمع والصف بدار الرضا للنشر والتوزيع
☎: ٢٣٤٢٨٨٢٩ (٠٢)، محمول: ٠١٠١٤٦٠٨٦١
القاهرة - ج . م . ع com.email: reda_mesr@yahoo

